حزين عمر

قــراء القــرآن
ونــوادرهم



الطبعة الأولى
٢٠٠٥م

قــراء القــرآن
ونــوادرهم



اسم الكتـــاب : قراء القرآن ونوادرهم

اسـم المـؤلـف : حزين عمـر

رقم الإيداع : ٢٣٠١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى :

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

جمع إلكترونى : سـوفت أيمـاج

الطبعة الأولى
٢٠٠٥

الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسلات :
٢١ ش الصناديلى بالجيـزة
١٧ ش العطار بالجيـزة
ت : ٥٧١٢٦١٨
موبايل : ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى :
www.dar-nevro.i8.com
البريد الإلكترونى :
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

الاستماع إليهم صدقه ، والجلوس معهم متعة ، ومحاورتهم فن وعلم وأمل وعمل .. فقراء كتاب الله تسرى الطمأنينة من القرآن إلى قلوبهم ، ومن قلوبهم إلى رفاقهم .. فنرى ونحن جالسون إليهم أن الدنيا لاتساوى جناح بعوضة ، وأن الآخرة خير وأبقى ، وتتسع الحياة فى عيوننا بما ضاقت .

إن كلاً من هؤلاء القراء نور يسير على قدمين .. وهل من نور أعظم من خزائن آيات الله ؟! وهل من شمس ، ولا قمر ولانجم ، أبهى وأسمى وأنقى من لآلئ الحق تجرى على ألسنة آدمية ، وما هى بآدمية ؛ وتملأ نفوساً بشرية ، وما هى ببشرية ؟!

لقد عايشت نجوم القراء عدة أشهر متابعاً حياتهم ، منقّباً فى أفكارهم ، ونوادرهم ، واهتماماتهم الخاصة .. فرأيت فيهم بساطة ، ونقاءً ، ومرونة ، ودعابة ، ورقة ذوق ، وقناعة طموح .. فنسمع منهم النكتة والطرفة والدعابة ، ونرى منهم المنشد الدينى ، وضارب العود ، وعاشق الموسيقى ، وخبير المقامات ، والشاعر ، والسياسى !!!

هذا هو النمط الجديد من القراء الذين هم خلفاء القراء السبعة ، الذين كانوا علماء باللغة والنحو والفقه والتفسير والحديث والشعر .. فثراء الشخصية سمة من سمات القراء قديماً وحديثاً .. لكن « حيثيات » الثراء قديماً غير هذه الحيثيات حديثا ..

وليس هذا النمط الحديث من الفنون والمعارف والاهتمامات الحديثة للقراء بمعيب فى حقهم ، ولا فى حق القرآن .. فالقرآن فى الأدب إعجاز ، وفى الموسيقى سيمفونية سماوية ، وفى السخرية بلغ أرقاها ، وفى التشويق والقَصّ أجذل العطاء وفاض وزاد.

فليس غريباً أن ينعكس هذا التعدد والثراء على أهل القرآن أنفسهم .. وهل ولِدَ رفاعة الطهطاوى ، والمنفلوطى ، ومصطفى الرافعى ، والزيات ، وأحمد أمين ، والعقاد ، وأمين الخولى ، وطه حسين ، وعبدالعزيز البشرى ، وشوقى ، وحافظ ، وإمام العبد ، وكامل الشناوى ، وأم كلثوم ، وعبدالوهاب ، وعلى محمود .. و..و..و.. هل ولد هؤلاء وغيرهم

إلا فى أحضان القرآن ، وهل أكلوا ـ أول ما طعموا ـ إلا من مائدته ، وهل استضاءوا بفجر قبل فجره ؟! .. وهم جميعا من هم فى الأدب والدعابة والفكر والفن والسياسة .. وقد شَقَّ كل منهم درباً من هذى الدروب جميعاً ، حتى أخلص له الدربُ ، وعُرفَ به صاحبه .. فكأنما حفَّاظ القرآن القراء أخذوا من كل شئ بطرف ، ومن كل جنة زهرة ، ومن كل ضوء قبضة .

وقد كنت مشغولاً بالتأريخ لهؤلاء القراء ، والتوقف عندهم بصفتهم فئة عظيمة من نجوم مجتمعنا الحديث ، شأنهم شأن الشعراء والقصاص والنقاد والمغنين والممثلين والسياسيين .. وفكرت ملياً فى خوض هذا اللج المتلاطم الذى يقتضى أن أتوقف على أسماء عظماء هذا المجال من أمثال الشيوخ : محمد سلامه ، محمد رفعت ، على محمود ، على حزين ، مصطفى إسماعيل ، محمود البنا ، عبدالباسط عبدالصمد ، عبدالفتاح الشعشاعى ، أبو العينين شعيشع ، محمد صديق المنشاوى .. فإذا بالسلسلة تطول ، وحلقاتها تتواتر بما يوحى بالدخول فى ضباب لانهاية له ، وإن كنت قد أدركت البداية !! فأين أنا وحدود جهدى من كتاب فريد لأستاذنا الراحل الدكتور عبدالله خورشيد البرى عن (القرآن وعلومه فى مصر) ؟! .. إنه جمع من هؤلاء القراء على مدى قرون الهجرة الأولى مئات : بما لهم ، وما عليهم ، وما عنهم ، وما فيهم .. وعرض عرضاً محايداً ، وصور حياتهم فى بعض الوقت كما قال شاعر :

يا معشر القراءِ يا ملحَ البلدْ   ما يصلح الملحَ إذا الملحُ فسدْ ؟!

فهل أسير على درب « التأريخ » والخط « الأكاديمى » الذى شقه الدكتور عبدالله خورشيد ، فأكمل الحديث عن القراء قرناً أو عدة قرون من الزمان ، مستعيناً بما خُلِّفَ لنا من مصادر ومراجع ؟! .. إذا كان الأمر كذلك فما الفارق بينى وبين أستاذى ، وما الفارق بين القارئ العام ـ متخصصاً ومثقفاً ومتعلماً ـ الذى أخاطبه ، وبين القارئ الأكاديمى المتخصص فقط الذى ينشده أستاذنا ؟!.. وماذا أضاف لنا الزمن من فنون التشويق والعرض المنسق إذا سرت على الطريق الذى عُبِّدَ ، وأضفت خطوة إلى خطوات سبقتنى ؟!.

ليكن للزمان - إذن - حكمه - ولخطواتي طريقها ، ولقارئي حقه الذى ينبغى أن يناله .. فيعرف كل قضايا القرآن وأهله الراهنة : القراءات وسادتها ، ومناهجها ، ومناطقها التى ازدهرت فيها ، ودوافع هذا الازدهار .. ثم القرآن وعلاقته بالموسيقى ، وما يحفل به من مقامات ونغم ، وإمكانات التجويد فى تصوير المعانى وتوصيلها طازجة كأنها منَّزله اليوم على كل مستمع من السماء بغير وسيط ، وحدود هذا التجويد الذى لاينقل كتاب الله من الخشوع والتسليم إلى الخروج والتطريب والانتشاء الحسى ..

ويتلبس هذه القضايا « شخصية » القارئ الحديث نفسه : ثقافته ، اهتماماته ، علاقته بالقرآن : متى وأين وكيف بدأت . علاقته بأبناء مهنته ، وأسرته .. وطرائف حياته ، وخبرات سفره إلى سائر الأقطار ولقائه بالمسلمين فى سائر أنحاء الأرض .. ثم هذه القضية القديمة الجديدة : تقاضى الأجر نظير قراءة القرآن : ماذا عنها بين الحل والحرمة؟ ! وما حدود الأجر ، وأعلاه ، وأدناه ، ومبررات نيله.

وفى إصيص قرآنى أدبى مزجت جاف القضايا بلينها ، وعويصها بسهلها ، وبسيطها بصعبها ، وقديمها بجديدها ، وخاصها بعامها .. ولم يكن الأمر متيسراً للتواصل مع هذا الشكل الحديث فى بث المعلومة إلا من خلال (الفن الصحفى) وعلى وجه التحديد (فن الحوار) الذى لم يثقل فيملٌ ، ولم يخفً فيستخف به ، إنما هو وسط بين ذلك قواما .. ليخرج الجالس مع هذا الكتاب بكل ما دار ويدور بذهنه من أمور تتعلق بهذا الموضوع الذى نحن بصدده .. والذى بذلنا فيه جل الجهد ، وإن كان التقصير هاجساً دائماً خشيناه .. وما الكمال إلا لله .. سبحانه خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وحاك من عباءة الليل السوداء ثياب النهار البيضاء .. ونأمل أن يكون قد هدانا إلى عدم جحود من ذكرتهم من رواد القراء فى النصف الأول من هذا القرن .. فقد حرصت على إيراد حياتهم على ألسنة تلامذتهم وأبنائهم وزملائهم .. ولله الخلود كله ، وعلى رسوله السلام.. فقد كان واسطتنا إليه لينقل فرقانه الذى هو فى البدء ، وفى النهاية بلانهاية ، وفى الإعجاز عين الإعجاز.

حزين عمر

الشيخ على حجاج السويسى ..
ليس سويسياً

* أول أجـــر حـــصلت عليـــه ١٥٠ قـــرشـــاً !!

* ابنى صـــوته جـــميـل .. لكنى منعـتـــه من القـــراءة !!

* أبكيت وزير الإعـــلام الكويتى .. فـاســـتـدعــانى !!

* أخـطـأت فـى الـقــــــرآن .. وردَّنـى درزى لـبـنـانـى !!

* جلســاتنا الفنيــة .. كـان يشـاركنا فـيـهـا وزير الداخليـة !!

* مـــهـــر العـــرائس فى المغـــرب .. حـــفظ القـــرآن !!

* فى نـيـجـيـريا .. رفـضت « جـــردل » جنيـهــات !!

* وفى بـورمـــا .. حـــاولوا اغـــتـيـــالى !!

هذا الرجل حياته القرآن .. نشأ عليه ، وتربى فى أحضانه ، ومازال يختمه مرة كل أسبوع .. وهو لايرى القرآن تعبداً ، وقراءته أجراً فقط ، بل هو يرى القارئ فناناً ، والقراءة فناً رفيعاً كسائر الفنون الراقية.

وأعظم من ينافس الشيخ محمد رفعت ـ فى تصوره ـ هو أم كلثوم إذا قرأت القرآن . وإن كان هو لايستطيع أن ينافسها إذا غنى ، لأنه أُعدَّ للقرآن لا للغناء. !!

ورغم اتخاذ الشيخ على حجاج السويسى للقرآن مأوى ومتكأ فى كل حياته فإنه منع ابنه صاحب الصوت الجميل من أن يسلك طريقه ويصبح مقرئاً !!

فى بدء كلامنا سألت فضيلته :

** نلاحظ أن معظم المقرئين المعروفين ينتمون ـ جغرافياً ـ لمصر ـ أيرجع هذا للكثافة السكانية الكبيرة بها ، أم هو العمق التاريخى ، أم أشياء أخرى ؟!!

قال :

* مدارس القراءات فى مصر قديمة .. وهذا جعل الشباب والجمهور بصفة عامة يلتفت إليها ، ويهتم بالقرآن . والقراء . لأن أكابر القراء العالميين من مصر : الشيخ المناخلى ، الشيخ على محمود ، الشيخ رفعت .. وغيرهم .. وهى مواهب لن تتكرر مثل أم كلثوم وعبدالوهاب وصالح عبدالحى.

كانت الناس تعشق الفن .. وكانت القراءة فنا .. ولايمكن لقارئ أن ينال شهرة إلا عن جدارة وموهبة بلا مجاملات . وكان سماع الناس لهؤلاء المقرئين العظماء يدفعهم لحفظ القرآن .. فعائلتنا مثلا ليس فيها قارئ غيرى ، ورغم ذلك أحببت القرآن من هؤلاء المقرئين ، وسرت فى دروبهم.

** أتسمى عائلتك بالسويسى ؟!

* إنها عائلة حجاج .. والسويسى اسم شهرة .. دفعنى لحمله الشيخ الشعشاعى والشيخ مصطفى إسماعيل ـ رحمهما الله ـ حين قرأ الشيخ مصطفى اسمى قال : « إيه حجاج دى» ..

هو اسم صعب .. فلتختر اسماً للشهرة .. فالشيخ البهتيمى من بهتيم ، والشيخ الشعشاعى من (شعشاع) .. وكنت فى صغرى أزور أخى بالسويس ، الذى كان مهندساً بشركة (شل) ، وبعد عودتى للقاهرة سمونى (السويسى) . فقلت للشيخ مصطفى : ما رأيك فى اسم السويسى ؟! فأعجبه الاسم .. أما اسمى الأصلى فهو (على حجاج على جاد الكريم) ..

** فضيلتك اذن صعيدى .. من عائلة جاد الكريم بالصعيد ؟!!

* نعم .. نحن من مركز البدارى بأسيوط .. وكان حملى اسم (السويسى) هذا فى الأربعينيات .

** أى فى بداية وصولك للقاهرة ..

* لا .. أنا من مواليد القاهرة .. ففضيلة الشيخ محمد رفعت هو السبب فى أننى حفظت القرآن ، وأصبحت القارئ الوحيد فى أسرتى . لأن والدى كان باشكاتب المحكمة العليا الشرعية قبل الثورة . وكانوا يقيمون احتفالات كل عام بمناسبة الرؤية ومولد النبىﷺ .. وكانت المحكمة الشرعية العليا هى التى تنظم الاحتفالات . وكان والدى يأخذنى إليها وأنا صغير ، وأقلد الشيخ رفعت بعد أن أجلس إليه فى المسجد وأسمعه ، وأعود للبيت فأردد كل ما سمعته منه بدقة .

** أكنت تستطيع التقاطه وحفظه بهذه السرعة ؟!

* هكذا أذنى لديها الاستعداد .. فالقراءة والطرب والفن بعامة مواهب أو وراثة لاتعليم .. فالصوت لايتُعلم ولاالشعر ..

وقد سمعنى قريب لى فقال : يا شيخ على .. أتريد أن تكون مقرئاً أم مطرباً .. فقلت له : أريد القراءة .. فقال : لماذا تتعلم العزف على العود إذن ؟!! قلت : لأعرف فى قراءتى للقرآن من أية نغمة أقرأ : النهاوند ، أو السيكا ، أو الصبا ، أو غيرها .. وأعرف ميزات صوتى وعيوبه .

وقد تمكنت من عزف العود جيداً . وهذا جعلنى أفهم ما أقرأ.

** أدرست بمعهد الموسيقى العربية ؟؟

* درست عدة سنوات ، ولم أكمل للنهاية ، ولم أحصل على شهادته..

** ألديك عو دهنا أو أية آلة موسيقية ؟!

* ليس لدى .. لكن إخواننا الموسيقيين كانوا يحضرون إلىَّ كل ليلة هنا ، ومنهم من يضرب على العود أو الكمنجة ، نغنى التواشيح.

** أول مرة جلست أمام الناس وقرأت على ملأ منهم .. متى كانت ؟!

* كان لدىَّ تسع سنوات .. وكان ذلك لدى (عائلة حماد) بقليوب .. وقد صحبنى أبى حينها لصغر سنى . وفى تلك السن أيضا أقيمت مسابقة فى القرآن بالقاهرة ، ففزت بالمركز الأول ، وحصلت على جائزة (سبعين قرشا).

** أكان ذلك فى الثلاثينيات ؟

* أنا من مواليد ١٩٢٦ م ، وعمرى كان التاسعة . فحدث هذا فى الثلاثينات فعلا .

وأعطيت السبعين القرش لوالدى ، فأكملها ثلاثة جنيهات ، واشترى لى بها (كاكولا) وعمامة وحذاءً ، واشترى ساعة بربع جنيه !!..ومن حينها بدأت فى شق طريقى القرآنى ، فكنت أسمع القراء المشاهير ، وأذنى حساسة ، فألتقط ما يقرأون سريعاً.

فى ذلك الحين كان حفظ القرآن كاملاً - ولو كان الإنسان فى الخامسة مبرراً لدخول الأزهر.. ولم يكن المقياس هو السن . والحقنى أبى بالقسم النظامى ، واختبرونى ، ونجحت . ولكن بعد فترة أشار بعض أقاربى على أبى بتفرغى للقراءة وترك الأزهر ، حتى لاتشغلنى الدراسة عن هوايتى وموهبتى .

فأرسلنى أبى لأئمة تحفيظ القرآن ، وعلى رأسهم الشيخ أحمد السحار ، ولديه كُتَّاب من دورين ، تراه مضيئاً بنور القرآن ، وبدون وسائل صناعية ولايتقاضى أجراً.

** فممَ كان يتعيش ويتقَّوت ؟!

* كان بعض أكابر القوم ينفحونه نفحات سنية ، لمعرفتهم بخدمته للقرآن الكريم.

فى تلك الأحيان سمعنى فى إحدى المناسبات الأستاذ على خليل مراقب عام الإذاعة، فأعجب بصوتى .. وتقدمت لامتحانات الإذاعة ، وكان رئيس اللجنة الشيخ شلتوت قبل رئاسته للأزهر ، وأعضاؤها هم : مصطفى «بك » رضا - وكان عازف قانون - والشاعر محمود إسماعيل . فقال لى أحد العارفين : إذا شئت أن تنجح أمام الشيخ شلتوت ومصطفى رضا فعليك بتقليد الشيخ رفعت ، فهما يحبانه جداً ، وقلدته ونجحت فعلا.

ومما أذكره من طرائف هذا الزمان أننى أدخلت فئة القراء مع الفئات المستثناه فى الحصول على الخطوط التليفونية سنة ١٩٤٥ .. وكان عبدالمجيد بدر وزير المواصلات لديه مناسبة ، فاستدعانى عن طريق على خليل ، وقرأت له ورفضت أخذ أجر . فرد علىَّ هذا الجميل بإدخال تليفون لى فى دارى بعد أن وضع كل فئة القراء ضمن الفئات المستثناة ، حتى يصبح لى الحق فى تركيب التليفون .

** أول أجر حصلت عليه عن القراءة فى مناسبة .. كم كان ؟!

* كان ذلك فى ليلة قليوب .. وحصلت على جنه ونصف !! وكانت الليلة حينها للآخرين تبدأ بخمسين قرشاً حتى جنيه !! ولكن كان للفلوس حينها قيمة ، فقد كانت لى شقة إيجار من خمس غرف أدفع فيها أربعين قرشاً شهرياً !!

** وآخر ما وصلت إليه من أجر .. بعد الجنيه والنصف ؟!

* لقد وسَّع الله علينا ، وحصلت فى بعض الليالى على ألفى جنيه وثلاثة آلاف أحيانا .

** أتضع تسعيرة معينة ؟!

* لا .. إننى أذهب لمن يدعونى ، وأقرأ .. وخيركم من جاد بما عنده !! لكنى أحدد ما أريد إذا وقع علىَّ إلحاح بهذا الشأن.

** ألا ترفعها إلى خمسة آلاف كالشيخ عبدالباسط عبد الصمد ؟!!

* لا .. ولا أحدد لأحد شيئاً .. وهناك مشايخ غيرى يطلبون الأجرة كلها قبل الذهاب إلى المناسبة !!

** بمناسبة الملابس « الفخمة » التى اشتراها والدك لفضيلتك بثلاثة جنيهات .. يلاحظ أن « الكاكولا » لبس أزهرى ، وليس هناك زى خاص بقراء القرآن فى مصر .. ومع ذلك نراهم يحافظون على هذا السمت الأزهرى وليس الخاص بهم .. ألا يمكن أن يحيى واحد من القراء حدثا أو مناسبة وهو يرتدى قميصا مثلا ؟!!

** قديما كانوا يقولون « ما يصحش » !! أما الآن فيحدث هذا .. المهم أن يكون القارئ حافظاً ويجيد القراءة .. فليس شرطاً ملبس معين : يمكن أن يكون ببنطلون ، ببذلة ، بجلباب ، بأى ملبس .

وقديماً سألت أحد الشيوخ : لماذا لايلبس الشباب البذلة بدلاً من العمامة ومقتضياتها ؟! فقال : لكى يلتزم الشاب بهذا الزى ، وما يحتمه عليه من وقار . فلا يميل ولايخضع بالنظر أو الفعل أو القول : ! وسوف يفرض على نفسه الالتزام حتى يتعود .

** فضيلتك سجلت القرآن كاملاً للإذاعة ضمن مجموعة قليلة ممن فعلوا هذا من القراء : لايتجاوزون سته شيوخ من الموجودين بيننا حاليا .. كم استغرقت عملية تسجيله ؟؟

* سجلته كاملاً فى حوالى أربعة أشهر ..

** أحصلت على مقابل مادى له ؟!

* لا .. لقد سجلناه جميعا ابتغاء مرضاة الله .. ولم نحصل على أية مكافأة ... وقد باعوا تسجيلاتنا هذه للأقطار العربية الأخرى ، ونأخذ نسبة عنها فى هذه الحالة .

** أتحتاج عملية التسجيل للقرآن كله قد رات خاصة للقارئ أم أنها مجرد صبر ؟!

* إنه صبر وتمكن كبير ، ونية طيبة للتسجيل بغير مقابل ، وابتغاء مرضاة الله .

** ألاحظ أن القراء ينافسون المطربين فى تسجيلات شرائط الكاسيت التى تباع فى الأسواق . ألك تجربة فى هذا المجال ؟!

* قدمت تسجيلات خاصة بأجر ، لكن ليس كثيراً ، لتسهيل نشر القرآن .

وقد سجلت ختمة كاملة لإذاعة الكويت . وأقمت هناك بدعوة من وزير الإعلام بعد أن

سمعنى فى الأردن - فى ختمة سجلتها هناك - فطلبنى ، وقال لهم : أريد على حجاج السويسى . لقد أبكانى ، فأحضروه ليسجل لنا . وأقمت هناك شهرين سجلت فى خلالهما .

** أهذه بأجر ؟!

* نعم .. لكنى لم أحدد ما أريده ، وتركت لهم دفع ما يشاءون هم .

** أكان تجويداً أم ترتيلا ؟؟

* كان مرتلا .. وسجلت بعده مجوداً أيضاً فى الكويت .

** أظن الترتيل متيسراً لأى إنسان لسهولته عن التجويد !!

* لا .. أبداً .. المرتل أصعب من المجود ؛ لأن له طبقة مخصوصة يجب أن يسير عليها القارئ ويلتزم بها . وفى المجود نقرأ أية ونستريح .. ونرفع أو نخفض من طبقات صوتنا حسب راحتنا ، أما المرتل فيسير بغير مسافات بين الآية والآية ، وبلا تعدد فى الطبقات .

** الدكتور طه حسين قَسَّم الأدب العربى إلى شعر ونثر وقرآن .. ما رأيك فى هذا التقسيم الثلاثى ؟! سورأيك أيضا فيما سماه أمين الخولى « التفسير الأدبى » للقرآن ؟!

* « إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون » .. القرآن يفسر ، وقد حاول الكثيرون تفسيراً .. لكنه لايترجم :« قرآناً عربياً غير ذى عوج » .. ولايمكن التصرف فيه بأى حال .فيوماً قال قارئ : « محمد رسولُ الله - ﷺ - والذين معه أشداءُ على الكفار » فاستوقفناه جميعا لزيادة الصلاة على النبى فى الآية .

وفى إحدى المرات بلبنان كنت أقرأ ، وكان ضمن المستمعين أحد الدروز ، وأنا أقرأ سورة « الأنعام » وقلت : « .. وهو ربٌّ كلُّ شئ » وبعد أن أنهيت القراءة ردَّنى هذا الدرزى ، وقال : هو ربُّ كلِّ ، وليس « كلُّ » .. فتشكيل واحد فى القرآن خطأً يستوقف الناس ، حتى من الفئات رقيقة الدين .

فكل من يرغب فى التفسير فليفسر . وسيبقى القرآن هو القرآن .. وإنما لكل مفسر منهجه وطريقته ، بغير زيغ . وقد رأيت بالمدينة المنورة وأنا أزورها واحداً من العلماء الحجج

في هذا المجال ، هو الشيخ عبد الفتاح القاضي ، وكان مصححاً للقرآن الكريم في طباعته . فذكر لي أنه أراد ـ وبعض العلماء ـ تقسيم بعض الآيات في سورة الأعراب بما يتناسب مع معناها . وأرسلنا إلى علماء من مختلف دول العالم .. فأجمعوا كلهم على رفض أي تغيير ، ولو كان في تقسيم اية إلى آيتين.

** لكم في دار فضيلتك هنا جلسات خاصة مع هواة الفن وتدارس الدين وأداء التواشيح .. من الذى كان يحضر فيها .. وماذا كنتم تقولون ؟!!

* لم نكن نغني أي غناء ، وإنما هو مدح الرسول أو ذكر الله .. وبعض الأداء الفني الذي لايبعدنا عن العبادة حتى يكون مجلساً فيه أجر .

** ومن الذى كان يشارك فيه ؟!

* مجموعة منهم الأستاذ خورشيد مدير التعليم أيام وزارة المعارف ، وكان يعزف على الكمنجة .. وكان أيضا صديق اسمه أحمد كمال وكيل إحدى الوزارات وكان أحمد بدوى وزير الداخلية حينذاك ـ قبل الثورة .

** أكان يشارك وزير الداخلية هذا بالضرب على آلة موسيقية ؟!

* كان سّميعاً فقط .. وكنت لارتباطي بهذه الجلسة أحرص على حضورها كل ليلة وأحياناً أعتذر عن عدم إحياء بعض الليالي حرصاً على المشاركة فيها ، والاستمتاع بها .. وكنا ننقلها بين بيوتنا ..

** للقراء فيما بينهم « لغة سرية » ونكات و « تقاليع » وعادات خاصة بهم .. ماذا تذكر منها ؟!

* القارئ يجب ألا يكون صاحب نكات ، ولاغيره !!

** لكن الواقع يقول إن هناك فعلا !!

* نعم .. لكني لا أحب أن أشارك في هذا الجو !!

** ألا تسمع مثل هذه التقاليع والنكات ولو بالصدفة ؟!!

* لا .. وقتى الذى أجلسه فى بيتى أقرأ القرآن ، وأختمه كل أسبوع :

أبدأه يوم الجمعه تلاوة وأختمه يوم الخميس نفس الأسبوع .. كل يوم خمسة أجزاء غيباً . وقد ذكر لى أحد الأصدقاء أن لديه بعض الخلافات فى بيته ، وطلب منى أن أندب له بعض الشيوخ ليقرأوا له القرآن فى بيته ليذهب الحسد .

فقلت له : أخشى أن أرسل إليك بعض القراء ، ولايقرأون كما ينبغى ، فيحرك أحدهم شفته بلا قراءة !!

** بغير ضمير !!

* قلت له : سأقرأ أنا لك .. وختمت له القرآن كله فى منزله فى ثلاثة أيام فقط.

** بعض الناس من حافظى القرآن يستغلونه فى السحر والأحجبة .. وغيرها ..

* كلام فارغ .. « وننزِّل من القرآن ما هو شفاءً ورحمةً للمؤمنين»..

فتكفى قراءة القرآن فى المصحف بنية الشفاء أو اليسر أو قضاء الحاجة .. والسحرة لايستخدمونه هو ، إنما يعملون أشياء شيطانية . القرآن يفيد فقط ، لايضر . حتى إنه يقال إن شخصاً كان شديد الضيق بآخر لأنه يؤذيه فى حياته ، فلما مات راح يذهب كل يوم إلى قبره ويقرأ آية واحدة عدة مرات وهى : « خذوه فغلوه إلى الجحيم صلوه » لكى ينتقم الله منه، لأن هذه آية جهنم . فأتاه الميت فى الرؤيا يشكره . وقال له : لم أكن أعرف أنك تحبنى كل هذا الحب . فقال له : كيف ؟! إنى أكرهك لا أحبك !! قال : قراءتك القرآن كل يوم على قبرى رحمتنى !! . فالسحر لايكون بالقرآن أبداً .

** زرت فضيلتك معظم دول العالم..

* نعم ..كثير جداً منها .. لكنى لم أزر تركيا .. وقد زرت نيجيريا مثلا عدة سنوات بدعوات من زعيم إسلامى هناك كان صديقى ، اسمه الحاج إلياس .. وزرت ليبيا قبل الثورة وبعدها ، والجزائر . وزرت المغرب واستقبلنى الملك الحسن .. وهم فى المغرب فنانون جميعا ، ويحفظون القرآن ، حتى أطفالهم . ويحبون القارئ جداً . وكل إنسان هناك أعظم مهر يقدمه إذا شاء الزواج هو حفظ القرآن كاملاً . ومن يتقدم للخطبة

يسـألونه عن حفظه القرآن ، فإذا أكـد أنه يحفـظه يختـبرونه فيـه !! فإذا نجح يزوجـونه بلاشروط !!

** أكان قديماً هذا التقليد أم ما زال قائماً حتى الآن ؟!

* ما زال قائماً ومعمولاً به .

** أبرز الأحداث التى وقعت لك فى هذه الزيارات .. أتتذكرها ؟؟

* كلها أحداث طيبة .. ليس فيها أحداث مقلقة . وقد زرت بلداً فى نيجيريا اسمه (بادن) فى الشمـال .. وأحييت لهم حفله هناك ، وسجلها التليفزيون والإذاعة . بعد التسجيل رأيتهم يقدمون إلىَّ « جردلاً » بلا ستيكيا كبيراً مملوءاً بالجنيهات النيجيرية التى هى أغلى من الجنيهات الاسترلينية . وقد ملأه الحاضرون الذين استمعوا إلىَّ .. وقالوا لى : هذه هدية لك .. وفكرت فى لحظات سريعة فى أننى ذهبت إلى هناك لتمـثيل بلدى ، ولخدمة القـرآن .. ويمكن أن أتقبل هدية معنوية بسيطة ، لا هذه الأموال التى جمعوها بما يشبـه التسـول .. فأخذت « الجردل » ، وقلت لهم : تبرعت بهـذه الأموال لاتمام هذا المسـجد الذى أمامنا ولم يكتمل بعد !! وقد أرسل السفير المصرى هناك حينها تقريراً إلى وزارة الأوقاف بهذا الموقف ، وطلب إليهم أن يوزعوه على بقية القراء ليقتدوا بمثل هذا الفعل !!

وكانت إحدى زياراتى إلى بورما ..

** عدد المسلمين هناك قليل ..

* نعم ..البـوذية وغيـرها من الديانات غير السـماوية متسلطة هناك .. لكن المسلمين ـ كأقلية ـ أسرة واحدة يساعدون بعضهم . وقد وقعت لى حادثة هناك ، كانت ربما ستودى بحياتى ، هى أشبه بمحاولة الاغتيال ، لكن الله سلَّم !!

كان علىَّ فى إحدى السنوات أن أحيى شهـر رمضـان هناك ، وقبل سـفرى حذرنى أحد العارفين للظروف فى بورما من عدوانية البوذيين والهندوس تجاه المسلمين ، وخاصة أعلامهم : كالعلماء والقراء ، لأنهم يؤذونهم .. والإيذاء لديهم لايقل عن الذبح !! ولم آخذ هذا الكلام

بجديه .. وكان المنتظر لدى وصولى مطار العاصمة البورمية أن يكون فى استقبالى بعض موظفى السفارة المصرية .

وفوجئت بالمطار خاوياً على عروشه ، وليس فيه مقبل ولا مدبر فى وقت متأخر من الليل . ولست أدرى أية وسيلة للتفاهم اللغوى مع هؤلاء الناس الذين « لم أجدهم أصلا» !! وتجولت فى المطار ، ثم جلست على أحد المدرجات ، وأخذت أقرأ القرآن من مصحف معى .. وبعد برهة رأيت ثلاثة رجال يرتدون الملابس البوذية تسللوا ، ثم جلسوا قبالتى فى مدرج مواجه لى .. وراحوا يحدقون فيَّ بإمعان ، وبدأوا يتهامسون ، وتزداد نظراتهم غلا وتتطاير شزراً . فتوجست منهم ، ونظرت إليهم بتفحص فوجدت خناجر معلقة فى بنطلوناتهم . وتأكدت أنهم سيهاجموننى بين لحظة وأخرى ..

وإذا بى فى غمضة عين أقفز إليهم عدة أمتار صارخاً : الله أكبر !! ففروا مذعورين من أمامى !! وظننتهم سوف يعودون إلىَّ مرة أخرى بحشد أكبر فذهبت إلى مكاتب المطار ، ورحت أحاول فتح كل باب أجده فأراه مغلقاً حتى وقعت يدى على باب فتح لى، ولم أجد فيه غير « سويتش » التليفونات ، فرحت « أهبش » فيه وأخبط حتى ردَّ علىَّ ، فطلبت سفارة مصر بالانجليزية . فأوصلنى بها ، ونقلت إليهم ما يتهددنى من خطر ، فقطعوا الطريق من السفارة إلى المطار .. وهو يستغرق ساعة ـ فى ثلث الساعة .. ونجوت بحياتى !!!

** تجويد القرآن فى مصر يقال إنه مبالغ فيه إلى حد اقترابه من الغناء ، وهذا تشويه كبير له.. ماذا ترى فى هذه المقوله ؟!

* مادام القارئ يحافظ فى تجويد القرآن على المد ، والغنة ، وإظهار الحروف ، وتفخيم المفخم، وترقيق المرقق .. فله أن يتفنن كيفما يشاء ، لكن لايخرج عن حدود القرآن وقدسيته . فواحد من الناس صوته جميل ، وفنان ، ويقرأ من السيكا والصبا والنهاوند .. فما الضرر فى هذا ؟! وإذا قرأت أمام الناس بهذا الفن والصوت الجميل فلن يملوا سماع القرآن .. فالشيخ رفعت حين يقرأ يأسر السامعين ويأخذهم.. ويقال إنه كان يسمع اسطوانات أجنبية .. وكان منضبطاً مع شدة تأثيره.

فى إحدى الحفلات كنت أقرأ ، والناس يستحسنون صوتى ، ويقولون : الله .. الله !! فهبَّ رجل وقال : كفوا عن هذه الشوشرة .. ستدخلونا معكم جهنم !! فإذا بأحد العلماء الأجلاء يهب واقفاً ، وأمسك الميكروفون وقال له : ما أدراك أنك ستدخل الجنة؟!! ثم إنه ماذا حدث لتقول هذا ؟! إن القارئ يقرأ صحيحا ، وهو فنان ، وصوته جميل ، ولانريد أن يتوقف عن قراءته .. فما ضرك أنت ؟!

فتب إلى الله !!

** أهناك مدارس إقراء حاليا فى مصر . أم انكم جميعاً من قراء «حفص عن عاصم»؟؟

* لاتوجد مدارس . هى واحدة .. كما أن عادة وراثة القرآن والعلم بصفة عامة قد ينقرضون .. كان قديماً ابن العالم عالماً ، وابن القارئ قارئاً ..أما الآن فالقراء يرسلون أبناءهم إلى المدارس، ويعلّمونهم العلوم الدنيوية .. والأفذاذ من مقرئينا حاليا يتعرضون ، ولاتعويض لهم .

** هل تتوقع انقراض مهنة القراءة قريباً ؟!

* نعم .. هى تنقرض فعلاً .. رحل الشيخ الحصرى ولم يترك بديلا ، والشيخ مصطفى إسماعيل كذلك ، والبهتيمى ، والبنا ، والشيخ رفعت ، والشيخ على محمود، والشيخ الشعشاعى.

** لاحظت أن معظم المقرئين ينزحون من أرياف مصر أو ينقمون إليها .. أيعود هذا إلى صفاء الجو هناك مما ينقى النفوس والأصوات . أم أنه تدين الريف أكثر من المدينة .. أم هو اتساع الوقت بين أيديهم فيعكفون على القرآن ؟!!

* على مدى التاريخ ظلت العاصمة عندنا منبع الفن والقراءة والعلم فكان أهل الريف يقبلون إلى القاهرة ليتعلموا أو يعلموا ، ومنهم من يقيم بها ويعيش ، ومنهم من يتعلم ويعود إلى قريته .. وهناك حالياً قراء ممتازون فى الأرياف ، وفى الإسكندرية.

** أقصد أن القاهرة لم تقدم مقرئاً كبيراً ..

* الأصل الجيد هو القاهرة .. فى كل شئ ..

** مثل من ؟! ففضيلتك مثلاً من أصل صعيدى .. وهكذا جميع المقرئين من أصل ريفى ..

* نعم ..

** إجادة الغناء حالات : أحيانا يكون المطرب مجوِّداً ، وأحيانا يبدو غير قادر على العطاء بالشكل المعروف به .. والإبداع الشعرى هكذا : مرة يكتب الشاعر قصيدة عظيمة ، ومرة متواضعة .. هل قراءة القرآن فيها هذه الحالات ؟!!

* هى تجليات .. فأحياناً يكون القارئ منشرح الصدر والنفس ، ومرتاح الجسد .. فتبدو النورانية فى قراءته والتألق .. وإذا كان المقرئ مرهقاً أو يعانى مشكلة منزلية أو أسرية فلاشك فى أن صوته سيكون معكَّراً بعض الشئ ، وتنعكس عليه همومه الشخصية . وهذا ينطبق على الشعر ، وكل أجناس الفن الأخرى ..

إنها فنون تحتاج إلى الصفاء وخلو البال . فإذا كنت أعانى مشكلة مالية ، أو زوجتى مريضة ، أو ابنى ، فإننى أذهب للقراءة « أداء واجب » بغير الانسجام النفسى الذى أنشده.

** أتعتقد أن قراءة القرآن « فن » كسائر الفنون ؟!

* طبعا .. هى فن رفيع .. ولها مكسبان : مكسب مادى ، ويجب ألا يكون جشعاً ومكسب روحى فى الثواب .

** إذا انحصر لدى فضيلتك الاختيار بالنسبة لابنك فى أن يكون طبيباً أو مقرئاً فأيهما تختار له إذا كان مؤهلاً بنفس الدرجة لممارسة العملين ؟!!

** هذا الزمان لأتخير له القراءة .. كان هذا ممكنا من قبل .. أما الآن فأختار له مهنة الطب . فلدىَّ الدكتور جمال مدير مستشفى بالمدينة المنورة ، ومحمد : محاسب ، وعبدالرءوف : محاسب ، ومصطفى ضابط مهندس بالفنية العسكرية ، وأحمد : مدرس رياضة حديثة فى مسقط .. وحتى عبدالرءوف صوته جميل ، لكننى رفضت أن يشق طريقى.

زمان .. كان الناس طيبين . فإذا وجدوا موهوباً ناشئاً يحتضنونه ، ويساعدونه .. لكن

هذا الزمان تغيرت كل المفاهيم .. ولن يجد الموهوب من يفهمه ويقدره وغاب الحب عن الناس.

** أيحفظ أبناؤك القرآن ؟!

* حفَّظت كلَّ واحد منهم ثلثه : عشرة أجزاء . وكان هذا سبباً فى نجاحهم بالجامعة ، وفى حياتهم بعامة . وهم يراجعون ما حفظوه دائماً حتى لاينسوه.

(الشيخ رفعت .. أولاً !!)

** لاحظت أن القراء لايطلقون لحاهم .. هل هو موقف من الجماعات المتطرفة التى تحرص على إطلاق اللحى .. أم هو حرص « النجوم » على مظهرهم العام أمام الناس؟!

* اللحية اختيارية .. لاعلاقة لها بالمظهرية ولا بالمهنة .. « إنه لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .. فما دام القلب عامراً بالإخلاص والحب فليس مهما هذه الشكليات التى يختلف فيها الناس.

** لو أردنا ترتيب القراء .. ووضعناهم فى طبقات كما يوضع الشعراء فى طبقات .. كيف يكون ترتيبك لهم ؟!

* الأحياء أم الأموات ؟؟

** فى خلال هذا القرن : أحياءً وأمواتاً.

* يوضع الشيخ محمد رفعت أولاً ، ثم الشيخ مصطفى إسماعيل ، والشيخ أبو العينين شعيشع ، والشيخ عبدالفتاح الشعشاعى ، والشيخ الحصرى .. وكل الذين انتقلوا بصفة عامة أئمة ، وأكبر إجادة من الموجودين.

** والموجودون حاليا .. أين هم ؟!

* « كويسين » .. لكن ليسوا فى قامة الراحلين .

** من أفضلهم ؟!!

* كلهم جيدون .. إنهم مثل الفواكه.. ولكل ذوقه وميزاته .

** وأين تضع نفسك منهم ؟!

* أنا أقل الناس !!

** هذا هو الكلام الدبلوماسى !!

* إننى أقرأ .. ولا أبتغى إلا وجه الله ، وأراعى حياتى ، وأرضى عن حالى ، ولذا فأنا سعيد .

** معروف أن أم كلثوم كانت صاحبة حنجرة قوية جداً وعبقرية منفردة لم تحدث.. ماذا لو قرأت أم كلثوم القرآن .. أين كنت ستضعها من كل هؤلاء القراء الكبار ؟!

* كانت توضع فى القمة .. فى درجة الشيخ رفعت.

** أليست فوقه ؟!

* لايفوق الشيخ رفعت قارئ أبداً فيمن سمعتهم ..أما السابقون فربما يكون .. إنه قمة القمم.. ويلاحظ أن القرآن أفضل على لسان الرجل لا المرأة مهما كانت .

** أليست مسلمة مثله ؟!!

* لكن لاتقرأ على ملأ من الناس فى المناسبات والاحتفالات ؛ لأن صوتها عورة .

** وماذا لوغنى الشيخ رفعت .. أيكون فى قامة أم كلثوم ؟!

* لاأظن .. لأن استعداده ليس للغناء ، بل للقرآن . وهى كذلك استعدادها للغناء ، ولذا لو قرأت فلن تكون فى مستوى غنائها.

** ألم تغن فضيلتك من قبل ؟!

* غنيت فى قصائد المولد .. شعر دينى .. ولم أسجل شيئاً .. وهذه الأيام لايهتمون بمثل هذه الفنون الراقية.

** وما اهتمامات فضيلتك الأخرى غير القراءة .. أتقرأ الأدب مثلا ؟!

* الوقت الذى أقرأ فيه أدباً ـ أو غيره ـ أقرأ جزءين أو ثلاثة من القرآن أفضل !!!

الشـيخ

عبدالوارث عبد العزيز

* ضاعت ثروة أبى .. فلجأت لكتاب الله !!

* الشيخ نصر .. كان يحاربنى .. وعجزت عن رشوته بشلن !!

* قرأت بقرش صاغ .. و« قُفة قُرص » .. وكيله أرز !!

* استعرت الكاكولا والحذاء .. لأقرأ فى مأتم !!

* إخواننا المشايخ .. فى دمهم الفرفشة والمقالب !!

* القرآن قمة الطرب .. وشيوخنا حرصوا على حفلات أم كلثوم !!

* فتاة أمريكية طاردتنى إعجاباً بى .. فجريت منها إلى المسجد !!

* قرأت القرآن فى حديقة للعاريات بكاليفورنيا . فأسلمن !!

فى الحفل القرآنى السنوى لرحيل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد كان هذا الرجل قيثارة الليلة ، ونغمات المساء التى لم ينبهر بها عامة الناس فقط ، بل طار إعجاباً بها أساطين القراءة فى مصر .

فالشيخ عبدالوارث عبدالعزيز عرف فى الحياة أكثر من اسمه كتاب الله : تنزيلاً وتجويداً . . ويبدو بين قراء هذا الزمان حالة متفردة : فقد أخذ السلم من أوله : من هناك من الكفور والقبور والقرى . . ومن قرش وقرشين وخمسة قروش : وهو عذب الصوت بالوراثة : أباً وأماً . وقد قال عنه الشيخ أبو العينين شعيشع : أرى فيه شبابى.

وهذا الرجل الذى طالما سار حافياً فى قيظ الشمس ، ولايبل قلبه غير أى الذكر العظيم - على يديه ساق الله أفواجاً من الناس إلى الإسلام فى أمريكا . .

كيف حدث هذا ، وهو الذى لايعرف من الانجليزية غير لفظ (Egypt) ؟!!

فلندعه هو يجيب لنتألم ونسر معه فى وقت واحد . .

قلت للشيخ عبدالوارث عبدالعزيز :

** لاحظت استئثار (المنصورة) بجل الجمال . . لكنها ليست كمحافظة (قنا) فى تخريج القراء . . فقنا مثلا قدمت الشيخ عبدالباسط وابنه طارق والشيخ أحمد الرزيقى . . وغيرهم من المشاهير . . وفى مدينة المنصورة تبدو فضيلتك منفرداً فى هذا المجال . . إلى أى الأسباب يرجع هذا الفقر فى مجال القراءة . . وما إذا كانت البيئة تؤثر سلباً أو إيجاباً فى تخريج القراء ؟!!

قال فضيلته :

* محافظة الدقهلية ومنها المنصورة - غنية بالقراء . ونأخذ مثالاً الشيخ أبو العينين شعيشع وهو يعد من فلتات الدهر ، ومن القراء الذين أرسوا قواعد فى مجال التلاوة وكيفية أداء القرآن الكريم . والمنصورة بها نخبة كبيرة من قراء الإذاعة.

** المدينة نفسها ؟!

* فى قرى المنصورة ومحافظة الدقهلية كلها .. نذكر منهم الشيخ أحمد أبو المعاطى ، الشيخ محمد محمود طنطاوى ، محمد سيد ضيف ، حلمى الجمل .. وهناك شباب كثيرون لم يؤهلوا للإذاعة بعد وهى غنية بالكتاتيب . وللكتاب الفضل الأول فى حفظى القرآن الكريم ، ولولاه ما حفظته . لأن والدى - رحمه الله - أدخلنى الكتاب وسنى أربع سنوات . كانت عادة الريف لدينا أن الطفل بعد أن يتعلم المشى والخروج إلى الشارع - بترابه وطينه - يلتحق بالكتاب .

** ومن أية قرية فضيلتك ؟

* قرية اسمها (عزبة البرامنه) تابعة لكفر الشناوى شربين - محافظة الدقهلية .

** إذن لست منصورياً !!

* مسقط رأس والدى (البرامون) مركز المنصورة .. تبعد هذه القرية عن المنصورة عشرة كيلو مترات . وكان والدى فلاحاً ، وثرياً صاحب أراضٍ وأملاك أخرى . لكن الله لم يمن عليهم بالأطفال . فقد مات قبلى سبعة أبناء لهم فى عمر سنتين إلى أربع سنوات .. وحين « شرَّفْت » أنا كنت لديهم « فرخة بكشك» !!

** فى أى عام كان هذا « التشريف » ؟!

* عام ١٩٤٣ .. وكان لدينا خدم فى المنزل وعمال زراعة فى الحقول ، وكانوا يدورون بى على أضرحة الأولياء لأعيش !! وحين بلغت أربع سنوات ألحقونى بالكتاب ؛ فبدأت أتعلم على يد شيخ اسمه (الشهاوى) بقرية (كفر الشناوى) المجاورة لقريبتنا ..

وكانت والدتى « تشحن » لى « مخلتى » بالطعام وتملأ منديلا « بالمعلوم » لسيدنا ليفطر به صباحاً.

** وما ذاك المعلوم ؟!

* أكله لذيذة : فطيرة أو عدة « قُرصَ » طازجة أو غيرها ، ليهتم بى ويخلص فى تعليمى وكان العام الأول من عمرى فى الكتاب دراسة الحروف الهجائية وكيفية القراءة والكتابة فى اللوح الذى كان من الغبر الأسود المزخرف بالخشب .. وكان القلم من الإرتواز .

وفى العام الثانى حفظت جزءاً من القرآن . ثم التحقت بالمدرسة وأهملنى الشيخ شيئاً ما .. وكان أبى جميل الصوت ، ويقلد مصطفى إسماعيل ومحمود على البنا ، ويغنى لأم كلثوم .. ووالدتى كذلك صوتها حلو ، فأخذت أغنى مثلهما !! وبدأ اهتمام عمتى بى منذ ذلك الحين .. وكانت تقيم بمدينة المحلة الكبرى فأخذتنى لأقيم معها حتى تضمن نجاحى وتفوقى ، والتحقت بالمدرسة الابتدائية التى كان زوج عمتى ناظراً لها بالمحلة . وقد علمنى هذا الرجل كيفية نطق الحروف ، وأرسى لدىَّ حفظ القرآن فى الجزء الذى كنت أحفظه .. وتعرضت فى أثناء إقامتى بالمحلة لمرض طويل انتقلت على إثره إلى القرية مرة أخرى والتحقت بمدرستها . وعدت إلى الشيخ الشهاوى ، وإضافة للدراسة لكن الشهاوى اهملنى . فنقلنى أبى إلى قرية (باشنديل) بجوارنا لأتتلمذ على المحفظ فيها (الشيخ عبدالحافظ) بناء على وصية عمى الذى كان يحفظ القرآن كله ، لكنه ليس محفظا . واختبرنى الشيخ عبدالحافظ بأن طلب منى قراءة شئ ، فقرأت له بصوت جميل فبكى .. وبعد عام من هذا كنت قد حفظت نصف القرآن . وفى خلال السنة الثانية ختمته..

ومع إجادة التلاوة تعلمت أحكام التلاوة . فحفظته مجوداً منذ البداية .. ولذلك دفعنى سيدنا للقراءة فى المناسبات والليالى وعمري عشر سنوات .

** بأجر ؟!

* لا .. تشجيعاً .. وقد ضاعت ثروة أبى : ضحك عليه بعض الناس فباع أرضه ، ولم يدع لنا شيئاً . فوعيت على الفقر ، ولذلك ركزت على القرآن . وتركنا أبى وذهب يعمل خفيراً فى مصنع أخته بالمحلة .. وتحملت عبء الحياة مع أمى التى بدأت تمارس التجارة .. وكنت أطبخ وأنظف البيت وأرعى إخوتى الصغار !! فقد كنت أشفق عليها لأنها تحمل على رأسها أكثر من خمسين كيلو من الخضروات وتسير سبعة كيلو مترات فى قيظ الشمس

حافية . وأحياناً كنت أذهب معها فأخلع لها حذائى تلبسه ، وأسير أنا حافياً أتلظى بلهيب الأرض من أسفل والشمس من أعلى !!

وفى إحدى رحلاتها التعذيبية هذه من البيت إلى السوق سمعتْ الشيخ عبدالباسط ـ رحمة الله عليه ـ يقرأ ، فقالت لى داعية الله : أشوفك زيه !! قارئاً للقرآن الكريم .

** أكنت حينها قد ختمت القرآن ؟

* نعم . كنت قد ختمته على الشيخ عبدالحافظ فى الكتاب .. وأراد أهل القرية تشجيعى فخصصوا لى « رواتب » فأقرأ بكل بيت مقابل « نصيب » من الزروع فى نهاية موسم الحصاد : قمحاً أو أرزاً أو شعيراً أو أذرة .. ما بين قد حين إلى كيلتين !!

وفى المواسم أخرج إلى المقابر للقراءة بمصاحبة السيدات من قريتنا لأقرأ لهن .. وكل المشايخ فى ناحيتنا تلك حينها يستعدون لهذه المناسبات ، ويحضر كل منهم بجواله أو مقطفه ليعبئ فيه « القُرصَ » والفواكة التى تمنحها له السيدات نظير القراءة.

** ألم تتشاجروا مع بعضكم كقراء على جنى هذه الحصيلة ؟!

* .. لا .. لقد كانت كل المشايخ « على مستوى » .. أصحاب كتاتيب ، و« عيال » أكبر منى جميعاً يتسابقون لكن لاتشاجر !!

** بعضهم لايحفظ غير سورة الإخلاص ويجلس « يكروتها » فى لحظات ، ولا تستبين منه أى لفظ ، ثم يعيدها نفسها عدة مرات .. فكأنه يقول آيات كثيرة .. والنساء جالسات لايفهمن شيئاً !!

* لم يعملوها حينذاك !! هذا الكلام يحدث الآن فقط .. أما فى زماننا فلو حتى كان « عريفى » أنا أو أى من المحفظين الموجودين فى المقابر حينها سمع أننى أكرر الآيات لضربنى !! فهذا يعنى أننى لست حافظاً.

** أيشترط حفظ القرآن كله ليقرأ على القبور ؟!

* ليس كله .. نصفه أو ربعه .. لكن لابد من وجود حصيله . على عكس هذه الأيام التى يحفظ فيه « الواحد » آية ويخرج إلى مقابر الإمام الشافعى أو البساتين مرتديا جلباباً ويمر على النساء قائلاً : بالرحمة .. بالرحمة !! .. لقد كنا معروفين .. فتنتدبنا النساء بالاسم.

** أكثر من قارئ يقرأ على القبر الواحد ؟!

* حسب قدرات النساء المالية .. يمكن أن تندب ثلاثة أو أكثر أو أقل .. لكن أن يأتى «عربجى» - لاقدر الله - ويترك عربته على أبواب القبور فى هذه المواسم ليدخل وسط المولد .. فهذا لم يكن من الممكن أن يحدث فى زماننا !!

* أيشترط قراءة نوع معين من الآيات على القبور بحيث لايكون فيها (الجحيم) مثلا؟!

* المتبع هو قوله تعالى :« فأقرأ ما تيسر منه » .. أى مكان من القرآن يمكن أن يلقى فكله عظه وحكمه وقصص وتشريع .. وغيره .. فليس من المعقول حينما أقرأ على القبر أن أقول :

« يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم » !! أو « يوسف أعرض عن هذا » !! فلأقل إذن : « يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى».

** أكنتم تقولون جميعا نفس الآية ؟!

* هناك آيات كثيرة لهذا الموضع .. كأن يقرأ أحدنا : « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا » ويقول آخر : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة» .. والهدف فى النهاية اننى أقرأ ويُوصل الله سبحانه الثواب إلى المتوفى ، والمستمع يتعظ أنه سيكون فى يوم ما بنفس هذا المكان وله نفس المصير.

** ألم تكونوا تتعرضون لمضايقات ممن يندبونكم للقراءة ؟!

* غالبيتهم لم يكن حافظا .. فكيف يضايقنا ؟! هو يريد أداء سورة معينة فقط .. فهناك من يطلب قراءة الرحمن أو يس مثلا ..

** لكن (يس) طويلة .. أظن أجرها مضاعفا ؟!

* الأجر هنا معروف .. وهو أننى سآخذ « القفة » التى معها بما فيها من فواكة و« فطير » و« قرص» وخبز !!

** وماذا كنتم تفعلون بهذه (الخزينة) من المواد الغذائية ؟!

* أحياناً كان يمر على بيوتنا أعراب مثل « المداحين » عازفى الربابة والطلبة فنخرج لهم مما لدينا من «خير» والحبوب التى كانت تصلنى مع كل محصول كنت أخزنها فى الصوامع .

** من المعروف أن خروج النساء إلى القبور وما صحبه من عادات جديدة كله بدع ..

* هذه العادات تحدث فى الآونة الأخيرة .. أما عندنا فى القرية وفى زماننا فقد فعلوا مثلما قال النبى : (إنى قد نهيتكم عن زيارة القبور .. ألا فزوروها) .. فقد نهى النساء عن هذه الزيارة ، ثم أباحها لهن للموعظ والعبرة .. وليس كما يفعلون اليوم بأن ينتقلوا بقضهم وقضيضهم بعربات ويبيتون فى المقابر لمدة ثلاثة أيام أكلاً وشرباً فى مقابر القاهرة.. إن الميت يتأذى .. أما فى الريف فحالة مستحيلة : فالسيدات تخرج بعد صلاة العصر فى وقت الهدوء ، ولايتعدى وجودهن الساعة .

** وحكاية (الصدقة) من التمر والخبز والفاكهة والفطير والقرص .. أليست ببدعة؟!!

* ليست بدعة .. « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .. إنه إنفاق لابدعة .

** فى هذا المكان وهذا التوقيت على وجه التحديد .

* فى أى مكان كانت .. لنفرض أنك دعوتنى للقراءة فى البيت بدلاً من الذهاب إلى القبر وأعطيتنى أجرى .. أهذا غلط ؟!

إن زيارة القبور ليست بهدف توزيع القُرصَ أو السلع الغذائية باسم (الرحمة) .. وإنما نذهب إلى هناك لنقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. أنتم السابقون ونحن بكم - إن شاء الله - لاحقون ..) ثم نقرأ الفاتحة أو ما يتيسر من القرآن .. وأقول (اللهم بَلّغ ثواب ما قرأنا ونور ما تلوناه هدية منا واصلة إلى شرف النبى محمدﷺ - ولأرواح إخوانه من الأنبياء والمرسلين وذرياته وآل بيته .. ولخصوص من اجتمعنا وقرأنا بسببهم .. الفاتحة) !!

وعلى رأى وشيوخنا - ولست فقيهاً ، أنا قارئ للقرآن فقط - قالوا إن هذه الأشياء تقدم كهدايا للأموات ، يأخذونها منك على طبق من نور .

** الحديث الذى يقول (إنى قد نهيتكم عن زيارة القبور .. ألا فزوروها) .. لم يقل : ألا فزرنها .. فهو يخاطب المذكر لا المؤنث !!

* لا يا مولانا !! النبى ﷺ - وما ينطق عن الهوى - إذا قال القرآن : « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » فإنها تنطبق على المرأة وعلى الرجل.

** تبعاً لقاعدة التغليب فى اللغة العربية ؟!

* نعم ..

** لكن المعنى العام للحديث هنا يقصد الرجال ..

* هو لهم جميعا : رجالاً ونساءً !!

** وبعد أن قالت السيدة والدتك لفضيلتك عن الشيخ عبدالباسط : أتمنى أن تكون مثله .. ماذا تم بعد ؟!

* كان يوماً شديد الحرارة فى رمضان وألحت علىَّ أن أفطر فلم أوافق ، رغم الجهد الجهيد الذى كنت أبذله والإعياء الذى ينالنى فى صغر سنى .

وفى السنة الخامسة الابتدائية كان لدينا فى قرية (البرامون) شيخ مشهور فى الدقهلية ، ونعتبره - كمتدئين - قددة لنا ، واسمه الشيخ (نصر يوسف خليفه) وكنا نقلده فى قراءته .

** أكان معتمداً بالإذاعة ؟

* لا .. كان جميل الصوت وقارئاً على مستوى عالٍ ، ويقلد الشيخ محمد رفعت بدقة تامة..

وكانت دراستى المدرسية تساعدنى فى توطيد علاقتى بكتاب الله .. فقد كان لدينا حصة للقرآن يدرسها لنا شيخ « معمم » لا« مدرسة» !! وحتى مادة « الفلاحة» التى يسمونها اليوم

(زراعة) كان لها أستاذ متخصص لتدريسها لنا . وليس كاليوم «الأبلة» تدرس الرياضة والعلوم والإنجليزى والعربى !! . إن ابنى الصغير (على) يصحح لمدرسته الآيات القرآنية !!

** أيحفظ القرآن ؟!

* ليس كله .. لكن الآيات التى يدرسها فى المدرسة أصوِّب له قراءتها هنا .. وحين تقرأها مدرسته يراها خطأ فيصوب لها قراءتها !! وهذا عائد لغياب التخصص ، وعدم العناية بالقرآن على وجه التحديد .. ومنذ أن ألغى الكُتاب فسد التعليم .. فالطهطاوى والرافعى وطه حسين وحتى محمد عبد الوهاب وأم كلثوم كلهم خريجو الكتاب ..

** هل أكملت الدراسة المدرسية ؟!

* حتى السنة السادسة الابتدائية .. وحين سمعنى الشيخ إبراهيم الذى كان يحفظنا القرآن بالمدرسة قال للناظر فى الاحتفال بعيد الأم : إن لدىَّ طالباً ممتاز الصوت فلا تحضر الشيخ نصر - الذى كنا نبهر به - فلدينا الطالب عبدالوارث سوف يقرأ .. وأجلسونى على ترابيزة كبيرة ، وجعلوا ظهرى لأولياء الأمور حتى لا أرتجف وأنا أقرأ !!

** أول مرة تقرأ فيها على الجمهور تجويداً ..

* نعم .. تجويداً .. وكانت أول قراءة : « قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» .. « فظاطت » المدرسة كلها .. وقال الشيخ إبراهيم لأبى : يا عبد العزيز .. عبد الوارث والقرآن يا عبد العزيز !! ألحقه بمعهد القراءات .. ولكنى ظللت بالقرية مكتفيا « بالرواتب » التى تصلنى فى المواسم من قراءتى بالبيوت . وكنت كلما حاولت القراءة فى مأتم يرفض الشيخ نصر هذا ، ويمنعنى مساعدوه من الحديث إليه . وكان كلما طلب منه الناس أن يسمح لى بالقراءة فى ليلة على سبيل التشجيع كان يرفض .. حتى إن بعض الناصحين قالوا لى : ادفع قروشاً لمساعده حتى يتوسط لدية لإعطائك فرصة لأن تقرأ فى أحد المآتم !! وكان (الشلن) حينذاك شيئاً عظيما .. فبعد أن تركت المدرسة من السنة السادسة كنت أعمل فى الحقول طوال اليوم بعشرة قروش .. فكيف أدفع له شلنا ؟!!

** ألم يكن من الممكن أن تدعوك الناس مباشرة للقراءة ؟!

* كانوا يدعوننى بعد أنفضاض المعزين وفك السرادق ، لأقرأ فى المنزل لا فى السرادق والميكروفون !! فلم يكونوا واثقين فىَّ حتى ذلك الحين .. وحتى محاولة تقديم الشلن باءت بالفشل لرفضه هو !!

وفى مأتم بقرية الشيخ عبدالحافظ محفظى طلب منى إن أقرأ فيه .. وكان القارئ الرئيس لليلة هو الشيخ (الحلوانى) أشهر قارئ لدينا هناك .. فقرأت : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم الوارثين » فبكى شيخى ، ، وقال له عمى : بوركت يا شيخ عبدالحافظ !! وكان عمرى اثنى عشر عاما ، فأجدت وهلل لى الناس ، وإن كنت أقرأ سماعياً : بدون ترتيب نغمى .

وبدأ الناس يندبوننى من يومها للقراءة فى المآتم قبل الشيوخ الأساسيين ..

وخاصة لدى فقراء الناس الذين كانوا غالباً لايقيمون سرادقات .

** وكم كان أجرك فيها ؟!

* كان منهم من يدفع لى خمسة قروش فى الليلة .. ومن لايدفع نقوداً أصلاً ، وأنتظر حتى موسم حصاد الأرز يرسل لى منه نصيباً . وحصلت مرة على ثلاثة قروش ، بل وفى إحدى الليالى ظللت « أفقع » طوال الليل وأعطونى قرشاً واحداً !! وكنت أتعشى ويعيدوننى إلى المنزل مكرماً راكباً حمارة !!

وقد مت إلى القاهرة مع أسرتى . وأقمنا فى (المطرية) .. وظللت أتخبط حتى دلنى بعض الناس على مسجد بدأت أقرأ فيه بمائتين وخمسين قرشاً .. ودلنى رجل على طريقة للتكسب بأن أمر على المحلات لأقرأ فيها .. ففعلت هذا على سبيل التجريب ، وظللت أمر على المحلات من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً فلم أجمع غير ١٧ قرشا !!

وحين عدت إلى البيت وقدمتها إلى والدتى بكت .. وتبت بعدها عن هذه العملية !!..

وقد دعانى رجل طيب إلى القراءة فى مسجد له بخمسة جنيهات شهريا ، ثم بدأ يجلب لى بعض الليالى فى المنازل .. فأنا لم أكن أملك كاكولا ولاعمامة ..

** ألا يمكن أن تقرأ بدونهما ؟!!

* كيف أدخل « الشغل » بالجلباب والطاقية ؟! .. ثم ألحقنى صاحب هذا المسجد وكان اسمه الشيخ رشاد ببولاق أبو العلا - بمعهد القراءات عام ١٩٦٠ وعمرى ١٧ عاماً .. وكان هو خطيباً عظيماً . وحصلت من المعهد على أجازة حفص فى سنة .

وجاءتنى مناسبة للقراءة فى مأتم فاستغرقت الكاكولا والحذاء والعمامة من أحد جيرانى الأزهريين ، وكنت أملك الجورب !! وقرأت فى الليلة ، فحدثت فى المعزين ثورة إعجاب . وكان فتحاً عظيماً . فتهافتت علىَّ الدعوات بعدها .. وكان ذلك ١٩٦٠ .

** هل اكتفيت بقراءة حفص فقط من معهد القراءات ؟

* توقفت عن استكمال الدراسة به مؤقتا حتى عام ١٩٨٠ فحصلت على الشهادة العالية بعد ثلاث سنوات .

** متى كان اعتمادك بالإذاعة ؟

* فى ٢٦ من ديسمبر ١٩٩١ .

** أجاء نجاحك فى لجنة الاستماع من أول مرة ؟!

* لا .. أول مرة دخلت فيها ارتبكت .. لم استطع القراءة .

** مع أنك اعتدت من قبل أن تقرأ أمام آلاف الناس !!

* لقد قالوا هم هذا .. لأنهم سمعونى من قبل .. لكنى خفت .

** وماذا حدث لمناوئك الشيخ نصر ؟!

* قبل أن أنتقل إلى القاهرة كان عودى قد بدأ يشتد فى القرية والقرى المجاورة لنا .. وذهبت فى ليلة إلى قرية (البرامون) فى عزاء لدى أقارب لنا ، ففوجئ بى الشيخ نصر .. وكان

قارئ الليلة .. فدعانى الناس للقراءة ، فقرأت سورة (الزمر) .. وبعدى قرأ هو نهاية (القمر) وأول الرحمن ثم ختم الليلة .. فقالوا له : لماذا تختم؟! إن ابننا عبدالوارث سوف يقرأ !! فقال : هذا يكفى .. لماذا يقرأ مرة أخرى؟! أنا شيخ الليلة !! فقالوا له : لقد جئت لتؤدى واجبك فقط . ومن حق عبدالوارث أن يأخذ حقه .. وأصر هو على عدم قراءتى ، وأصروا هم على أن أقرأ !! فقرأت فعلاً ، وكان عمرى حينها ١٤ عاماً .. وهلل الناس وكبروا لى .. فغضب هو وترك الليلة .. « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . فيوماً ما رفض أن أقرأ معه فى قريتى ، وقال : إنه عيل !! أقرأ مع عيل ؟!.. المهم أننى قرأت « إذا الشمس كورت» وهب المعزون واقفين صارخين إعجاباً .. فواصلت (بالتكوير) و (الانفطار) و «يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم » .. وبعد هذه الواقعة وعنداً فى هذا الشيخ - أصبح أهل القرية يدعوننى فى كل صغيرة وكبيرة من المناسبات .

** الشيخ نصر هذا مجرد نموذج واحد للصراعات الخفية بين القراء !!

* هى غيرة ، وليست نفوراً من أحد .. فطبعى أنا لو قرأت مع الشيخ أبو العينين شعيشع - وما أدراك ما أبو العينين ، هو صرح - فهل أقارن نفسى بخبرته وصولاته وجولاته فى جميع أنحاء العالم والمجالس الراقية ، فهل أنطح حينما أقرأ معه ؟! لا .. إنما أفرح .. لأن هذا الاسم سوف يرفعنى ويعلمنى ويفيدنى . آخذ منه المحاسن التى تنفعنى مستقبلا.

وأنا بالتالى إذا قرأ معى واحد - لا أقول أقل - إنما أصغر سناً سأعطى له نفس الجرعة من التعليم.

** أظن الشيخ أبو العينين لايقرأ هذه الآونه بحكم سنه ..

* هو ليس فى حاجة إلى ذلك .. ليس هناك قارئ قرأ مثله .. إنه يدعى لليالى فيرفضها ، ويرسلها لزملاء آخرين . والشيخ أبو العينين قدوه تحتذى.

** للقراء نكاتهم ومقالبهم الطريفة جداً .. لكنها فى العادة بعيدة عن السياسة كلها نكات اجتماعية أو فئوية أو مهنية - لا أقول دينية - أهو توجه عام لدى هؤلاء القراء بألا يتحدثوا

فى السياسة أم هو توجه شخصى . ماذا تتذكر من هذه الطرائف ؟!!

* بالنسبة لإخواننا المشايخ فى دمهم الفرفشة !! طابت ، غابت ، خربت ، طلعت نزلت يضحكون !! المهم أن يكون مزاجهم متسلطناً !! فما دام مزاج الشيخ رائعاً فسيقرأ بإجادة . حتى لو كان قد أكل خبزاً ولفتاً أو مشاً .. لاتصدق أن الأكل يحسّن أو يضعف الصوت .. الأكل أياً كان إذا رضى به الإنسان ستنتقل ملوحته من ضرر إلى إفادته بأمر الله . !!

فالمشايخ - وخصوصا المكفوفون - عبارة عن كتلة من اللهيب المضحك .. ومن الطرائف التى حكيت لنا أن اثنين من القراء فى سهرة لهما .. كان أحدهما محبوباً أكثر لدى الجمهور ، ويقرأ بالقراءات السبع ويتفنن ويلّون .. أما القارئ الثانى فواقع فى حيص بيص زميله المجيد .. فأراد أن يوقعه فى مقلب .. فنادى صاحب الليلة ، وقال أتعرف لمن يقرأ هذا الشيخ ؟! فقال الرجل : يقرأ لأبى .. فقال له : لا .. والله .. هو لايقرأ لأبيك . وإذا لم تصدقنى اسأله !!

فذهب إليه الرجل وسأله : يا مولانا . فضيلتك تقرأ لمن ؟! فقال له الشيخ : أقرأ لحمزة !! فقال له الرجل منفعلا : حمزه مين ؟! لقد أحضرتك لتقرأ لأبى لا لحمزه !! والله لا أدعك معنا .. فاذهب عنا !!

** ظاهرة شاعت على مدى تاريخ القراءة فى القرن التاسع عشر والعشرين .. هى تحول بعض القراء إلى مطربين وملحنين كالشيخ إسماعيل سكر والشيخ زكريا أحمد .. وغيرهما .. ما قولك فى هذه الظاهرة ؟!

* لم أعاصرها لأحكم عليها !!

** لدينا الآن الشيخ سيد مكاوى ..

* الفن فى حد ذاته أقره الدين ، وليس فيه غضاضة . وأنا أسمع أن مشايخنا : مصطفى إسماعيل والبنا وعبدالباسط . وأطال الله فى عمر الشيخ شعيشع كانوا يذهبون خصيصا

لسماع السيدة أم كلثوم فى حفلاتها .. فالقرآن كله طرب .. هو قمة الطرب .. وحين اعتمدت بالإذاعة ، وكنت أقرأ سماعياً بدأ أعضاء اللجنة الممتحنة يعوقوننى لأتعلم المقامات الموسيقية .. فلجأت إل الملحن كمال إسماعيل لأتعلم .. وكان له الفضل فى أن فتح لدىَّ (القرار) وكان من قبل معدوماً عندى.

وكل قراءاتى كانت (جوابات) تقريبا .. القرار هو التهدئة فى الصوت.

ثم إن الشيخ (زكريا أحمد) ، أشرد به الغناء الذى أداه عن دينه ؟!

** لا .. طبعاً.

* الشيخ سيد مكاوى .. الأداء الذى يؤديه أفيه نوع من (الهلس) ؟!

** لا ..

* الشيخ سيد درويش - رحمة الله عليه - ألحانه وموسيقا تدرس حتى الآن .

** مادام الأمر كذلك .. إذا عرض عليك أن تغنى .. أتوافق ؟!!

* يمكن إذا كان غناءً دينياً : ابتهالا .. أما أن أغنى أغنية كمطرب شعبى مثلا فمستحيل وقد حاولت مرة أن أقدم ابتهالاً فعجزت !! فالأداء القرآنى موهبة ، والإنشاد الدينى موهبة كذلك .. وقد حفر بداخلى مسلك القرآن الكريم . وهناك قارئ لديه ذكاء أكثر استطاع أن يجمع بين القرآن والابتهال ، كالشيخ الطوخى ، والشيخ سيد النقشبندى ، والشيخ طه الفشنى..

** سفرياتك إلى الخارج إلى أى الدول كانت ؟؟

* سافرت إلى دمشق كثيراً ، وأنا هناك كقارئ بالإذاعة والتليفزيون .

وقرأت بالمسجد الأموى وكذلك فى بغداد . وسافرت ألبانيا واستراليا وأمريكا .. وخرجت من رحلاتى هذه - وخاصة فى البلاد الأجنبية - بأن هناك تآلفاً وحميمية بين المسلمين هناك . فالقوميات فى بلاد الاغتراب معدومة .

وفى زيارتى لكاليفورنيا بأمريكا أخذونا إلى حديقة فى يوم العطلة هناك (الأحد) ومعنا مكبر صوت وواعظ .. وطلبوا من الواعظ الحديث إليهم عبر الميكروفون . فقال : أأتحدث فى حديقة - وكانت بها من ترتدى المايوه ومن يلهو بصديقته ، ومن يغنى ، ومن تسير عارية تماما !! - فأخذت أنا المكبر وبدأت أقرأ القرآن .. فالتفت حولى هؤلاء السيدات العاريات ، وجلست معنا وتساءلن عنى !! فعرفهن المسلمون الحاضرون بى .. فكان إعجابهن كبيراً . وقد دخل الإسلام فى هذا اليوم منهم - نساءً ورجالا - حوالى خمسين شخصاً ، بعد أن تحاور معهم المسلمون بالانجليزية حول الاسلام وعرفوهم به جيداً ..

وقد قدموا إلى المركز الإسلامى هناك ، تلقوا تعاليم التطهر والدخول فى الإسلام فاستحموا رجالاً ونساءً.

** هل استحموا جميعاً فى حمام واحد ؟!!

* لا .. طبعا !!

** لو كان قد حدث الاستحمام المختلط لدخل ناس كثيرون الإسلام !!

* .. فى هذه الزيارة أيضاً كان الجو حاراً بأحد الأيام فخلعت الكاكولا ، وذهبت إلى المسجد سيراً على الأقدام « بالقفطان » لأصلى . وأثناء سيرى جرت ورائى سيدة شبه عارية . وتحدثت إلىَّ بما لا أفهم ، غير أنى عرفت أنها أعجبت بى !! وقد خفت فجريت إلى المسجد !! وحين وصولى استنجدت بالإمام فقال لى بعد محاورتها : إنها معجبة بك !! فقلت له : يا سيدى متشكر وفى يوم آخر ذهبت إلى (مغسلة عامة) ففوجئت بنفس السيدة ومعها أخوها وأمها ، فطاردتنى مرة أخرى !! وحكى مرافقى لها ولمن معها عن الاسلام . فجاءوا جميعا إلى المركز الإسلامى - هى وأسرتها - وأعلنوا إسلامهم.

وقد دعونى لأعقد قران شاب مسلم على فتاة مسيحية .. فاقترحت على العروس وأهلها الإسلام فوافقوا بعد حوار سريع .. وأسلموا !! وقد أرهقونى حتى نطقوا الشهادة باللغة العربية بصعوبة !!

ملك التواشيح

الشيخ محمد عمران*

* هذا الحوار تم إجراؤه ونشره - ككل حوارات الكتاب - بجريدة الوطن الكويتية ، قبل رحيل الشيخ محمد عمران .. منذ حوالى ١٢ عاماً .

* لا أؤدى العاطفى .. ولا أغنى للعوام !!

* وجنات اختفت .. وروحية .. والفن أيضاً !!

* الشيخ سيد مكاوى يحفظ الموشحات .. من سنة (واحد) حتى الآن !!

* موتزار وبيتهوفن .. فى مكتبتى الموسيقية !!

* شرارة ودا غر .. أفضل من الموسيقيين الأوروبيين

* نحن طائفة المكفوفين .. نسمع كل إذاعات العالم !!

* دخلت وسط التواشيح بالصدفة .. على يد النقشبندى !!

* من يأنف من الغناء الدينى .. فهو جاهل !!

حــــوار أجــره : حــزين عمــر :

من قال إننا نفتقر للأصوات العبقرية بعد رحيل أم كلثوم وعبدالوهاب وفريد الأطرش وناظم الغزالى ؟! .. إذا كان قد طغى غث الأصوات ونقيق الضفادع فما الأمر سوى غمامة سوداء وتنقشع ، ولايعنى أن بيئتنا قد أجدبت ، بل هى مازالت ثرية كل الثراء ، معطاءً كل العطاء.

من لايقتنع كل الاقتناع بهذه الرؤية فعليه ان يستمع إلي منشد الإذاعة والقارئ فضيلة الشيخ محمد عمران .. وإذا كان لابد من تسليم مزمار داود إلى أحد من الأحياء بيننا فهو أولى الناس به : نفس طويل عميق رقراق ، ذبذبات حية دافئة متدفقة ، أحبال صوتية مرنة رنانة .. وفوق هذا ومعه أنك إذا جلست مستمعا لبعض أغانيه الدينية لاتصدق أن هذه العبقرية تتدفق من هذا الرجل الطيب المتواضع سهل العشرة .. وسوف ينافس أذنيك فى سماعه قلبُكَ ومشاعُرك وسائر ثغرات جسمك ..

ولو كانت الصفحات تستطيع أن تنطق لحملتها إليك ـ عزيزى القارئ ـ بعضاً من هذا الفيض السماوى الذى وضعه الخالق على لسان الشيخ محمد عمران.

أقول له :

** مصطلح (الموشح) يكاد ينحصر هذه الأيام فى نوع من الإنشاء الدينى واختفى المعنى العام للموشحات التى اخترعها الأندلسيون العرب فى العصور الوسطى وكانت تصور العاطفة غالبا .. أيها أقدم وأرسخ قدماً : الموشحات الدينية أم هذه الموشحات الأندلسية العاطفية ؟؟

قال :

* أعتقد أن الأصالة فى الموشحات للناحية العاطفية .. أما الموشح الدينى فلم يؤخذ عن النمط الأندلسى ، إنما هو من خيال ووجدان الملحن المصرى .. فأساتذتنا الذين لحنوا التواشيح الدينية لم يقتبسوا فيها أى نوع من الموشحات الأندلسية ، بل كان لهم وجدانهم وخيالهم

وتشكيلهم الخاص.

ويختلف الموشح الدينى عن الموشحات الأندلسية .. فهذا اسمه (توشيح) والأندلسى (موشح) .. إنه اختلاف فى الاسم ، وفى النشأة أيضاً .. فالتوشيح مصرى النشأة والتطوير .. وقد سار على نهجه كثير من الأقطار العربية الأخرى كسوريا ، وأصبح لديها (فريق الإنشاد الدينى) ومعظم ما يقدمونه من أعمالنا .. ولم نرث توشيحا دينياً أندلسيا ، إنما هو من خيال ملحنينا القدامى.

ونحن - كرجال دين - نحرص على تقديم التواشيح فقط لا الموشحات الأندلسية .. وأى مقدم لهذه التواشيح لابد أن يكون قارئ قرآن أساساً .. ومادام قارئاً فلن يؤدى الموشح العاطفى الذى يختلف مع شخصه وتوجهه الدينى.

والموشح الأندلسى له مختصون به هم المطربون العاطفيون.

** بعض قراء القرآن يأنفون من خوض مجال التواشيح .. أهو القصور عن أدائها أم بدافع دينى أم أن هناك دوافع أخرى ؟!

* هذا قصور وعدم معرفة وعدم خبرة . إن الذى يأنف لا أستحى إن قلت إنه جاهل .. فبعده عن الخبرة والأداء السليم هو الذى يجعله يأنف ، أما إذا تعلم فسوف تكون التواشيح مفيدة له ، لأنها ستمرن صوته وتقومه . وما دام قد وصل إلى هذا النوع من العلم فلابد أنه سيمر بالمقامات الموسيقية ، وهو أمر مهم فى حياة القارئ.

فلابد للقارئ أن يكون على بينة وعلم بالمقامات حتى يستطيع أن يكون قارئاً حقا .. لأن العلم بالمقامات الموسيقية ينفع القارئ والمستمع .. فهو يعلم القارئ الأحاسيس العفوية الراقية والقدرة على التعبير السليم عن المعنى القرآنى . والقرآن هو أساس الموسيقى .. وقد أنزل الله فيه المعانى المختلفة : الرحمة ، المعصية ، الجنة ، النار ، الدين ، الدنيا .. ولابد أن تصل هذه المعانى إلى المستمع بمدلولاتها الطبيعية ، أى بالتعبير السليم الذى يحسه المستمع.

فحين أنقل إليك كمستمع - معنى النار ، وأنقل لك الإحساس بها ؛ ومعنى الجنة ، وطعمها

ومعنى الرحمة ، وجمالها ؛ والمعصية ، وضرورة البعد عنها .. فقد نقلتك لأعظم التأثير الذى تعيشه وتتأثر به وتتلذذ كمستمع للقرآن .. بل إن هذا التعبير سيكون أبلغ من التفسير .. فقد نشرح لمدة ساعة معنى آية ولاتؤثر فى المستمع .. أما إذا نقلت معناها أداءً فستكون الفائدة أعظم.

فمن يأنفون من أداء التواشيح يجهلون الواقع والحقيقة .. فهى علم جميل وكبير وله أسسه وأوزانه وضروباته..

** ما معنى « ضروباته » ؟!

* ضروباته الموسيقية وأوزانه الشعرية وإيقاعاته.

** هذا يعنى أن المبتهل أو المنشد الدينى أقوى فى الأداء ومن القارئ العادى .

* إذا كان على علم ..

** فكيف اعتمدت فضيلتك الإذاعة منشداً ولم تعتمدك قارئاً ؟!

* اعتمدتنى اللجنة المختصة منشداً لأنى تقدمت إليها بهذه الصفة لابصفتى قارئاً..

ولجنة القراء تعلم أننى على دراية بحفظ القرآن وقراءاته ، وكثيراً ما طلبوا منى أن أمتحن كقارئ .. لكن ظروفى الصحية تمنعنى .. أما اللجنة فلم تمنع ، بل تعرف قيمة محمد عمران وإجادتى للقراءة علماً وعملاً.

ومع أن اللجنة المختصة أمينة جدا فإننى أتمنى يكون من تعتمدهم على دراية بعلم المقامات الموسيقية .. ولكن للأسف الشديد اختلفنا اليوم عن ذى قبل اختلافات كثيرة.. كان من قبل من يعتمد مبتهلا لابد أن يكون على دراية بالتواشيح والعلم الموسيقى . وكان هذا شرطاً أساسياً من شروط الاعتماد .. أصبح هذا الشرط اليوم مفتقداً .. بدليل أننا فى مصر حوالى أربعين مبتهلا لا أرضى منهم إلا عن قليلين.

** والآخرون ؟!

* للأسف لايعجبنى ما أسمعه منهم ..

** ألقبح صوتهم أم لعدم إلمامهم بالعلم ؟!

* غير ملمين بالعلم .. وآسف أن أقول إن بعضهم صورته جيد ، لكن التقليد هو السائد والمؤثر فيهم .. يقلدون الشيخ نصر الدين طوبار وغيره . وهذا يضر كثيرا لأنهم لايجيدون التقليد ولايجيدون الإبداع !! وأنا ضد التقليد . فلابد أن يكون لكل منشد شخصيته الصوتيه وامتيازه الخاص كما كان الأمر قديماً كنت تسمع الشيخ نصر فتعرفه ، والشيخ الفيومى ، والشيخ طه الفشنى .. وأى صوت أيامهم - حتى القارئ كان مميزاً . كان عهداً لايعوض أبدا : فكل صوت أداء وشخصية .. والتقليد والمسخ الحالى يرجع إلى عدم الخبرة وقلة العلم.

** لو تركنا لك الحكم على هؤلاء المنشدين لامتحانهم وتصفيتهم وهم أربعون مثلا .. كم منهم يمكن أن تعتمدهم ؟!

* لا أعتمد منهم أكثر من سبعة !!

** ومن يكونون ؟!

* هم يعرفون أنفسهم ، ولاداعى لذكر الأسماء .. فهم جميعا زملائى.

** أقصد من تقدمهم فضيلتك ، لا من ترفضهم!!

* « فضيلتى» أقدم بلا تردد الشيخ محمد الهلباوى ، الشيخ صلاح عمار ، الشيخ سعيد حافظ ، الشيخ أحمد أبو زيد ، الشيخ ممدوح عبدالجليل .. إنهم قلائل .

** أهم أعضاء بنقابة مقرئى ومحفظى القرآن الكريم ؟

* أظن من ذكرتهم أعضاء .. ثم ماذا تفيد العضوية أو عدمها ؟! إنها ليست العلم ، ونحن نريد الدراية والعلم.

** وماذا تقول فضيلتك فى بعض الفرق الموسيقية العادية التى تقدم التواشيح ؟!

* لا مانع إن حدث ربط بين الفرق الموسيقية والتوشيح .. إنها ستضفى عليه جمالا ، والفرق الموسيقية حينما تقول شيئاً فهي - تجيد تقديمه وربطه بإحكام . وأنا مطرب دينى أيضا ولدى أعمال كثيرة فى الإذاعة ، لكن للإذاعة فقط ، لا للعوام !!

** ولماذا لاتغنى « للعوام » ؟!!

* لأنى أساساً قارئ .. ولا أحب أن يفهم عنى الشعب المصرى أننى أشطح !! فالقرآن له جلال يجب أن يتمثل فيه القارئ كثيراً من الوقار والمحافظة ، وما يبعث على الاحترام ، وهذا أتمتع به ، وحفاظاً عليه لا أغنى للعامة.

** الطرب عبر الإذعة يصل فى النهاية إلى هؤلاء « العوام » !!

* نعم .. يصل .. لكن معروف أنه دينى .. أما اذا وقف قارئ فى سرادق يغنى بآلات وفرقة موسيقية فالناس سترى فيه بعض الخروج ، وتقلل من شأنه .

** أسماء كثيرة ظهرت فى مجال الإنشاد الدينى والتواشيح كالشيخ طه الفشنى ، والفيومى ، والطوخى ، والنقشبندى ، وطوبار ، وعمران .. ولم نر اسماً نسائياً واحدا يظهر بين هؤلاء .. أمحرم عليهن أن يخضن هذا المجال كما هو الحال بالنسبة لقراءة القرآن ؟!!

* لم نقل إنه محرم .. هناك أصوات نسائية عظيمة .. منها أختنا زينب يونس : فى بدايتها كانت تمارس الإنشاد الدينى وأختها (وجنات) و(روحية) - رحمها الله - وكانت أختنا (عنايات شعبان) - رحمها الله - تؤدى بآلات وغيرها .

ولانستطيع أن نقارن هؤلاء بالرجال الرواد . فليس هناك صوت نسائى يقارن بالفشنى ، أو الفيوم أو النقشبندى ، أو الطوخى .. فعصر هؤلاء - كما قلت - كان عصر التميز والتفرد والشخصية .. فكل منهم مدرسة . ولايوجد من له مدرسة هذا الزمان.

** وفضيلتك أليس لك أنت أيضا مدرسة ؟!!

* أنا لا أتحدث عن نفسى .. فمدرستى كل هؤلاء : ابتداء من الشيخ على محمود والشيخ

إبراهيم الفران والشيخ النقشبندى .. وأنهل من هذه المدارس جميعا .

** أوضعت خطا مستقلا لك من محصلة هذه المدارس ؟!

* الحمد لله !! والكل يشهد بذلك . وقد وضعت هذا الخط لأنى سمعت هؤلاء الناس بإمعان ودقة ، واستطعت أن أمزج بينهم وأستقى خطى من خلالهم .

** ولماذا اختفت تلك الأصوات النسائية فى ظروف غامضة ؟!

* ليست الأصوات وحدها هى التى اختفت ، بل هناك أشياء كثيرة اختف : الفن نفسه اختفى !! أين المزيكا ، وأين الفن ؟! لا يوجد !!

هل موسيقانا كما كانت ؟! أين المغنى الجيد ، والعازف الجيد ؟! إن كان فقليلون جداً .. لقد انتشرت أشياء كثيرة .

** أيعنى هذا الإنحطاط بصفة عامة فى الوسط الفنى ؟!

* ليس انحطاطاً ، إنما هو اضمحلال !! كسل الملحن ، وكسل المغنى ، وعدم الخبرة .

** الأصوات الأوبرالية بسائر أنواعها أتستطيع أداء القرآن والتواشيح باقتدار .. وهل يستطيع المنشد الدينى والقارئ أيضاً أداء الأوبرات ؟!

* إذا كان القارئ على علم فيمكن .. مع ملاحظة أن الأصوات الأوبرالية لا تستطيع أداء التواشيح الدينية .. لأنها أصوات تتمرن على نوع خاص من الأداء ، فكل عمله (بالأفرنجى) .. أما التوشيح فعربى .. وهناك فارق بينهما . وبالنسبة للقارئ ليس عليه إلا الدراسة ومعرفة الموسيقى : سولفيج ، ودى سولفيج .. وفى معهد الموسيقى قسم خاص اسمه الأصوات ، لو أن القارئ التحق به واستطاع التعليم فسيقول كالأوبراليين وأفضل .. لكن للأسف ليس هناك واحد فكر فى أن يلتحق بالمعهد ، مجرد التفكير .

** ولم لاتكون هناك مبادرة فردية من فضيلتك ؟!

* أنا مستعد . وأرى أن (المزيكا) شئ فى الدم : تولد معنا . ومادامت كذلك فهى لدى

الموهوبين يحسونها وينمونها ، وإذا لم تكن موجودة فمن أين الحصول عليها ؟! المنشد فقط ، الذى يتقدم إلينا عبر الإذاعة أو الحفلات مثلا

** أبرز أسماء الشعراء والموسيقيين فى مجال التواشيح .. ماذا تتذكر منها ؟؟

* أتذكر منهم : الشيخ سيد موسى ، الشيخ زكريا أحمد ، الشيخ على محمود كملحنين ومعرفة هؤلاء جميعا : شعراء وملحنين يلم بها الأستاذ عبدالعزيز عنانى :

فهو مؤرخ موسيقى واسع المعرفة .

ومعظم ما قاله الشيخ على محمود من شعر ابن الفارض وابن عربى . وما كان يغنيه ، كذلك . أما الشيخ الفيومى والشيخ الفشنى فكان يكتب لهما شعراء مصريون معاصرون كالشيخ ندا على ندا والشيخ جاد المولى سليمان .. وكان النقشبدى بالذات معظم أعماله من شعراء سوريين.

** لدينا ثلاثة مصطلحات هى : الإنشاد ، والتواشيح ، والابتهال أهناك فارق بين هذه التسميات المختلفة ؟؟

* نعم .. الإنشاد والابتهال يقتربان من بعضهما ، لأنهما يؤديان بشكل حر دون ألحان ، وحسب اجتهاد المؤدى .. أما التوشيح فيجب أن يكون مرتماً ، أى ملحناً.

فخيال المؤدى يتدخل كثيرا فى الابتهال والإنشاد ، ومباح له حرية التصرف.

** أيمكن أن تقال جميعا مع الموسيقى ؟

* نعم .. يمكن مع توافر العازف الجيد القادر على الارتجال ليجارى المنشد.

** لماذا لم تدخل الموسيقى فى هذه الفنون فعلا .. إنها ليست قرآنا ؟!!

* ليس هناك من قال لا .. لكن أين من يؤدى هذا ؟! إننى أؤدى على الموسيقى .. ولدىَّ مكتبة لابأس بها من أعمالى وأعمال الآخرين ، وأؤدى أيضا بدون موسيقى . لكن لكل مقام مقال . فلا يستطيع الإنسان أن يؤدى بالموسيقى وهو فى مسجد أما خارجه فيمكن ،

كالليالى مثلا .. مع أن « السمع » قد قل فى أذن الناس ..

** هذه التسميات إلى أى الأزمنة تعود ؟!

* ربما بدأت فى أوائل القرن العشرين . ولا أظنها قديمة.

** مصر كانت موئلاً لفنون الأداء الدينى : قراءة القرآن ، التواشيح ، الإنشاد الدينى ، الابتهال . لكن هذه الفنون بدأت تنحسر فى السنين الأخيرة بمصر وتزدهر ببعض الأقطار العربية الأخرى كسوريا .. إلى أى الأسباب يرجع هذا ؟!

* يرجع إلى كسلنا نحن .. فمصر كانت ومازالت وستظل منارة لكل عربى .. ففى سوريا يقدمون أعمالنا . والجديد الذى أضافوه قليل جداً . ونحن المنبع ، لكن عدم اهتمامنا حاليا هو سبب الانحسار الذى تذكره . ذلك رغم أن مصادرنا موجودة ، والمدارس القديمة كالشيخ على محمود والشيخ إبراهيم الفران والشيخ الفيومى مازالت منهل بقية الأشقاء، وينهلون منا أيضا .

** أى أن العنصر البشرى لدينا هو السبب ..

* نعم .. فالكسل الذى أصابنا يعوق إبداعنا .. رغم أن لدينا ملحنين ممتازين يستطيعون تقديم التوشيح الدينى أفضل من قبل ، ويقدمونه بالطريقة العصرية التى تلائم هذا الزمان. لكن للأسف لم يطلب منهم أحد شيئاً ، ولم يكلفهم بشئ . فالشيخ سيد مكاوى من أعظم الملحنين القادرين فى هذا المجال ، لكنه لايجد أصواتا. كثيرا ما تحدثنا معاً فى هذا الأمر.

** ولماذا لايقدم لك ألحانا وللشيخ الطوخى ؟!

* أين « الكلام» ؟!

** كثير !! ما أكثر « كلامنا »!!

* ومن ينفق عليه ؟! المال أصبح سبباً رئيساً هذا الزمن : فالفرقة الموسيقية تحتاج إلى أجور ، والملحن يحتاج ، والمؤلف والمغنى .. وليس لدى المغنى استعداد لأن يدفع للمؤلف والملحن .. وإن دفع لهما لايستطيع أن يدفع للفرق الموسيقيةالتى تتقاضى أجوراً ضخمة.

الشيخ سيد مكاوى يتمنى ، والأستاذ فؤاد حلمى يريد ، والأستاذ عبد العظيم محمد ، وحلمى أمين..

** يمكن أن تؤدى هذه الأعمال بإمكانات موسيقية أقل تكلفة .. فبدل فرقة من ثلاثين عازفاً يمكن الاكتفاء بعشرة.

* الوسائل الحديثة اليوم أصبحت تغنى عن الثلاثين .. لكن نفرض أنهم عشرة موسيقيين فقط.. فكم يتقاضون ؟! مبلغاً ضخماً .. إننا نطالب وسائل الإعلام بالاهتمام بالشئون الدينية .. فلست مستعداً - كمغن - أن أنفق على الملحن والمؤلف والموسيقى. لكن وسيلة الإعلام تستطيع أن تعد هؤلاء جميعا.

وإذا دعتنا حينها سنلبى ، حتى بدون مقابل.

إن هؤلاء الملحنين العظماء الموجودين حاليا لن يعوضوا : سيد مكاوى ، فؤاد حلمى،عبد العظيم محمد ، حلمى أمين .. لو ماتوا - أسأل الله لهم طول العمر - فلن يعمل أحد غيرهم شيئاً .. فليس هناك من يحفظ هذا اللون وطرقه من الغناء غيرهم .. فالشيخ سيد مكاوى يحفظ جميع التواشيح الموجودة من سنة (١) إلى وقتنا هذا .. وقدم كثيرا هو وهؤلاء الملحنون من جيله .

** أبرز ما فى مكتبتك الموسيقية ..

فيها كل حاجة : بيتهوفن ، موزار ، على محمود ، الفران ، طه الفشنى ، الفيومى ، النقشبندى .. كل الموسيقيين الممتازين . وأنا أسمع غربيا وشرقيا وتركيا وإيرانيا ، وكل ما فى العالم من موسيقى .

** الأفضل فى نظر فضيلتك : الشرقى أم الغربى ؟!

* كل موسيقى لها طعم ولون وخاصية .. فالشرقى والغربى والإفريقى ، كل له طبيعته ومذاقه .

** ما السمات التى تميز الإفريقى عن الشرقى ؟!

* الأداء والآلات والنغمات ..

** الموسيقى الشرقية تتهم بأنها تثير الغرائز وأن فيها خلاعة .. والموسيقى الغربية يدعى البعض أنها عالية ومعبرة ..!!

* هذا جهل .. ومن يقول هذا جاهل ، لايعرف عن الموسيقى شيئاً .. فالموسيقى الغربية متمثلة فى نغمتين اثنتين لا أكثر : الماچير والمانير .. ويخرجون منهما كل موسيقاتهم .. أما الموسيقى العربية ففيها المقامات الكثيرة جداً : البياتى ، والحجاز، والراست ، والنهاوند ، والجركا ، والعجم .. فما الأثرى : نغمتان أم كل هذه المقامات ؟!!

** وإلى أى الدوافع يعود هذا الاتهام ؟!

* إلى عدم العلم .. إلى الجهل !!

** أوليس عائداً لدوافع سياسية وعنصرية ؟!

* لا .. لكن « الناس » الذين يدرسون الموسيقى الغربية يريدون أن يظهروا كأنهم الأفضل .. لكنهم يوهمون أنفسهم بهذا الزعم .

** ندرة السيمفونيات فى الموسيقى العربية .. أهو تقصير أم أمر طبيعى يتناسب مع البيئة والذوق الشرقى واختلافه عن الغربى ؟

* إننا نقدم أعمالا عظيمة .. وقد سمعت كونشرتات ألفها عطيه شرارة ، هى من أجمل ما فى الموسيقى ، لاتوصف .. وتؤكد هويتنا العربية ، وحضارتنا . ولدينا المؤلف الموسيقى العالمى وعازف الكمان عبده داغر الذى تقارنه أوربا بموزار وباخ ، ويستكثرون علينا أن

يكون بيننا فنان كهذا !!

لكن القائمين على الأمور ليسوا عادلين .. ففى الأوبرا قدموا حفلات عديدة ، وكل من قدموه كان من خارج مصر : من لبنان وتونس و .. و .. والقليل جدا قدم من مصر .. فأين عمل عطية شرارة وكونشرتاته العظيمة التى تتحدى الأجانب ؟! لاتقل عنهم مستوى ، بل هو أفضل .

ولماذا لم تقدم الأوبرا الأصوات المصرية لتغنى ؟! لصالح من يحدث هذا ؟! لا أرفض دعوة الآخرين ، ولكنى أرى ضرورة مشاركة موسيقيينا ومطربينا أيضا .

** ألاحظ أن فضيلتك تفصل بين العربى المصرى ، والعربى الآخر غير المصرى ..

وليس هناك - فى الواقع - فارق بين عربى وآخر !!

* أنا لا أفضل بل أطالب بالتمثيل الصحيح ، والمحافظة على المكانة المصرية فى الوطن العربى .. فنحن المدرسة والمعيار والمعلمون بثقافتنا الموسيقية الرفيعة . إننى أحدثك هنا بلغة المستمع الجيد لابلغة المحترف .. لقد شاركت مصر فى احتفالات تونسية بلبنانيين .. لماذا ؟!

** مسأله مشاركة مصر فى تونس بفرقة من اللبنانيين لمسة طيبة من مصر تعنى أنها تحتضن كل المواهب من جميع الأقطار الشقيقة ، لافرق بين عربى وآخر ..

* كما أنها لمسة طيبة يجب تدعيمها بالمصريين مع غيرهم .

** وبالنسبة للحفلات التى لايدعى إليها المطربون المصريون ، ذلك لأن مصر لم يعد فيها من هو مثل فيروز ولاوديع الصافى ولاصباح فخرى ولافهد بلان .. فنجاة الصغيرة تقاعدت ، ومحمد رشدى توقف تقريبا .

* لا .. هناك كثيرون . ونجاة لم تتقاعد . وإذا طلب منها الغناء فستغنى .. ووردة تغنى .. لماذا لم يقدموها فى الأوبرا ؟!

** بمقاييسك هى ليست مصرية !!

* « معلش » .. بحكم المعايشة هى مصرية .. وهناك آخرون كثيرون . ومن « الأولاد» الجدد ربما يكون هناك محمد الحلو ، محمد ثروت ، على الحجار ، أحمد إبراهيم .. لماذا لم تقدمهم الأوبرا ؟!

** أتتابع الغناء الدينى خارج مصر ؟!

* لم أسافر لأى بلد إلا السعودية كمعتمر . لكنى أتابع كل إذاعات العالم . ونحن ـ المكفوفين ـ طائفة الراديو !!

** ما تقييمك للانشاد الدينى فى الاقطار العربية غير مصر ؟

* تقييمى لسوريا جيد جداً .. وأشكر لهم هذا الاهتمام بالغناء الدينى . فلديهم فريق كامل اسمه (فريق الانشاد الدينى) .. أسمعه وأفرح .

وإلمام هذا الفريق بكل التواشيح يدعو للسرور ، وهم مجتهدون ، ولديهم أعمال فى كل المناسبات : الحج ، المولد النبوى ، الاسراء والمعراج ، رمضان .. ويقدمون إذاعات حية فى رمضان يشارك فيها فريق الإنشاد الدينى كله على مدى ثلاثين يوماً عبر الأثير .. وسوريا هى الوحيدة المهتمة بهذا اللون الدينى الجميل .

** وبقية الأقطار العربية فى المغرب والخليج ..

* بلاد المغرب للأسف لا أسمعها كثيراً . فلا أعرف « لونهم» .. ولى فى الإمارات العربية تسجيلات كثيرة بالإذاعة : إنشاد دينى .

وأتساءل : لماذا لايكون فى مصر فريق للإنشاد الدينى مثل سوريا ؟!!

** العديد فى المآتم مرتبط ـ من حيث المناسبة ـ بالقرآن الكريم فى هذه المآتم أيضاً .. هل أخذت طريقته فى الأداء من القراءات القرآنية المعروفة ومن الإنشاد الدينى أم أن الإنشاد هو الذى أخذ من العديد ؟!

* كيف يؤدى العديد إن لم يكن قد أخذ من القراءات والإنشاد ؟! إن القرآن ـ كما ذكرت ـ هو أساس الموسيقى .. وفضله على المغنين والمطربين والقراء والموسيقيين . والإنشاد الدينى إذا كان حراً فهو يرتبط بخيال من يؤديه . وإذا كان ملحناً فهو يرتبط بخيال الملحن .. أما أن تكون المعددات لهن فضل فيه فأمر أنفيه . ومن منا يسمح المعددة ليأخذ منها ؟!

** فضيلتك منشد دينى وقارئ أيضا .. تجمع بين العملين : بأيهما بدأت ودخلت الآخر ؟؟

* بدأت بقراءة القرآن بعد حفظه بمدينة طهطا ـ محافظة سوهاج ـ وجودَّته فى مدينة (طما) بسوهاج أيضا .. ودخلت طريق الإنشاد بالصدفة . فقد ربطتنى فى صغرى علاقة قوية بفضيلة الشيخ سيد النقشبندى ـ رحمه الله ـ وكان مقيماً بطهطا .

وكنت أحب صوته كثيراً . وقد رأى هو أن صوتى جيد فاحتضننى ، وأخذ يصحبنى معه فى الحفلات الدينية ، ويحبب إلىَّ هذا اللون الفنى ، ويعلمنى بعض المبادئ . وكان هذا مدخلى وأنا صغير السن آنذاك ـ حوالى عشر سنين ـ لكنى كنت أحفظ القرآن تماما .. وحضرت بعد ذلك إلى القاهرة ، وأكرمنى الله ببعض الإخوان المشايخ القدامى علمونى .. كانوا من معاصرى الشيخ على محمود والشيخ الفران : منهم : الشيخ سيد موسى ـ الذى كان رئيس فرقة توشيح ـ وكنا نقيم ندوات أسبوعية ونتعلم التواشيح ودروبها .

وكان الشيخ موسى يحس بقيمة صوتى، فقال : إن محمداً يمكن أن يكون « ريسا» وليس تبيعاً .. فعلمنى « أريِّس » على توشيح ، وكيف أسلِّم للآخرين وآخذ منهم .

** أفضيلتك تعد نفسك من مدرسة النقشبندى ؟!

* لا .. إننى أعد نفسى من كل المدارس الفنية الدينية .. فالكاتب لكى يكتب يجب أن يقرأ لكثيرين جداً من الكتاب ليخرج هو بشخصية خاصة به . وهذا ماحدث لى : فبعد أن أدركت كيفية السمع بدأت أسمع الشيخ على محمود ، أحفظ أعماله ، والشيخ الفران ، والشيخ النقشبندى وغيرهم .. ونجحت فى تكوين شخصية لصوتى. فحين تسمع صوتى

تقول إنه صوت محمد عمران .

** الشيخ النقشبندى نعرفه صاحب صوت عظيم .. لكن على المستوى الإنسانى لاتعرف عنه الكثير .. ماذا عن هذا الجانب ؟؟

* الشيخ النقشبندى كان إنساناً بمعنى هذه الكلمة .. كان كريماً .. وكان خلقه عظيماً ، ومحباً لإخوانه وعاطفاً على الفقراء منهم . ولم يبخل على إنسان بشئ .. وقد كسب المال الكثير ، ولم يبق معه شئ . وحين مات لم يترك شيئاً قط .. مات فقيراً .

** إلى أى الأصول الجغرافية ينتمى ؟؟

* تربى فى طهطا بسوهاج .. وكانت والدته متزوجه رجلاً غير أبيه هو الشيخ حسين الموادرى. وقد رباه الشيخ الموادرى وكان يحبه جداً .. وحفظ النقشبندى القران فى طهطا . ومازال يعيش حتى الآن من حفّظه القرآن الكريم : الشيخ أحمد خليل وعمره حوالى أربعة وثمانين عاما .

وكان النقشبندى الوحيد غير الشقيق لإخوته .. وكان من إخوته :

سعيد - رحمه الله - وأخوات بنات تعيش إحداهن بالقاهرة حاليا هى الحاجة لواحظ الموادرى ..

** أترك النقشبندى أبناءً ؟

* نعم .. محمد ، توفى .. أحمد ، يعيش فى أحد الأقطار العربية . وهناك بنات : ليلى ، فاطمة ، سعاد ، فى طنطا . وهن متزوجات .

لقد كان - رحمه الله - يعاملنى معاملة الأب للابن .. وكنت مرافقاً ملاصقاً له ليل نهار فى العمل والمنزل .

الشيــخ
الشحـات محمد أنور

* تصلنى خطابات غرامية .. وأسلمها لزوجتى !!

* من نفَّس فى القرآن .. فكأنه زنا بأمه !!

* أنا عضو بالحزب الوطنى .. وأقدم المرشحين له فى الانتخابات !!

* بكيت فى إيران .. ومعظم قرائهم يقلدوننى !!

* نصحنى خامينئى .. بالمحافظة على صحتى !!

* قال عنى الشيخ البنا .. سيكون من أعلام القراءة بمصر

* نحتاج لعلماء .. لايعملون للكرسى والمنصب !!

* بعد جيلنا .. القراء يحفظون عدة أرباع للقراءة بها !!

* أقوام الجميز .. يحبون الفنانين . لا القراء !!

انفرد بعدة ميزات تؤكد أنه لم يتخذ كتاب الله حرفة للتقوت ، بقدر ما هو عابد فى محراب عشقه ، متيم بكل حرف ولفظ وآى من آياته .. فالشيخ الشحات محمد أنور حافظ ، وجده حافظ وجده الأكبر كذلك .. وابناه : أنور يحفظ نصف القرآن ، والأصغر منه (محمد) يحفظه جميعه مجوداً .. وإذا جلس الشيخ الصغير (محمد) يقرأ فكأنك أمام واحد من الولدان المخلدين بالجنة !! وقار أكبر من سنه - اثنا عشر عاماً - وصوت يشجى ، ويُطرب ، ويأسر .

والشيخ الشحات يؤثر قرية نائية فى شمال مصر على صخب القاهرة وأضوائها ، وعلى أجورها المرتفعة أيضاً . ولايتقاضى كثيرا ولاقليلا من جميع أبناء هذه القرية .. وفى حياته جوانب طريفة ، له هو أن يتحدث عنها ..

سألته :

** القرآن خير ما يورثه الأب لابنه .. وقد لاحظت أن فضيلتك زرعت حب القرآن فى قلوب أبنائك .. فالابن الأصغر (محمد) يحفظه كاملا ، وأخوه الأكبر (أنور) يحفظ نصفه .. فهل ورثت أيضا القرآن وحبه من الأب والأسرة ؟!

أجاب :

* الأسرة التى نشأت فيها حافظة للقرآن . كان والدى مزارعاً ، أما من جهة والدتى فقد تربيت فى أحضان خالى : وكان عالماً بالقرآن وتجويده ، ووالده وجده كذلك يحفظان القرآن .. فأثرت علىَّ إقامتى معهم فى هذه الناحية . فحب القرآن بالنسبة لى موروث عن أخوالى .

** أكان منهم من يتخذ قراءته حرفة ؟

* ليس منهم من احترف قراءته .. لكن خالى كان يعلم النشء ، فاهتم بى فى التعليم : وكان

جد خالى لديه كُتَّاب ، ويحَفظ فيه الأطفال.

** اتخذت فضيلتك قريه (كفر الوزير) بمحافظة الدقهلية مقراً بعيداً عن أضواء القاهرة .. هل هو هروب من الشهرة والأضواء أم رغبة فى الاحتماء بحضن الطبيعة أم أنه الهروب من صراعات الوسط القرآنى التى تبدو على أشدها داخل العاصمة الضاجة دائماً ؟!!

* سكنى فى قريتى برغبة من والدتى وجدتى .. فحين اعتمدت بالإذاعة كان يشجعنى كثيرون من الناس لسكنى القاهرة . وكنت أميل لهذا الرأى .. فقالت لى جدتى ووالدتى - كان أبى قد توفى وعمرى ثلاثة أشهر - رزق هنا رزق هناك يابنى .. وإذا انتقلت إلى القاهرة فلن نصحبك إليها . وكنت حريصاً على إرضائهما فبقيت فى قريتى . لكن الساكن فى القاهرة أقرب إلى الأضواء ؛ وإن كان هنا الهدوء وراحة البال .

** لكن الإنسان يعد نفسه محاصراً بالفقر الريفى العتيق ، والذى لايشجعه على الحياة المرفهة والسهر فى ليالٍ تصل لخمسة آلاف جنيه لبعض المقرئين بالقاهرة .

* إننا نأخذ .. ونذهب إلى القاهرة ونحصل على نريد .. أما فى قريتى هذه فأقرأ «مجانا» منذ عام ١٩٧٩ تقريبا . لا أخذ من غنى ولافقير ما دمت موجوداً ..

وإذا كان فقيرا فقد أشترى له الكفن وأساعد أهله .

** ألا يدعون قراءً آخرين غيرك ؟!

* لا .. إن كنت مشغولاً بعمل ما ، يقرأون الفاتحة على روح المتوفى ولايجلبون أى قارئ.

** ولماذا لاترسل واحداً من أبنائك ؟!

* لا أريد أن أشغلهم بهذه المهنة ، أرغب فى تعليمهم أولاً . وكل يشق طريقة بعد ذلك.

** أليست هناك احتمالات أن يعملوا بنفس المهنة بعد التخرج فى الجامعة ؟!

* لا أود - بصراحة - أن يعملوا بها .. لأنها مهنة مرهقة جداً ، ولن يستطيعوا أن يكافحوا

ويكملوا الطريق كما فعلنا .

** يبدو لى أن الناس تلتف حولك بالقرية وتحبك ..

* نعم .

** إذن لماذا لم ترشح نفسك لعضوية مجلس الشعب ؟!

* طريق القرآن لا أحيد عنه .

** الشيخ صلاح أبو اسماعيل كان قارئاً أصلاً .. وكان أيضاً سياسياً وعضواً بمجلس الشعب ..

* توقف عن القراءة فى الآونة الأخيرة . أما أنا فقد تربيت فى أحضان القرآن .

ولا أريد أن أكون سياسيا فى يوم من الأيام . لكن أظل قرآنيا .

** ألا تتحدث فى السياسة مع الآخرين ، وتناقش القضايا والهموم ؟!

* أتحدث .. لكن ليس على مستوى المحترفين .. فلها من يفهمونها أكثر منى .. ولا أفتى بما لا أعلم .

** هنا فى الريف نظام عائلى .. الأحزاب تجند العائلات لصالحها .. ماذا لو طلب منك الحزب الحاكم فى مصر أن تنضم لعضويته وتمثل مصالحه ؟!

* أنا منضم فعلا إلى الحزب الوطنى .. وأختار له بعض المرشحين فى انتخابات المجالس المحلية . وهؤلاء هم الذين يعملون مباشرة مع الناس .

** معروف أن حافظ القرآن رجل دين بالدرجة الأولى وهو حديقة لكتاب الله .. ومعروف أيضاً أن الحزب الوطنى علمانى التوجهات ولا يطبق الشريعة !! كيف ينسجم هذا الموقف السياسى للحزب الوطنى مع موقفك أنت كرجل دين وحافظ للقرآن ؟!!

* على الأقل يجب تطبيق القرآن والسنة .. لكن هناك تفتيت أفكار وسبب كل ما يحدث

احتياجنا إلى علماء راسخين ، يفيدون الناس ويقنعونهم . والدليل أن الشيخ الشعراوى يلتف حوله كل « المنشقين» حينما يتحدث فى التليفزيون : مؤيدين ومعارضين . فنحن نحتاج لعلماء أفاضل لايعملون للكرسى أو المنصب أو المال ، إنما للدعوة إلى الله كما قال الله .

** أتعيد النظر إذن فى انتمائك السياسى هذا ؟!

* أنا لم أشترك معهم بدافع منى .. لقد أحضروا لى بطاقة عضوية فأخذتها فقط !! ولست أسعى أنا للانضمام إلى أى حزب !!

** ربما يكون أقرب الأحزاب فى مصر إلى التوجهات الدينية هو حزب العمل ..

* حزب العمل ليس قريباً من التطبيق الدينى . لكن القريب هو الإخوا ن المسلمون الذين دخلوا الحزب .

** أتفكر فى الانضمام إليه أو إليهم ؟!

* أنا لا أنضم للأحزاب .. أما أى شئ يمت للقرآن بصلة فأنا فى خدمته مادام سيفيد منى القرآن .

** أتنتمى - مشاعر ومواقفَ - للإخوان المسلمين ؟!

* أنا أقعد معهم .. ومع الجماعات المسالمة كالتبليغ والدعوة . وهم يحضرون إلى مسجدى هذا الواقع تحت المنزل . وقد وجدتهم مخلصين فى هداية الناس ، وجذبهم إلى ساحة الدين فى اعتدال .

** لكل صوت لون وطعم ورائحة .. ونحن من خلال سماعنا لفضيلتك نرى هذا الشباب المتدفق الدائم فى صوتك رغم أنك تجاوزت مرحلة الشباب .. كيف تفسير هذا الشباب فى صوت ما والشيخوخة فى صوت آخر مع النظر إلى حالتك هذه ؟!!

* يرجع هذا إلى القبـول ورضى الله عن الإنسـان . وأهم مـا فى تلاوة القـرآن هو تـلاوته «من الداخل » . . فـما خـرج من القلب دخل إلى القلب . . وأى قارئ إذا تلا وعـرف معنـى ما يقول ـ ليس مهماً التفقه فيه ، إنما الوعى به بقدر الاستطاعة ـ فإن الله يكرمه . وينبغى أن يتلو القرآن كما علمنا الشيوخ الكبار وكما سمعناه منهم . . ضرورى ألا نخرج عن هذا .

أما من ناحية الصوت فهو قبول إلهى . . ويضع الله الحب فى قلوب الناس فتقبله .

** أليست هناك عوامل طبيعية تتدخل فى تحديد الصوت ؟!

* لا . . ربنا هو الذى يحدده . . لاشئ غيره .

** تبين لى أن كل القراء الذين قابلتهم يدخنون . .

* أنا لا أدخن .

** أيكون هذا هو السبب ؟!

* الله أعلم . . إننى أحفظ القرآن وأنا فى التاسعة من العمر . وبدأت تلاوته فى الثانية عشرة . . وفى أيام الشباب هناك أعوان من الشياطين ، فكان الشباب يدخنون فيعطوننى سيجارة مثلا . . ولكن لم يزد لدى التدخين على سيجارتين فى يوم من الأيام تلك .

وقابلنى شيخ جليل فـرآنى أدخن السجائر فنصحنى بالامتناع عن التدخين وقال : الفم الذى يخرج القرآن يخرج هذا الدخان !!

** جاء الامتناع بدافع دينى . .

* نعم . . وقد امتنعت فعلا لأننى لم أكن مقتنعا بعادة التدخين هذه .

** النجومية فى زمننا هذا مقسمة بما يشبه العدل بين الفنانين وقراء القرآن . . لكن مؤشرات ما تقول إن القراء بدأوا يتراجعون فى هذه الشهرة أمام الفنانين . . هل فضيلتك مع هذه الرؤية . .وما تصوراتك عن القرآن وقراءته فى خلال القرن القادم قبل عقد من الزمان ؟!!

* المستقبل بالنسبة لحفظة القرآن قيل عنه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .. يحفظه فى قلوبنا وقلوب الأجيال القادمة ، أو فى أشرطة ، أو كتب .. المهم أن الحفظ قائم .

لكن ما وجدته أنه بعد جيلنا لايحفظ أحد القرآن الكريم كاملاً .. فالقراء الآن يحفظ أحدهم سبعة أو ثمانية أرباع يقرأها فى الحفلات تجويدا .. أكل عيش . ونحن آخر جيل حفظ القرآن كاملاً كما ينبغى .

** ألا تحسون بغيره تجاه الفنانين وهم بهذه الشهرة التى قد يبدو لكم أنهم لايستحقونها ؟!!

* هناك مثل يقول : (للتين قوم وللجميز أقوام) !! .. إننى فى التليفزيون أرى الراقصة ترقص خمس دقائق وتأخذ مبلغاً وقدره ، وأنا لا آخذ - كقارئ - ملاليم بجانب أجرها . مع أننى قارئ من الدرجة الأولى !! أجرى لايصل إلى ١ ٪ من أجرها !!

** ولماذا لاتحتجون على هذا الوضع ؟!

* الاحتجاج يجب أن يكون من نقابة محفظى وقراء القرآن الكريم .. ولكن القراء متفرقون ، وكل يشق طريقه وحده .. ولا يتجمعون حول بعضهم للحصول على حقوقهم .. وإذا « غرق » واحد منهم لايقفون بجواره .

** يداس ..!!

* لو استطاعوا !! أما الفنانون فيقفون مع بعضهم وقت الجهد .. وأنا عضو بمجلس إدارة النقابة على مستوى الجمهورية ، ونجتمع ونقول كلاماً كثيراً لاينفذ ، ولولا الشيخ أبو العينين شعيشع وإنجازه بعض المصالح ما تم شئ أبداً !! ولو كان فى مكانه غيره من القراء الموجودين ما استطاع فعل شئ . فهو رجل من الرعيل الأول ، ومازالت لديه القم والمبادئ .

** ليس هناك إذن من يتولى هذه المسئولية مثله ..

* موجود كثيرون .. لكن لن يكونوا على مستوى الشيخ شعيشع .

** ومن الذى يمكن أن ترشحه نقيبا ؟!

* لايبرز لذهنى منهم أحد ..

** تقول فضيلتك إنهم كثيرون !!

* موجودون .. لكن الاخلاق التى أريدها غير موجودة .. فلم أرَ أحدهم يعمل إلا لنفسه .. يخدم نفسه ، ولا علاقة له بالآخرين !! وأتمنى ممن يخدم خدمة الجميع ويكون هو آخر من يخدم نفسه .

** بعض القراء بحاستهم المستقبلية يتجهون إلى الإنشاد الدينى والتواشيح .. هل هى الرغبة فى دخول الوسط الفنى والابتعاد عن الوسط القرآنى ؟!

* لايدوم هذا كثيرا .. لأن من يترك القرآن « يبهد له » القرآن ..

** كيف ؟!

* إنه لايترك أهله . فإذا كان من يحفظون عدة أرباع ويقرأون فى الليالى يقف القرآن إلى جوارهم .. فما بالك بحافظه كله ؟! المسألة ليست الحصول على الفلوس .. الأهم هو (البركة) .

** «البركة » هذه معناها أجر كبير ؟!

* البركة أننى يمكن أن أحصل على القليل ويزيده الله من فضله .. وقد أحصل على الكثير ولا أجده.

** علاقة فضيلتك بالقرآن علاقة حب وعمل .. حبذا لو توقفنا عند المراحل الرئيسية التى مررت بها ابتداءً من التحاقك بالكتاب وحفظك ، حتى اتصالك بالناس فى اتساع وشهرة ..

* حفظت القرآن فى سن تسع سنوات من خلال خالى .. وبدأت القراءة بالتجويد بعد تعلم أحكام التلاوة فى الثانية عشرة . وكان « المعلوم » بسيطاً ، فهو على مستوى القرية فقط .

** كم كان ذاك المعلوم ؟!

* أول ما أخذته كان خمسة وعشرين قرشاً سنة ١٩٦١ . ورحت أتجول فى القرى المجاورة حتى اشتهرت بينها ، وأصبحت معروفاً لدى إقليمى : الدقهلية ، الشرقية ، الغربية ، القليوبية .. ويوماً أقيمت حفلة بميت غمر ، وكان رئيس المدينة حينها المستشار حسن الحفناوى .. ودعا د. كامل البوهى مدير إذاعة القرآن الكريم حينذاك عام ١٩٧٥ .. واقترح اسمى أحد موظفى مجلس المدينة لافتتاح الحفل .. وتلوت فى مسجد يسمى (الشيخ الزنفلى) فأعجب صوتى د. البوهى ، وقال إن هذا القارئ يقول جديداً ، ولايقلد أحداً ..وطلب منى أن أتقدم لامتحان الإذاعة .. وتقدمت فعلا ، لكن فى الامتحان الأول طلبوا منى تعلم الموسيقى ودراسة المقامات.. وكان حينها المؤرخ الموسيقى محمود كامل مشرفاً على القسم الحر بمعهد الموسيقى العربية ، فتقدمت إليه ، وأتقنت الضرب على العود .

** ألديك عود الآن ؟!

* نعم .. لكنه بقايا عود !! فقد اعتدى عليه أبنائى وكسروه فأصبح الآن (المرحوم عود) !!

** ألم تقرأ (ربعاً) على روحه حين وفاته ؟!!

* للأسف لم أره حين كسره الأولاد .. علمت بهذا متأخراً .. وهو عوداً أثرى عمره حوالى عشرين عاماً .

** من خمسة وعشرين قرشاً أجرك .. « بالبركة » إلى كم وصلت الآن ؟!!

* هذه أرزاق .. ولست أبالغ كالقراء فى القاهرة ، الذين يطلبون مبالغ كبيرة ..

** أطفال جيلكم كانوا ينشأون على قراءة القرآن والأدب وحفظ الشعر ..

وأطفال هذا الزمان ينشأون على التعلق بالمسمى (مايكل جاكسون) وحب الكرة .. إلى أى الأسباب يعود هذا التدهور الذى وصلنا إليه فى التربية وفى المجتمع ..

وما الحل ؟!!

* هو تدهور فى الأسرة أولاً .. فإذا كانت الأسرة دينية ينشأ الأطفال نشأه دينية . وإذا كانت متحللة ينشأون مثلها .. فأولادى ألحقتهم بالتعليم الأزهرى - رغم أنه لم يعد كما كان قديما - حتى يعرفوا دينهم وأصلهم على الأقل ، وهو أفضل من التعليم العام الذى تغيب فيه المادة الدينية ، على مستوى المسلمين جميعا ..

** وغير الأسرة .. أليست هنالك أسباب أخرى ؟!

* العوامل المحيطة بالأطفال : وسائل الإعلام ، شرائط الكاسيت .. وغيرها ..

** والحل .. ؟!

* الحل أن ترجع الأسرة إلى ما كانت عليه من المحافظة .. وأن يتحمل الإعلام دوراً فى هذا السياق . فأنا أعيب على التليفزيون ضيق الرقعة الدينية . أما الإذاعة فحجتهم وجود إذاعة للقرآن الكريم .. ولايوجد لدينا تليفزيون للقرآن الكريم حتى يتابعه من يرغب فى هذا التوجه ..

إننا نرى فى الإعلانات أشياء كثيرة مخلة ، وإثاره للغرائز .. إضافة للأفلام والتمثيليات والمسلسلات .. إن وسائل الإعلام تخرب بيوتاً وتعمر بيوتاً !!

** أترى اختفاء الكتاتيب سبباً من أسباب هذا التدهور ؟!

* الكتاتيب اختفت لأنه لم يعد هناك من يتردد عليها .. واختفى المحفظون أيضا .

** هل اختفى المحفظون لعدم وجود من يرغب فى حفظ القرآن .. أم أن الحفظ تلاشى لعدم وجود محفظين ؟!

* سيدنا كان قديماً يتفرغ للكتاب .. فيُحفظ الأولاد وهو مطمئن إلى أن هذا مصدر رزقه من كل المترددين عليه .. وكان الناس قديماً يدفعون بأبنائهم للكتاب لا لتعلم القراءة والكتابة ، إنما لحفظ القرآن .. أما إذا ذهب هذا الزمان طفلى للكتاب فلكى يتعلم القراءة والكتابة فقط .

** ألم تلتحق بأية مدارس عامة ؟

* لم ألتحق .. لأن خالى رحمه الله تقدم بأوراقى إلى المعهد الدينى الأزهرى بالزقازيق ثم توفى قبل التحاقى به .. لأنى لم أجد من يرعانى ويتابعنى فى هذا المجال .

** أيمكن أن يكون اتصالك بالقرآن عاد بالسلب على تعليمك المدنى ؟!

* نعم .. كان هذا سبباً فعلا .

** ألا تضيق بهذه الحالة ؟!

* لا طبعا .. لأنى على قدر استعدادى أطلع على بعض المجالات .. وأحاول التعويض فى أبنائى ما لم أستطعه أنا .

** وما اطلاعات فضلتك ؟!

* فى الكتب الدينية .. وكل ما يقع تحت يدى حتى الجرائد .. وكل ما يشدنى .. فيمكن مثلا أن أجد ورقة على الأرض يشدنى عنوانها فألتقطها لأقرأ ما بها .

** ألديك مكتبة هنا فى المنزل ؟

* لدىَّ لكن ليست بها كتب كثيرة .. أقل من مائتى كتاب .. وأنوى أن أكملها .

** فى الوقت الذى يهاجم فيه المتطرفون قراء القرآن وقراءته فى المآتم نرى بعض القراء يبالغون من ناحية أخرى فى أجورهم ويرفعونها كثيراً مما ينفر عامة الناس من هذا الوضع . فكأن من يرفعون الأسعار يتواطأون مع المتطرفين دينيا .. ألا ترى أن هذا يمكن أن يصيب مهنة القراءة بالضمور والركود ؟!!

* هذه نهاية طبيعية .. فالحرب ضد قراءة القرآن قد تدفع الناس إلى قراءة الفاتحة فقط على المتوفى ، ولايدعون أحداً لقراءة القرآن.

ومن حق المتطرفين أن يقولوا هذا ، لأنه ليس لدينا ضوابط بالنسبة للحافظين .. فالمسئولون عن شئون القرآن فى مصر ينبغى أن يكونوا مدركين أن هناك قراء يقرأون كتاب الله غير صحيح .. ويتنفسون فى القراءة .. بما فيهم إذاعيون الآن ..

** مثل مَنْ ؟!!

* لا أستطيع أن أقول ..!!

** وغير الإذاعيين ؟!

* هم أيضا يفعلون .. فإذا كان الإذاعيون - كقدوة - يفعلون هذا فمن يمتنع إذن ؟! (إذا كان رب البيت بالدف ضارباً .. (فشيمة أهل البيت كلهم الرقصُ) !!

إن الله قد مَنَّ على القراء هذا الزمان ، ولم يعودوا فى حاجة إلى مال ، إنما يحتاجون إلى تقوى الله فى قراءة القرآن والمحافظة عليه .. فليس معقولاً زن بعضهم كلما أعطاه الله مالاً جن وأغضب الله .

وأنا أراهن إذا كان « المهيصون والمهرجون » من المستمعين فى حفل قد فهموا شيئاً وأفادوا به من خلال هذه القراءات الخارجة ..

** هم يستمتعون بصوت جميل فقط ..

* حتى الصوت نفسه لن يكون جميلاً .. لأن ما يضبط الصوت هو التلاوة الصحيحة.. حتى لو كان الإنسان صوته غير جميل ويتلو القرآن صحيحاً يشدك إليه وتجد فيه راحة نفسية .

** إذا التزم القراء بطريقة واحدة وبالأحكام حرفيا فسوف يصبحون جميعانسخة واحدة .. ولن تظهر القدرات الصوتية العالية !!

* يمكن إظهار القدرات الصوتية ، لكن ليس على حساب كتاب الله .. ليتفنن من يرغب كما يشاء ، لكن فى حدود ما تعلمه .. لايتنفس أحدهم ليمد صوته أكثر ..

لقد سمعنا سيدنا فى الكتاب يقول : من تنفس فى القرآن فكأنه زنا بأمه !! وهذا كلام للتخويف والتقريع من هذا السلوك .. إننى مع التزامى بهذه الحدود فقد قال الشيخ البنا فى حديث إذاعى عنى : هناك شاب اسمه الشحات أنور إذا حافظ على صحته سيكون من أعلام مصر فى التلاوة .. وجاء كلامه هذا إجابة عن سؤال حول من يخلفه هو والشيخ عبدالباسط .

** وماذا عن هؤلاء الذين كانوا يلحنون القرآن على الدفوف فى العصر الوسيط ؟!!

* معقول يا شيخ ؟!! لم أسمع بهؤلاء .. إن القرآن وحده موسيقى : فالمد موسيقى ، والغنة موسيقى .. وغيرهما ..

** ابنك الصغير (الشيخ محمد) لايتجاوز عمره الثانية عشرة وقد حفظ القرآن جميعه مجوداً .. وأنت تسمع له .. ما رأيك فى صوته ؟! أهناك إمكانات لأن يكون قارئاً فى المستقبل ؟!

* إمكانات أخيه (أنور) أكبر ..

** ربما لكبره عنه فى السن ..

* محمد لايرغب فى التجويد كثيراً .. مع أن صوته جميل .

** هل ثمة تشابه بين صوت فضيلتك وأنت فى عمره وصوته هو الآن ؟!

* التشابة الأكبر بينى وبين أنور ..

** أتعده للمستقبل خليفة لك ؟!

* أود أن يحفظ القرآن كله .. فهو يحفظ حوالى نصفه فقط . وأريد أن يكمل تعليمه ويحصل على شهادته .. فهو الآن با لمرحلة الثانوية الأزهرية . وبعد ذلك إذا كان حافظاً للقرآن وأحكامه ، ويحافظ عليه فيمكن أن يسلك الطريق . ولا أقبل تلاوة القرآن وهو يحفظ نصفه فقط .

** أحفظا القرآن على يديك ؟

* لا .. إننى أحضر للأبناء محفظا.

** الناس بدأت تأخذ بتقليد جديد هو إلغاء السرادقات فى المآتم .. هل ألغيتْ أيضا فى قريتكم هنا ؟!

* هى لم تلغ هنا . ويمكن أن تلغى حينما أكون مشغولاً خارج القرية فقط .

** أيقيمون السرادق لتقرأ فيه فضيلتك خصيصاً ؟!

* لدينا دار مناسبات أو مضيفة أو دوار تجتمع العائلات فيه .. وغالبا ما تقام فيه المناسبات .. أما من يستطيع إحضار سرادق فهو يفعل . وأنا أتلو القرآن لهم بدون مقابل منذ حوالى خمسة عشر عاماً .

** إذا رأيت فى قريتك هذه صوتاً شبابياً جميلا .. أتشجعه وتساعده ؟!

* نعم .. أتمنى .. وليس فى قريتى فقط ، بل فى أى مكان بشرط أن يكون حافظاً للقرآن فلا أشجع غير الحافظ . وإذا لم يكن حافظاً فليذهب إلى الغناء !!

** إذا اجتمعت مع زملاء آخرين لك فى مناسبة ، ووجدت منهم أصواتاً جميلة شدت الناس للإعجاب بها ، ما شعورك حينها ؟!

* أفرح جداً .. أن يفتح الله عليهم .. وأنا كذلك أجتهد أن يفتح الله علىَّ . فالعمل رزق . وليس هناك ما يستدعى الحقد .

** أهذا هو الإحساس الحقيقى فعلا .. وكل القراء يحسونه ؟!

* ليسوا جميعا .. لكن لم أقرأ مع أحد إلا كان هكذا فى رحابة الصدر . وأكثرهم معى محترمون ومهذبون .

** لاحظت ظاهرتين اثنتين فى وسط القراء : الأولى أن الغالبية العظمى منهم لا يدرسون القرآن يحفظونه فقط .. فلا يعرفون تاريخ النزول ولا الناسخ والمنسوخ ولا أسباب النزول ولا التفسير .. وغيرها من الدراسات القرآنية المعروفة ..

الظاهرة الثانية : أن كل من تحدثت معهم لايتكلمون الفصحى باستثناء الشيخ أحمد الرزيقى فقط .. ما تعليقك على هاتين الظاهرتين ؟!!

* السبب أننا جميعا حفظنا القرآن فى الصغر .. ولانلتحق بالمعاهد الأزهرية أو المدارس لنتلقى العلوم اللغوية التى تمكننا من الحديث بالفصحى كما ينبغى .. وإن تحدثت معك الفصحى فقد تكون ثقيلة علىَّ بعض الشقل . ولكن إذا تكلمت أنت و «نشزت» فى الحديث فأنا أحس بالنشاز ، مع أنى لا أستطيع ذكر السبب ! فالقرآن أساسى بالنسبة للغة العربية .. ومنامَنْ تعلم .. ومن لم تتح له الفرصة يمكنه أن يتثقف ذاتياً .

** لفضيلتك رحلات كثيرة إلى خارج مصر .. ماذا تتذكر من طرائف هذه الرحلات وغرائبها ؟!

* بكيت حينما كنت فى إيران عام ١٩٩١ .. كان الحرس مصفوفاً أمامنا كأننا مسئولون

كبار ، يحمينا من الجمهور الذى يرغب فى التبرك بنا ، ولو حتى بلمسة . . وكانوا يقدمون لنا قصاصات أوراق نخط فيها أى شئ لتحل بهم البركة ! ! فبكيت لاحتفالهم العظيم بأهل القرآن واحترامهم لهم بشكل لا أجده فى بلادنا .

** أليس لديهم قراء مثلكم ؟!

* لديهم قراء أصواتهم جميلة غير موجودة فى مصر . . لكنهم غير متفرغين ، ومعظمهم تجار . . وهم جميعاً يقلدون القراء المصريين : الشيخ عبدالباسط ، الشيخ مصطفى إسماعيل ، الشيخ محمد المنشاوى ، الشيخ البنا ، الشيخ الطبلاوى الشيخ غلوش . . وأنا . .

** أيقلدونك هناك بكثرة ؟!

* طبعاً . . وجدت ٧٠ ٪ منهم يقلدوننى . . وكنت مسروراً بهذه الحالة . وفى إحدى الحفلات قرأ شاب وقلدنى فماه علىَّ الإمام خامينئى - الذى كان حاضراً الحفل - وقال لى : أترى . . إنهم يقلدونك . . فحافظ على صحتك ! ! وكان معنا الشيخ شعيشع .

وأثناء وجودنا فى إيران كنا حديث الصحف والتليفزيون والإذاعة . . وقد وصلتنى عدة رسائل غرامية من فتيات يعرضن الزواج علىَّ ويطلبن عنوانى ! !

* أحدث هذا فى إيران فقط ؟!

** فى مصر تصلنى رسائل غرامية كثيرة من فتيات محجبات . . وبعضهن يتخذن الدين مدخلاً إلىَّ ، ويسألننى فى بعض القضايا الفقهية ، فأصرفهن برفق . . وزوجتى كثيراً ما ترد على مكالمات تليفونية من فتيات .

** أتتشاجر معهن ؟!

* هى تصرفهن بجفاف . . وأنا حريص على عرض هذه الأمور « الصغيرة » عليها لتكون هناك ثقة وبعد عن الشك ! ! !

الشـيخ

محمد أبو الوفا الصعيدى

* صوت الصعيدى أحلى .. لحرارة الشمس !!

* حفلات الزواج فى أسوان .. بالقرآن لابالرقص !!

* الحد الأدنى لأجرى جنيه .. أما الأقصى فالله أعلم !!

* منعوا أم كلثوم من تسجيل القرآن .. لأن صوتها عورة !!

* حفظت بعض السور من والدتى .. قبل القراءة والكتابة !!

* سيدنا كان يرفه عنا .. بقراءة الشعر !!

* فى ساحل العاج يحتفلون بليلة القدر .. بالرقص والعرى !!

الحوار معه يشبه حمل الأثقال لواحد مثلى : جميع عضلاته عظام ومفاصل !! فضيلة الشيخ محمود أبو الوفا الصعيدى - أحدث الأصوات الجنوبية الساحرة - جاد جداً فى كل ما يقول ، وكل ما يفعل أيضا .. حتى إنه قد يلقى النكتة بغير ابتسام . !!

وهو ذو أخلاق راقية ، وحس مهذب ، يحرج المتحاور معه أن يداعبه ويناوره ويستفزه فى الحديث .. إنه يشبه من الشعراء أميرهم أحمد شوقى الذى كان لايجيد الحديث عن فنه ، ولا عن نفسه ، ولاحتى يجيد إلقاء قصائده فيكل بهذه المهمة إلى غيره !! والشيخ محمود أبو الوفا الصعيدى ربما فى كل هذا يتمثل خطى أجداده العظماء (الانصار) الذين ذادوا عن النبى ، وحموا دين الله بأرواحهم .. فكان جابر الأنصارى - جده الأكبر - يقف على رأسه بمقرعة لئلا يخطئ فى حق أحد ، أو يقع فى سقطه !! ومع هذا كله جاء حديثنا معه نغمات سريعة الوقع ..

وكان هذا التساؤل مدخلى إليه :

** معركة تاريخية طريفة دارت بين أنصار الطربوش وأنصار الكاسكيتا فى بدايات هذا القرن.. وانقسم المفكرون إلى معسكرين كلٌ يؤيد أحدهما . شبيه بهذا يحدث الآن من خلال معركة تدور فى نطاق ضيق بين الكاكولا - التى يمثلها الشيخ الطبلاوى - والسروال أو البنطلون الذى يتبناه الشيخ أحمد نعينع .. مع أى المعسكرين تقف .. وما هو الباعث الحقيقى لهذه المعركة ؟!!

قال الشيخ الصعيدى :

* إننا لانراها معركة ، إنما هى أمزجة . وكل طرف يرتاح لما يراه مناسباً له .. وأنا أعتز بالكاكولا والطربوش .. فهذا الزى يفَّرق بين العالم وغيره .. وهذا يدخل فى إطار العرف.

** إن الملبس لاعلاقة له بالعلم .. والكاكولا هذه زى تركى الأصل . ولم يكن النبى يرتدى

الكاكولا .. فما علاقة القارئ بهذا الملبس تحديداً ؟!!

* هو شئ متعارف عليه .. نشأنا فوجدنا القارئ يرتدى هذا الزى ، والعالم يرتديه .. إنه شعار يشير إلى هوية صاحبه . أما البنطلون والجاكتة فشئ مستحدث ، لم نعهده فى طفولتنا وشبابنا ، إنه دخيل .

** ألا يمكن خرق هذا المظهر بما لايسيء إلى الدين ؟!

* حين أرى شخصا ترتدى كاكولا ويجلس فى السرادق ، فسوف أعرف أنه هو القارئ لاختلافه عن بقية الحاضرين فى زيه .. أما إذا كان مرتديا بذلة فكيف أميز بينه وبين بقية المعزين ؟!

** يمكن أن يحدث لبس بين الأزهرى - وهو صاحب كاكولا - وبين القارئ الذى يرتديها..

* هذا صحيح .

** يلفت نظرى من خلال متابعة تاريخ القراء أن الصعيد أنجب مجموعة كبيرة من النوابغ فى مجال الفكر : كالطهطاوى والمنفلوطى والعقاد وطه حسين ومحمود حسن إسماعيل .. وفى مجال القراءة ، حيث قدم الشيخ عبدالباسط وابنه طارق والشيخ أحمد الرزيقى والشيخ محمد صديق المنشاوى وأخاه الشيخ محمود .. هل هناك سمات معينة فى البيئة الصعيدية تجعل حتما تاريخيا أن يقدم لنا هؤلاء النوابغ فى هذين المجالين بالذات بينما يبدو مجدياً فى مجالات أخرى؟!!

* هذه الأصوات تخلقها الطبيعة . فلو قارنت بين القارئ من الوجه البحرى وزميله من الوجه القبلى سترى الصعيدى صوته أحلى .. ربما لحرارة الشمس أو غيرها من العوامل الطبيعية : تؤثر فى الحنجرة ، وربما جسم الإنسان بصفة عامة .

فكثيرون من غير الصعايدة يتساءلون : لماذا الصعايدة بالذات صوتهم حلو ؟! مع إن

إخواننا البحراوية فنانون ومجيدون .. لكنهم يرون الجمال الأكثر فى الوجه القبلى.

والدليل على هذ أن الشيخ عبدالباسط والشيخ محمد صديق المنشاوى كانا ألمع مقرئين على مستوى العالم الإسلامى ..وربما يكون صوتهما منحة من نبع الطبيعة.

** عنصر الفقر الذى جعل الصعيدى يتفرغ للقرآن ويهتم به أكثر ، وعدم الرفاهية المادية والثراء الفاحش .. أليس له دور فى هذه الظاهرة ؟!

* ربما يكون له دور فعلا .. ولدىَّ مثال صغير ، هو أن الشيخ الطبلاوى علَّم ابنه (محمود) القرآن .. وكان يدرس معنا فى الأزهر . فقال له : استعد يا بنى لتلبس الكاكولا وتقرأ بأجرة جيدة .. فقال له ابنه : ولماذا أتعب أنا نفسى ؟! فقال له : فعلا ، لو ولدت (فَقْرى) مثل أبيك لقرأت !!

فيمكن أن يكون الفقر من الدوافع لاحتراف القراءة ، والتكسب منها .. وخصوصاً أن الصعيد حالته المادية متردية أكثر من الوجه البحرى ، وإن كان الوجه البحرى أيضاً مليئاً بالمقرئين .

** لو عَّرجنا بشكل مستفيض - لابهذه الإجابات «الفلاشية» - على تجربتك مع القرآن حفظاً ودراسة وتجويداً .. فماذا تقول ؟!

* بدأت حفظ القرآن على يد السيدة والدتى . فقد كان والدها صاحب كتاب ، ومن علماء المسلمين ، واسمه حسن محمد القليد وكان يحفِّظ أبناء القرية ، ومن ضمنهم أمنا التى حفظت منه شيئاً ليس قليلا .

وقد أخذت هى تحفظنا قبل التحاقنا بالكتاب فى سن الثالثة .. وعند التحاقى بالكتاب كانت لدىَّ خلفية ساعدتنى على الانطلاق .. وقد كنا مقيمين فى أسوان ، ورأينا أن تنمية هذه الموهبة لابد أن تكون بالعلم من خلال الأزهر بالقاهرة والتى بها الإذاعة أيضا .

ومعروف أنه ليس هناك من ينجح فى امتحانات الإذاعة من أول مرة .. قد ينجح بعد المرة الثانية والثالثة أو أكثر . فلو كان أحدنا مقيماً بعيداً عن القاهرة فصعب عليه التردد على الإذاعة واحتمال مشاق السفر الطويل.

واستقريت فى القاهرة دارساً بصحن الأزهر لتحصيل العلم .. ثم التحقت بالإذاعة بعد عدة محاولات.

** بعدكم محاولة ؟!

* بعد ست محاولات !!

** وما هى مبررات عدم النجاح فى كل المرات السابقة ؟!

* كنت أحيانا آتى من الصعيد وأنا مجهد ، وأَمْثُل أمام اللجنة فلا يساعدنى صوتى .. كما أنهم يشترطون الانتقال النغمى ، ولم تكن لـــدىَّ فكرة عنه فى بادئ الأمر .. فتقربنا من الزمـــلاء ، وبكثرة الســماع تعــرفت على المقامات .. وكان التحاقى بالاذاعة فى ١٢ / ١٢ / ١٩٩١ م .

** بالنسبة للمقامات الموسيقية لايجيدها الشيخ محمد محمود الطبلاوى .. فكيف التحق بالإذاعة ؟!

* لقد أخذ القراءة سماعيا .. أذنه رقيقة .. وله صوته الجيد . وقد ظهر بطريقة متفردة تميزه عن غيره.

** أترى أن هناك مدارس فى القراءات بهذا العصر .. ما هى ؟!

* نعم . توجد مدارس . وأى قارئ مبتدئ لابد أن يقلد ، فيأخذ من أية مدرسة : محمد المنشاوى ، عبدالباسط ، مصطفى إسماعيل .. وكل الزملاء يقتبسون من سابقيهم.

فمن أين أقول ؟! مما أسمع !! ثم نقلد .. وكل واحد حسب ميوله وذوقه.

وبكثرة الاستماع يأخذ القارئ هذا وذاك ، ويمزج بينها فيخرج بطريقة تميزه وتتفق مع طبيعته وقدراته الصوتية .

** وفضيلتك تنتمى لأية مدرسة ؟

* أنا أعد نبراسى الوحيد الشيخين عبدالباسط ومحمد المنشاوى . وهما أول من استمعنا وأعظم من نشيد بهم . وقد سادا العالم فى مجال القراءة . فأخذت بتقليدهما كأصوات . لكنى الآن أقلدهما نغماً فقط ، وبطبيعتى الخاصة .

** بالنسبة لحكاية المقامات الموسيقية هذه لو نظرنا فى قراءة حفص عن عاصم ، أتستطيع أن نقرأ الآية الواحدة بطريقتها على عدة مقامات موسيقية ؟؟

* طبعا .. يمكن .. حسب حرية القارئ وميوله وإمكاناته .

** ومتى يصبح لفضيلتك مدرسة مستقلة فى القراءة ؟!

* بكثرة متابعة الزملاء والإلمام بطرائقهم سوف أخرج بطريقة مستقلة تخصنى وحدى .. فالشيخ المنشاوي أخذ طريقته من الشيخ محمد سلامة فى المقامات والنغم، لكنه أدى بصوته وطبيعته .. والشيخ كامل يوسف البهتيمى أخذ أيضا من مدرسة محمد سلامه كمقام ونغم ، ثم استقل بمنهج له .. وهكذا ..

** مَنْ إذن ناظر هذه المدرسة أصلاً ابتداء من القرن التاسع عشر ؟!!

* ليست لدىَّ خلفيه من بدايتها .. لكن محمد سلامه أخذ أيضا من آخر . وهكذا تسير السلسلة .

** لم تذكر لى المحطات التى انتقلت عبرها من مركز ادفو . . .ان إلى اعتراف الإذاعة بك كقارئ ووجودك على المستوى العا , ,معرف الناس بك ؟!

* دراستى الأصلية (دبلوم تجارة) ولا أمت بصلة للأزهر .. إلا أن الدافع لدىَّ لخوض هذا المجال هو حسن صوتى ، وتشجيع والدتى لى على حفظ القرآن . صغيراً . فبدأت أتردد على الكتاب مع المدرسة الابتدائية .. وقد حفظت ربع القرآن على شيخ اسمه (كمال) وأتممت ثلثيه على الشيخ محمد أبو العلا .. ومع ضغط الدراسة تركت القرآن مؤقتا ، والتحقت بالجيش ، وفيه بدأت أستعيده مرة أخرى، وأكملت حفظه بعد خروجى من الجيش بعامين.

وجاء التحاقى بالأزهر ، والانتظام فى الدروس التى تلقى بصحنه بغرض صقل هذه الموهبة وتنميتها من خلال « الدراسات الحرة» إلى أن وجدت نفسى مؤهلاً لامتحان الإذاعة فتقدمت له.

** متى كانت المرة الأولى التى قرأت فيها على ملأ من الناس ؟

* كان ذلك فى قريتنا عام ١٩٧٦ فى حفل (زواج) .. وعندنا الزواج بالقرآن لا بالرقص .. وهو يختلف عن القاهرة وغيرها من المحافظات الأخرى .. أما فى المدرسة أثناء دراستى فقد كنت أقرأ كل صباح فى إذاعتها ، وكان الزملاء والأساتذة يشجعوننى ويطالبونى بتنمية هذا الصوت وصقله.

** مسألة الزواج بالقرآن هذه ليست معروفة لدينا .. ماذا عنها ؟!

* فى أثناء الزواج نقيم ببلدنا حفلة -وكنت بالأمس فى إحداها - وندعو لها الأصدقاء والأقارب ، ويستدعون قارئاً يلتفون حوله سامعين منصتين ، على سبيل التبرك للعروسين.

** ألايوجد مغنون ولا راقصات ؟!!

* لايوجد هذا فى أسوان !! وبالتحديد ٩٩ ٪ يسير على هذا التقليد : بقراءة القرآن فى احتفالات الزواج . والخروج على هذا التقليد حالات شاذة .

** ما مبعث هذه الحالة من التدين فى أسوان على وجه التحديد ؟!

* هو حالة منتشرة لدينا منذ القدم ، والناس عندنا طيبون ، وينبذون الغناء والرقص وكل ما لايرضى الله .. ولديهم أصالة : فمنهم من هو من آل البيت ، ومنهم من هو من الأنصار.. فالتدين حالة قائمة بالوراثة .

** وفضيلتك إلى أى القسمين تنتمى ؟

* إلى الأنصار .. الذين نزحوا من المدينة المنورة إلى مصر أثناء فتحها ، وانتشروا فى أنحاء الجمهورية . لكن مركزهم أسوان ، ومن ضمنهم سيدى جابر الأنصارى فى الاسكندرية ، وهو صحابى كبير.

** وكيف تتعارفون ؟!

* لانعرف بعضنا جميعا .. لكن الموجودين فى حدود منطقتنا نعرفهم .. أما من نزحوا بعيدا فقد تفرقوا وانشغل كلٌ بحياته.

** لو طرحت لنا نبذة عن الأنصار فى أسوان : تاريخ وصولهم ، تكويناتهم القبلية ، عاداتهم وأعرافهم . فماذا تقول ؟!

* هم يمتازون بالتدين والكرم . أما وصولهم لمصر فلا أعرف السنة بالتحديد ، لكنى أعرف أنهم جاءوا مع أفواج الفتح حسب حكايات الأجداد لنا . ويرجعون هذا النسب إلى سيدى جابر - رضى الله عنه - جدنا الأكبر.

والغالبية من بنى النجار أخوال النبى (ص) ومازالت تحتفظ بالاسم . ومنهم فى الشرقية وسوهاج وأسوان وبالنسبة لعاداتهم فهم يتمسكون بالنسب بقوة حتى الآن ، لكن سائر حياتهم غير هذا تنسجم مع التيار العام للمجتمع .

ولدينا حتى الآن (المجالس العرفية) أو التأديبية أو (مجالس العتاب) الأهلية . ويتوافد

عليها الناس ، ويتعاملون معها أكثر من تعاملهم مع الشرطة . .

وفى أغلب القرى لجان للمصالحات تفض الخلاف قبل وصوله للشرطة ، حتى ولو وصل هذا الخلاف للقتل .

** فى حد القتل ماذا يفعلون ؟! أيحصلون على دية ؟!

* لاتدفع دية . . لكن هناك تقليداً بأن يأخذ القاتل كفنه ، ويذهب إلى أهل القتيل ، فيعفون عنه ، وأحيانا يقتصون منه بقتله . لكن الغالب هو العفو .

** الأجيال القادمة من القراء لاتعرف مصيرها بدقة إزاء الهجوم الدائم للمتطرفين دينيا على مناسبات العزاء وإقامة السرادقات والقراءة فيها . . ماذا تتوقع لقراءة القرآن فى خلال العقود القادمة ؟!

* الناس مازالت متمسكة بهذا التقليد الطيب مهما قالت الجماعات الدينية . . فاذا كان الإنسان يؤدى واجب المشاطرة فى الأحزان للآخرين فسوف يشاطره الآخرون مثل هذه المناسبات . ولذا لابد من إقامة السرادق أو توفير المكان لاستقبال هؤلاء الناس . . وفى مثل هذه التجمعات سماع القرآن خير من القيل والقال . وفى القراءة رحمة للأموات وشفاء للأحياء . وهو لما قرئ له . وسوف تستمر عادة القراءة هذه ، لكن فى بعض البلاد تأثير واضح لهذه الدعوات ، وإن كانت الغالبية العظمى مازالت متمسكة بالقراءة . وبعض القرى ترفضها عدة سنوات ثم ما تلبث أن تعود إليها مرة أخرى . .

** الناس فى الغالب تحذر كل ما هو جديد . . حينما دخلت هذا الوسط لأول مرة هل واجهتم صعوبات أو تحرشات من بعض القراء القدامى ؟!

* لا . . لم تقابلنى مثل هذه الصعوبات . . فكلهم إخوتى وأحبائى .

** هذا هو الكلام الدبلوماسى ، لكن ما يحدث فى الخفاء غير هذا !!

* إنهم جميعا أهل قرآن . وأهل القرآن متمسكون بالدين وفضائله . ولا أرى غير الاحترام فى جميع الزملاء منذ وصولى إلى القاهرة.

** قل الطلب على القراء بسبب الهجوم عليهم وضعف الحالة الاقتصادية للناس .. أأثر هذا على أجورهم ؟!

* الأجر نصيب ورزق .. لانستطيع أن نتطرق إليه بأى حال من الأحوال . وليس هناك قارئ له مقياس محدد لايتنازل عنه ، مهما كان حجمه . فهو حسب من يطلبه من ناحية الثراء والفقر.

** أقصى ما وصل إليه القارئ حاليا .. كم ؟!

* لا أستطيع أن أقول أرقاما .

** الشيخ عبدالباسط كان يحصل على خمسة آلاف جنيه فى الليلة ، وكذلك الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمود على البنا .. هل تجاوزت بعض الأجور هذه الحدود حاليا؟!

* لا أستطيع أن أقول !! فأنا لم أسأل أى زميل : كم تقاضيت ؟!

** هى أمور معروفة .. فأنا لم أسأل الشيخ عبدالباسط وهو لم يجبنى بأنه يتقاضى خمسة آلاف جنيه !!

* هذا كلام سمعناه ، لكنا ما رأيناه .. ولايمكن الجزم فيه . فأنا أحيانا أقرأ بلا مقابل لدى الأصدقاء والأقرباء .. وربما كان يأخذ أحدهم هذه الآلاف الخمسة فى ليلة كل شهر ولايسهر غيرها ، وربما فى شهرين . لأن القارئ كلما كبر حجمه وحصل على أجر أعلى « يريِّح » فى العمل .. وقد كنت مع الشيخ محمود صديق المنشاوى فى إحدى المناسبات ، ولا أعرف كم حصل عليه ، والشيخ الطبلاوى كذلك.

** وكم الحد الأقصى الذى وصلت أنت إليه فعلا ؟!

* الماديات « سيبك منها » !!

** والحد الأدنى ؟!

* أقل أجر وصلت إليه كان جنيها !! أما الأقصى فالله أعلم به !!

** بعض السيدات يقرأن القرآن .. ماذا تقول فى قارئه القرآن التى تقدمه فى المناسبات العامة ؟!

* جدى لوالدى كان عالماً ، وكان يقول : صوت المرأة عورة حتى فى قراءة القرآن .

والدليل على هذا أنه منعوا أم كلثوم من تسجيل القرآن . وكان يمكنها كنغم وصوت تسجيله .

** وهى قرأت بعض الآيات فى أحد أفلامها ..

* يمكن أن تقرأ فى فيلم .. أما قراءة مستقلة فلا . هكذا علمونا . ويمكن أن تقرأ المرأة بينها وبين نفسها وفى بيتها ، وتأخذ الأجر والثواب كالرجل . لكن على ملأ لايصح !! هذا مرفوض.

** يلاحظ أن السيدات فى الكتاتيب قليلات جداً ، والفتيات تحديداً..

* فى سن مبكرة للمرأة لابأس أن تحفظ القرآن وتتردد على الكتاب ..

** أقصد أنهن قليلات جدا ..

* هن قليلات فعلا فى الوجه القبلى . أما فى الوجه البحرى فربما كن أكثر من الأطفال الذكور فى الكتاتيب.

** وماذا تعلمت فضيلتك من السيدة الوالدة كقارئة للقرآن .. هل ارتحت لها كمقرئه ،

وكانت أقرب إلى نفسك من الشيخ فى الكتاب ؟!

* هى كانت مريحة جداً لى .. لكن ليست أفضل من الشيخ . لقد علمتنا البدايات ، فكنا نلتحق بالكتاب فى سن الرابعة وقد حفظ كل منا على الأقل نصف جزء قبل أن نتعلم القراءة والكتابة .

** أكانت تضربكم وتقسو عليكم أحيانا كما كان يفعل سيدنا فى الكتاب ؟!

* القرآن يحتاج إلى بعض اللين لأنه « ثقيل » وهو يحفظ بالتشجيع والحب لا العنف.

** ذكرياتك عن سيدنا فى الكتاب .. ماذا عنها ؟!

* سيدنا كان جباراً إلى حد كبير .

** أكان يضربكم ؟!

* نعم لكن كان أحياناً يقيم لنا « مولداً » كل خميس أو جمعه ، وينشد لنا القصائد ونشاركه فيها بترديدها وراءه ، ليزيل عنا الملل ويدخل الترفيه والفرح.

** أكان هذا هو الترفيه ؟!

* نعم .. هذا هو ترفيه سيدنا الذى كان جباراً !! ولدينا مثل يأخذ به هو : يحفظ القرآن صغير خائف أو كبير عارف.

** وبقية إخوتك .. أيحفظون القرآن ؟!

* يحفظون كثيرا من القرآن . وليس فيهم من يحفظه كاملاً ..

** والأبناء ؟!

* مازالوا صغاراً ، وأكبرهم أحمد - ٩ سنوات - وهو مع ذلك يحفظ إلى الجزء الخامس.

** لو وجدت لديه موهبة الأداء القرآنى أتتركه يعمل فى مهنتك ؟!

* لامانع .. يشق طريقة فى المدارس وفى القرآن معاً ..

** لو كان صوته جميلا وأراد أن يعمل مغنياً .. ماذا تقول له ؟!

* أقول : لا ..

** بدافع دينى أم أن هناك دافعاً آخر ؟!

* طبعا بدافع دينى .

** من نوادر القراء وطرائفهم .. ماذا تحفظ ؟!

* حكى لنا الشيخ رزق خليل حبه شيخ المقارئ المصرية فقال إن أحد القراء كان يتلو سورة يوسف بسرادق متوفٍ . وأخو المتوفى يستقبل العزاء ، وكان آخر الأحياء من إخوته . وقال الشيخ :« جعل السقاية فى رجل أخيه » ثم كررها عدة مرات .. فمال الأخ على أحد المعزين وقال له : قل للشيخ : أعرف يا أخى أنه راح لأخيه !!

* كانت لك رحلة فى العام الماضى إلى ساحل العاج .. ماذا تتذكر منها ؟؟

* ساحل العاج فيها الإسلام مازال طفلا .. وقد وصل إلى هناك منذ حوالى مائة عام.

ولم يتعمق وينتشر كما ينبغى .. وهناك ٥٧ ٪ فقط من الشعب مسلمون .. لكنه لايطبق التطبيق الصحيح كحدود وشرع .. فمثلا فى المواريث عندهم إذا كان أحدهم قد خَلّف ثلاثين ابناً ، فالذى يرثه بعد موته هو أكبرهم سناً من الزوجة الأولى إذا كان متزوجاً بأكثر من امرأة.. ولديهم الزواج بأربع مباح.

وهم يعتبرون العربى قريبا للنبى (ص) ، فيستقبلونه استقبالاً حسناً.

وكانوا يتبركون بنا ويتمسحون فينا ..

ومن الطريف أنك تجد الأسرة الواحدة فيها المسلم والمسيحى والوثنى وكلهم إخوة

وأقارب ! ! لأنهم دولة علمانية ولديهم حرية الأديان . .والرئيس لديهم مسيحى ، وكل المحافظين تقريبا . .أما رئيس الوزراء فهو مسلم.

** أيفهمون القرآن وأنتم تقرأونه ؟ !

* فيهم من يفهمه ويقرأه ، ولكن بطريقة « مكّسرة » . وصعب عليهم نطق العربية.

** أليس هذا يدعو إلى تدخل الأزهر والأقطار الإسلامية بعامة لمساعدة هذا الشعب على الاقتراب من دينه وفهمه بشكل صحيح ؟ !

* طبعا . . وفى كل عام تذهب بعثات مصرية إلى هناك لمساعدتهم وتوعيتهم . . لكن غير المسلمين هناك ليسوا حريصين على نشر الإسلام ، بل يرغبون فى محاصرته ؛ بدليل أننى بمجرد وصولى إلى الإقليم الذى كنت سأقرأ فيه استدعانى محافظه وقد أعد لى مجموعة من الضباط مع مترجم ، وسألونى عن سبب الزيارة وما سأفعل فيها . . وقد نبهنا أعضاء البعثة المصرية هناك إلى التزام الحذر وعدم التحدث فى الدين.

** فكيف وافقوا على ذهابكم إلى بلدهم إذن ؟ !

* كانت المسألة بتنسيق بين سفيرنا المصرى هناك والجالية العربية . . أما الحكام فلايرغبون فى دخول الإسلام إليهم .

** فكيف وصلهم إذن ؟ !

* الإسلام دخل إليهم - كما قيل لنا - عن طريق رجل مسلم عالم ، ذهب إلى الحجاز وعاد داعياً إلى دين الله ابتداء من منطقة (بندوقو) التى كان ينتمى إليها ، وكانت رحلته للحجاز سيراً على الأقدام .

ومن المظاهر غير الإسلامية ، ويؤدونها بحرص ، أنهم فى ليلة القدر يقيمون أخشاباً تشبه مرمى الكرة أمام المساجد فى الميادين العامة ، وتجلس أعلاها الفتيات عاريات النصف الأعلى ، والنساء يضربن بالدف ويرقصن حولهن ! ! تعبيراً عن فرحهم بليلة القدر ! ! !

فقيـه القراء

الشيـخ فتحى المليجى

* قـراءة القـرآن حـاليـا .. ليـست هى قـراءة الرسـول !!

* « فِـقِى » كلمـة ناقـصـة .. ولا تعنى « القـارئ» !!

* يا ليـتنى أنا .. الشـيخ مـصطفى إسـمـاعـيل !!

* أقـرأ أخـبـار الفنانين .. وأنسـاها فى ثانيـة !!

* أجـر قـراءتى فى الكعـبـة .. أتطوع به للمـسلمين

* خـدعـوا عـمى الشـيخ .. فطردته المرأة السـورية !!

* فى المدرسة الابتدائية .. اجتزت ثلاث سنوات .. فى يوم واحد !!

* الشـيخ طنطاوى .. يشـتم « الواد » مـحـمـد عـبـدالوهاب !!

إذا شاء أحد المتدينين الخيرين أن يقدم نموذجاً للمسلم ـ قلبا وقالباً ـ فى العصر الحديث ، والذى يأخذ من كل طيِّب بطرف ، ومن الدنيا أرقاها فعليه أن يصور «بالفيديو» مقتطفات من حياة الشيخ فتحى المليجى ليعرضها على الناس.

ففضيلته لم يبلغ من العمر أرذله ، لكنه بلغ من الحكمة أدقها ، ومن الوعى أعمقه ، ومن الزهد أوسطه ، ومن التهذب أنقاه ، ومن الكرم أقصاه .. فترى وتسمع تعبيرات : سيدى ، وأستاذى ، وشيخى ، وعمى ، ومعلمى ، ومولاى متدفقة على لسانه بغير ادعاء ولاتكلف .. فيبدو لك العالم كله خيِّراً ، طيباً ، وديعاً ، بلا دم ولا ظلم ، ولانكد وأنت تجلس فى رحاب هذا الرجل الذى تخجل من سخائه وتواضعه.

وهو لم يحفظ القرآن كوظيفة و « أكل عيش » بل هو يحاول أن يفقه ما حوله : شرعاً ، وتنزيلا ، وتفسيراً ، وناسخاً ، ومنسوخاً ، ولغةً .. حتى إننى لم أقبض إلا على النادر من الأخطاء اللغوية فى كلامه ؛ شأنه فى هذا شأن فضيلة الشيخ أحمد الرزيقى وكلاهما يحرص على الفصحى ، وما تمثله من بعد حضارى ، وواقع ، ومستقبل . ومادام فضيلة الشيخ المليجى متعمقاً فى الدراسات القرآنية فقد رأيت أن أستهل معه الحديث بهذا التساؤل :

** أترى فضيلتك أن قراءة حفص عن عاصم كانت أسباب انتشارها الواسع فى المشرق العربى ترجع إلى أنها أفضل وأسهل وأجمل من القراءات الأخرى أو لمجرد أن أخذ بها المصريون انتشرت فى المنطقة ؟!

فأجاب :

* الإمام حفص أحد الرواة عن الإمام عاصم بن أبى النجود الكوفى .. وتحدث عنه إمامنا فى القراءات الإمام أحمد الشاطبى الرعينى الأندلسى حديثا أفاض فيه حتى بلغ أن قال :« وحفص وبالإتقان كان مفضلا».

وإن يتحدث عنه الإمام الشاطبى بهذا الأسلوب فهو دليل على أن الإمام حفص كان صاحب مذهب فى الأداء القرآنى يحتذى .. ليس لأنه جاء لمنطقة عربية ؛ فلو لم يأت الإمام

حفص هذه المنطقة العربية لبحث العرب عنه ، وذهبوا إليه .. فمع التذوق العربى السليم القوى الواعى للقرآن اختاروا الإمام حفص حيث يحبونه وأحبهم.

** إلى أى الأصول ينتمى ؟

* من الكوفة بالعراق .. فى مولده وتعلمه . وهو أحد رواه الحديث عن عاصم بن أبى النجود الكوفى أيضا .. والإمام عاصم كان مشهوراً بعلم الحديث والبلاغة .

وكان حفص عالماً فذاً أيضا ، شهد له الإمام نافع المدنى ، وأقر ما كان يقوله.

** لفظ « فقيه » تطور من معناه المعروف فى اللغة ، أى التبحر فى علم ما .. حتى انحصر فى العلوم الشرعية والقرآنية بصفة عامة .. وواصل تطوره على ألسنة العامة فاقتصر هذا الزمان فى لفظ « فقى » بكسر الفاء والقاف . ما تقييم فضيلتك لهذا التطور الذى يحمل بعداً اجتماعيا وفكرياً فى النظر لحملة كتاب الله ؟! وهؤلاء الفقهاء - من ناحية أخرى - لهم نوادر و «ومقالب» فيما بينهم .. ماذا تتذكر منها؟!!

* كلمة « فقى» صفة وليست اسماً . وقد أطلقت على من هم دون الفقيه ، الذين يتفقهون بما ليس فيه نفع لمن يسمعه .. لكن الفقيه - كما تعلم - هو العالم الجهد الذى دقق وحقق فى مادته ، سواء أكانت فى العلوم الدينية أم الدنيوية : فقهاء اللغة القانون ، فقهاء السياسة.. إنها تطلق على الأعلام حتى من غير المسلمين.

فأنا أبعد لفظ « فقيه » عن « فقى» التى هى كلمة « ناقصة» .

وهى كانت تطلق حتى بعد ما تطورت الأساليب على المتفيقهين لا الفقهاء .. فإذا ما أراد علية القوم أن « ينبسطوا » ويرفهوا عن أنفسهم طلبوا « الفقى» .. وكثير من الناس ألصقها بالفقيه القارئ .. وهم لايدرون أنها بمرور الأزمان ستكون حاملة لمعنى الهدم . ولكنهم أطلقوها جهلاً ، ونرجو أن يعودوا إلى صوابهم وألا تطلق كلمة «فقى» على القارئ إطلاقاً . لأن القارئ فقيه من الفقهاء ، وعالم من العلماء ، وجهبذ من الجهابذة.

** إلى متى - إذن - يمكن أن نرجع تاريخ إطلاق هذا المصطلح على الفقهاء وقراء القرآن ؟ ! أهو في العصر التركي ؟ !

* قبل العصر التركي .. لأن الممازحة كانت قبل مجيئ الأتراك ..

** أيكون في العصر الملوكي مثلا ؟ !

* ممكن ..

** لكن تاريخ الإطلاق ليس معروفاً على وجه الدقة ..

** فعلا .. لكن على كل حال هي جاءت في وقت تأزم الناس فيه .. وكان المخرج من هذه الأزمات « الفقهاء ».

** إذن يمكن أن يكون هذا في أثناء الحملة الصليبية ..

* أثناءها ، وما تبعها .. وهذا على وجه التقريب .. ولما كان المخرج للناس من أزمتهم هو الفقيه : يخرجهم بأسلوبه العلمي العميق الواسع من مآزقهم ، فقد جاء بعض المتفقهين وهم لايعلمون كيف يخاطبون الناس ، فأخذوا طريقاً للممازحة فاسموهم «فقي» .. وقد يكون المقصود بها التصغير لكلمة « فقيه» وأو تجزيئاً .. ولكن أقصد هذا أم ذاك أود لو نبعدها تماماً عن المجال العلمي ، فلا تطلق على القارئ أبداً.

إنه حقاً مصطلح عام .. لكن له تأثيره الاجتماعي . ومعروف أن البيئة تحكم الإنسان أكثر مما تحكم أدوات العلم . فيمكن أن تقال « فقي » بيئياً ، ولظروف ما في وقت ما ، فيتخذ مصطلحاً يصل إلى أنها أصل في الموضوع ، وهي ليست أصلاً.

** وماذا عن نوادرهم ومقالبهم ؟ !

* أنقل عن عمي الشيخ مصطفى إسماعيل - رحمه الله - وهو من الفقهاء الذين فقهوا كل شئ في حياتهم القرآنية ، ووصلوا بفقههم العنان ، وأرسوا بعلمهم الأسس التي تخلق أمماً بعد ذلك .. أذكر قوله أنه كان مرة في سوريا يقرأ القرآن ، وأراد المحيطون به أن « يداعبوه »

فقالوا له : لدينا رجل مريض نريد أن تدخل إليه وتقرأ له الفاتحة ليبرأ . وأدخلوه حجرة نوم وفيها « شخص » نائم ومغطى . وقالوا له : يمكن أن تلمسه وتقرأ له الفاتحة .. فوضع الشيخ يده على رأس « النائم المريض » ثم على صدره ..وفجأة رُفع الغطاء وصرخت امرأة : امشى !!! فجرى الشيخ خجلا !!

** لكن هؤلاء الذين دبروا له المقلب ليسوا قراءً ..

* هم ليسوا قراءً فعلاً .. لكنهم سرقوا هذا المقلب من طبيعة الفقى الذى يشبه أبا نواس .

وأذكر أن الشيخ مصطفى روى أيضا حكاية طريفة ، قال : إن شخصاً اتصل بى وبالشيخ محمد سلامه والشيخ محمود الربيحى ، وكل واحد منهم من وراء الآخر لإحياء ليلة .. وسألت الرجل : من معى فى هذه الليلة ؟ فقال : أنت وحدك ولا أحد غيرك .. وسوف تقرأ حتى الثانية عشرة مساء ، وبعدها تنتهى الحفلة .. وذهب الشيخ مصطفى ، وظل يقرأ من السادسة والنصف ، والجمهور يحييه يستمتعون بقراءته ، حتى أوشك وقته على الانتهاء ، وفوجئ بذهول الشيخ محمد سلامه وهو يقول : أنا كنت أسمع عيلاً صغيراً يقرأ هنا على ما أظن !! فرد عليه الشيخ مصطفى : أنا عيل صغير يا شيخ سلامه ؟!! فقال له : العيل يقرأ أحسن منك يا ولد !! وكان الشيخ سلامه هذا عالماً كبيراً وقارئاً شهيراً ، وكان الشيخ مصطفى فى حوالى الثلاثين.

وجلس الشيخ مصطفى يسمع الشيخ سلامه و « يهيص » له : أيوه يا عم الشيخ .. الله يفتح عليك .. و .. و .. وفى النهاية قال له : يا ابن الكلب تقول الله يفتح عليك وأنت تريد أن تشعل النار فىَّ !!

** وماذا عن النكات التى يتداولونها فيما بينهم؟!

* إننى أسمع النكات وبمجرد سماعها أنساها !! لأننى بحكم تكوينى وبيئتى وأسرتى القرآنية لم أجلس لأتفكه يوماً ، ولم أجلس مجلس صبية يوماً ، ولم ألعب كما يلعب الصغار . وإنما منذ أن استيقظت على الحياة رأيتنى فى أحضان جدى لأمى فضيلة الشيخ

محمد أحمد عمران .. وكان من علماء الأزهر الكبار .. فلم يترك لى فرصة أبداً، حتى ولو التباسط مع إخوانى .. نشأت وكأنه غرسنى طفلا لأكون شيخاً ، وغرسنى صبياً لأكون رجلاً كبيراً .. ولا أذكر أبداً أننى جلست كما يجلس الصبيان .. ولم أسمع هذه النكات إلا فى الكبر .. وأسمعها من أذن وتخرج من الأخرى !!

وإخواننا - الله يصلح حالهم ! - أساتذة فى النكات وما شابهها ، ونضحك لها كثيراً .. ولكن إذا سألت بعد لحظة : ماذا حصل وماذا اسمعت ؟! فلا أعرف !!

** أيؤلفون هذه النكات أم هى من محفوظاتهم ؟!!

* هى تأتى بشكل عابر وبطريقة ذكية .. لأنهم يخلقون كلاماً من لاشئ ويأتى مطابقاً للأشياء !! وفى هذه الممازحة والتبسط تظهر محطة « الفقى» وليس لازماً أن يكون من أهل القرآن ولا حامليه.

** ألاحظ أن فضيلتك - على عكس بعض القراء - تحرص على النطق العربى الفصيح .. ويبدو أن هذا تخصص لك .. أم أنه تأثر بالقرآن واستقامة اللسان ؟؟

* لقد قلت ما لا أعرف قوله !! هو تأثر وتمعن وتجويد .. والفضل فى هذا يرجع إلى القرآن الكريم . لأنى كما قلت « لفضيلتك » نشأت فى أحضان العلم.

والعلم الذى لايقبل شريكا . فكنت أذكر أن جدى الشيخ عمران - وهو شرقاوى مثلى - حينما كان يجلس فى مجمع من العلماء الكبار ينادينى . وكنت أكره أن أجلس معه ؛ لأنى كنت طفلا ، وأريد أن أمرح وألعب وأجرى . فلا يعطينى الفرصة . فأجلس معهم وأنا متضايق . لكن فى النهاية الكلام الذى كنت أسمعه من سادتى العلماء كنت « أعمل به » أستاذاً على زملائى !! وكنت أتفلسف عليهم بالقرآن . وجملة من هنا وأخرى من هناك .. فأقول مثلا لأحد الأطفال زملائى : ادنُ منى يا ولد !! أما غيرى فيقول : خد ياواد !! وهكذا .. ولأجل اهتمامى باللغة هذا سمعت من الكبار قولهم : هذا الولد سيكون شيئاً عظيما : يقرأ جيداً ، وصوته جميل ، وألفاظه قرآنية .. وهذا شجعنى على أن أظل عند حسن

ظنهم طوال حياتي . وقد كان .

** لو كان أبناء فضيلتك يحفظون الأغاني التي أسميها « الأغاني الهبابية » أي الشبابية .. وينصرفون عن أن يحفظوا القرآن أو يستمعوا إلى فضيلتك فلمن يعود السبب . وكيف يكون العلاج في مثل هذه الحالات .. وماذا تقول لهذا الجيل كله من أبنائنا ؟!!

* يعود السبب إليَّ أنا كأب أولاً .. ولكن الحياة لها نموذجها الخاص الأخاذ فقد آمرهم بشئ فإذا ما قاموا لتنفيذه في البيئة والمجتمع اصطدموا بالصخور البشرية ؛ فلا تؤتى توجيهاتي ثمارها ، لأنها لن تجد قنوات التنفيذ في المجتمع .

وهذه لا أستطيع تحديد المسئول عنها .. لكن المسئولية الأولى عليَّ كأب وكل الآباء .. وإذا اعتبرنا كل أب رباً لأسرته فمن ليس له أب فله رب ، وأقصد الذي يرعاه كمسئول .

** بعض الفنانين كالشيخ زكريا أحمد والشيخ أبو العلا محمد خرجوا من عباءة القرآن واحترفوا الغناء .. أتعد هذه ظاهرة صحية أم تدهوراً ؟!! ألم تخالجك يوماً ما رغبة في أن تسير في هذا الاتجاه شديد اللمعان ؟!!

* للقرآن أهله ، وأهله له .. فإذا تركه واحد من حفاظه لسبب أو لآخر ، فيجب أن نتأكد أن النجومية اللامعة حقاً في القرآن .. فقراءة القرآن وتجويده تجعل الإنسان من الذين « يتجمون » حتى يلمعوا .. ولكن صدق الله العظيم حين يقول : « إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

وقد حرص رسول الله (ص) على أن يجعل من أقرب الناس إليه - وهو عمه - نجماً لامعاً ورجلاً من أهل الدين والفكر والعلم ، وحرص حرصاً بلغ منه الجهد ، ومع ذلك لم يؤت ثمره . فقال له تعالى : هوِّن عليك ، فليس لك في الأمر شئ وهذا دليل على أن الحرص هنا كان من جانب واحد هو جانب النبي . أما عمه فلم يكن يحرص على القرآن ولا نبيه ، فلم يلتقيا .

وهؤلاء الذين ذهبوا إلى اللمعة الدنيوية التي لاتساوى ومضة في جلسة القرآن القرآن ، أو

حضرة العلم ، أو محفة الملائكة .. هؤلاء حريصون على ما يترتب عليه هذا اللمعان وغيره من نجومية . وإذا ترتب عليها عرض زائير فسرعان ما تزول مع العرض . ولا يصح إلا الصحيح .

أما كون أولادى يسلكون مسلكاً غير القرآن ، فهذا بالقطع مرفوض . وأولادى يسلكون مسلكا فيه القرآن بروحه ومعناه : قولاً وعملاً وأسرة . أحسن منهم ما لاقدرة لى على تعليمهم إياه لولا أن الله تغمدنا بفضلة .. فحين أتهيأ للوضوء أجدهم - بلا دعوة منى - يشاركوننى الوضوء والصلاة . ومسلكهم فى الجامعات الكل يشهد بحسنه دون أن يعرفنى .. ويتصل بعض أساتذتهم شاكرين لى هذه التربية . وهذا يثلج صدرى، ويجعلنى أحس بأن القرآن له مغزى ومعنى ليس لغيره .

** أيدرس أبناؤك فى كليات أزهرية ؟

* لا .. فاكبر أبنائى محمد .. بكلية الزراعة ، وحسن بالكلية الحربية .. وهو على أعلى مستوى من التقى والورع والجدية العسكرية . ففيه رجولة وشهامة تتفق مع كونه رجلاً عسكريا فى مستقبل حياته . ثالث أولادى فاطمة الزهراء : وهى تلميذه بالإعدادية ، ومن المتفوقات والمستقيمات والصادقات و الصالحات بالأسلوب الذى أحب أن يكون فى أبنائى ، وأحب أن يراه الناس فيهم . وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يمنحك من الولد ما تقربه عينك !!

** ينبغى أن يمنحنى أولاً الزوجة قبل الولد الذى ستقر به عينى !!

* يارب !! .. إننا فى الانتظار .

** حكايتك مع القرآن حفظاً وتجويداً .. كيف بدأت ؟؟

* منذ ولادتى فتحت عينى فوجدتنى أرى القرآن مجسداً فى أسرتى .ولم تسمع أذنى إلا القرآن يدوى فى هذه الأسرة . وكنت أصحو الفجر على الصلاة ، وأنام ليلاً فى مجلس

العلم . ولذلك لاتسترعى أذنى حتى الآن لغير مجلس العلم ، ولاتستريح لغير سماع القرآن .

أقرأ كثيرا ، ولكن حين أجلس إلى المصحف أشعر بأن أجمل ما رأت عينى هو القرآن الكريم . منذ الصغر نشأت على الإحساس بضرورة حفظ القرآن ؛ لأنه لاحياة لى بعيداً عن القرآن بحكم مولدى ونشأتى . فبعد أن حفظته فى سن مبكرة ـ فى السادسة تقريبا قبيل دخولى المدرسة ، كنت قد حفظت حوالى عشرين جزءاً ـ التحقت بالسنة الأولى الابتدائية ، فامتحنونى فى اللغة العربية والإملاء ، وطلبوا منى كتابة مقطوعة على السبورة فكتبتها صحيحة تماما وبخط جميل ، فأحالونى إلى السنة الثانية لأمتحن بها ولتحديد مستواى فى نفس اليوم . وعقدوا لى امتحانا ثانيا ـ وكان ذلك فى عام ١٩٤٦ ـ ونجحت فيه : كتابة وقراءة بلا خطأ واحد . فأحالونى إلى السنة الثالثة ثم الرابعة التى توقفت عندها ، وبدأت دراستى منها .. وكل هذه الاختبارات عقدت فى يوم واحد ، فاجتزت ثلاث سنوات فى يوم !! وقضيت السنة الرابعة فى المدرسة العامة ، ثم انتقلت إلى المعهد الإعدادى بمدينة الزقازيق .. وكانوا حينها يشترطون فى دخول المعهد الحفظ الجيد للقرآن كاملاً .. وحين التحاقى بالمعهد لم يكن يصدق مدرسوه أنى أحفظ القرآن ، لصغر سنى . فقال لهم جدى : امتحنوه !! فاجتزت الامتحان بتفوق .

وكنت أتعلم قواعد النطق وأنا أحفظ القرآن من خلال سيدنا على عادة ذلك الزمان ، وليس كما يحدث هذا الزمان من « الهوجة » .. ولذلك أقول إن قراءة القرآن فى أى مكان بالعالم الآن ليست هى التى ورثناها عن سيدنا رسول الله (ص) .. إنما قراءة القرآن حينما كنا نحفظه كان يعلمنا سيدنا الغنة والإخفاء والمد ، وكل الوجوه .. فكنا نحفظ القرآن ومثله معه من قراءات وأحكام وقواعد .

وفى معهد الزقازيق درست القراءات مع العلوم الأخرى .. وكان صوتى قد عرف بالجمال ؛ وما ينقصنى هو أن أكون على مستوى القراء المتخصصين .. واتجهت إلى الدراسة بمعهد القراءات بناء على توجيه الشيخ مصطفى إسماعيل لى . وقادنى هو إليه ، وقدمنى إلى عميده

وأساتذته . ورغم أننى كنت ملماً بالقراءات من خلال المعهد الأزهرى فإننى لم أرد أن أراجع نصيحة الشيخ مصطفى . وكان عميد المعهد الشيخ عبدالمحسن الشطى يسمعنى وأنا أؤذن الأوقات وأقرأ فى الأزهر .

وأحضر مجالس العلم للشيخ صالح الجعفرى ، والشيخ عبدالمجيد الحصرى ، والشيخ محمد عبدالمجيد سليم .. واستفسر من الشيخ مصطفى عنى فقال له : نعم هو الذى يقرأ فى الأزهر ويؤذن .. فقال الشيخ الشطى : إنه متقن للقراءات ، فليس فى حاجة إلى دراسة هنا .. وتناقش معى هو وبعض الشيوخ ، فوجدنى حافظا .. وبعد حوالى ثلاث سنوات حصلت على شهادته ، مختصراً سنواته السبع .

فكان للشيخ مصطفى إسماعيل الدور العظيم فى تشجيعى على الاعتكاف لاتقان القرآن والارتباط به .

** ومتى بدأت الصلة بينكما .. أجاءت لتشابه صوتيكما أم لأسباب أخرى ؟؟

* هذه الصلة بدأت لأنى أحببت الشيخ مصطفى .. وكنت أسمع مشايخنا الكبار ، لكنى أجد فى عمى الشيخ مصطفى شيئاً مميزاً .. فشدنى بالعظمة والجلال والاحترام للأداء القرآنى . وأقل تشبيه أقوله فى أستاذى الشيخ مصطفى أنه من أرقى من قرأوا القرآن ، ومن أعلم من أدوه بفقه ووعى وذكاء وتحمل رسالة .. فشدنى هذا إلى تقمص شخصيته . فياليتنى أنا الشيخ مصطفى !! لقد كنت فى سن مبكرة وأحترم فيه العظمة الرائعة ، والكبرياء المتواضع ، والمبالغة المختصرة ، والعلو القريب .. إنه قدوة فى كل شئ : كل تصرفاته قرآنية . إذا ما سمعته وهو يقرأ ، ونظرت إليه مدققاً ، وجدت أن قارئ القرآن يجب ألايخرج عن هذا السمت : جالس لايتحرك . فنسمع من الجمل القرآنية ، وتنفعل الناس بأدائه ، وهو هادئ متزن وقور . ويذكرنى بالآية :« كذلك لنثبت به فؤادك » وإذا ماثبت القرآن ثبت قارئه .

وكنت أحرص على صلاة الجمعة معه دائماً . لا لأستمع إليه فقط ، بل لأرى هذه

الشخصية القرآنية المنقطعة النظير . وأرجو وأنا أفتخر بالشيخ مصطفى أن أكون مفتخراً أيضا بمشايخنا الكبار العظام الموجودين.

لقد كان كثيراً ما يرشحنى للقراءة فى بعض المناسبات التى يكون هو نفسه مرشحاً لها .. وحين يرشحنى عمى الشيخ مصطفى لا أجد كلاماً أعظم من فعله فأحس أننى أنا الشيخ مصطفى !!

** أكانت بينكما أية صلة قرابة ؟!

* لا .. لم يكن .. لكن بعد وفاته أصبحت هناك صلة ودية لى بأسرته أكثر من ذى قبل، وبصفتى أقرب تلامذته إليه . وبعد دخولى الإذاعة سمعتنى أسرته وبدأت اتصالاتنا وزياراتنا . وابنته الكبيرة السيدة « انجى » تقول إننى أرى فيك والدى الشيخ مصطفى .

** متى بدأت احترافك للقراءة ؟

* القراءة موجودة بالنسبة لى منذ الصغر .. ولكن تفرغى بدأ بعد أدائى الخدمة العسكرية. وأخذت أنمى فكرة القراءة فى الستينيات.

** واعتمادك بالإذاعة .. متى كان ؟

* فى السبعينيات .

** يلاحظ أن وسط القرآن حاليا مقسم إلى جماعات وأحزاب و« ثُلات » ـ جمع ثلة ، أو « شلة » بالعامية ـ ما تقييمك لهذا الصراع . وكيف تراه ؟!

* إذا قلنا إنه صراع داخل دائرة من خلالها يصل الإنسان إلى ما يصبو إليه من كمال وجمال ومجد فى مجال القرآن فهذا أمر مشروع . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

الجماعات القرآنية إذا كانت تدور حول هذا المعنى فهى إلى الأفضل ، لخلق روح الود والتراحم . وليس كل القراء على مستوى مادى موحد ، وليسوا أيضا على مستوى قرآنى موحد .. فإذا أعددنا الجماعات القرآنية للتعمق فى الفهم والإتقان فبها ونعمت، وأشجعها..

وأذكر أنه منذ احترافى للأداء القرآنى اكتسبت من مشايخنا الكبار قديما ولا أقصد التودد والتقرب الذى يعود على الأسرة القرآنية بالنفع من كل الجهات . ولا أقصد النفع على الناحية المادية فقط ، بل ناحية علمية وقرآنية وشخصية ومظهرية واجتماعية.

وأتذكر أنه كان فى العباسية ضريح أحمد ماهر ـ جعلوه حالياً مسجداً ـ وكان حوله حديقة مزروعه بالنجيل . .وكان كذلك جامع القبة الفدوية أمامه حديقة غناء . . فكان مشايخنا الكبار يعقدون مجلساً أسبوعياً فى هذين المكانين . . وكان الشيخ الصيفى ، والشيخ على حزين ، والشيخ محمد سلامه ، والشيخ محمود الربيحى ، والشيخ محمد سليمان طنطاوى « عتاوله» الأداء القرآنى ، وكانوا كأسرة واحدة ، ومن لديه عمل أو سهرة ، قبل أن يعود منها إلى داره يذهب إلى هذا الجمع « ليتمم» فيجد المشايخ قاعدين يتدارسون فيما بينهم كتاب الله وأحكامه وقراءاته . . وهم كخلية النحل الى تدوى بصوت فيه غذاء لكل الحاضرين . . ومن لديه معلومة عليه القاؤها على من لايعلمها ، ولايدعه حتى يفقهها.

أذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ محمد عبدالوهاب ، أيام وجود الإذاعات الأهلية التى يملكها أفراد أوشركات ، وكل مطرب كان يتحدث إلى الآخر من إذاعة . فيقول فلان لعبد المطلب : يا عبدالمطلب غناؤك لم يكن حسناً فى أغنية كذا !! ويقول عبد المطلب لعبد الوهاب كذا وكذا !! أذكر فى تلك الأثناء أن عبد الوهاب كان يذيع حديثاً أغنية «ياوابور قل لى رايح على فين » . . وهى فى قمة الفن وفيها أبدع عبدالوهاب . . فكان الشيخ محمد سليمان طنطاوى يقول للشيخ على حزين : إنت سمعت « الواد» محمد عبدالوهاب يقول إيه؟! فيرد الشيخ على حزين : ماذا يقول ؟! فيذكر الشيخ طنطاوى أنه يقول : ياوابور قل لى رايح على فين . . ويستدرك : وابور يدوس على قلبه وقلب أمه !!! شوف يا أخى الواد !! فيقول الشيخ حزين : وانت زعلان ليه ؟! فيرد : هى حلوه قوى . . بس يا وابور قل لى راي على فيين . . كانت عايزه حتة زيادة فنياً . . أى إطالة فى ياء « فين» !!

هكذا كان تعليقهم ، ونظرتهم للعمل بمنظور فنى فقط ، ولايخلو من دعابة ومرح . . والذى يغنى فنان كبير ، والمعلقون هم الفقهاء ، أهل القرآن .

هذه هى الحياة الفنية الجميلة التى كان يعيشها أهل القرآن . فإذا كان التجمع أو الشلة أو الجماعة على هذا النسق فهؤلاء هم أهل القرآن حقا .

أما إذا كان الأمر غير ذلك فليس لى تعليق !!

** أتذكر بيتاً مما وضع على لسان آدم حين قُتِلَ ابنه هابيل .. يقول :

تغيرت البلادُ ومن عليها فوجهُ الأرض مسودٌ قبيحُ !!

هكذا ينسبون إلى آدم الحديث بالعربية ، بل وقول الشعر أيضا !! . لكنا يمكن أن نصف « ببيت آدم » هذا حالة القراء حاليا ..!!

* مع احترامى لهذا القول ، فنرجو ألا تسيطر الدنيا بما بها من لمعة على أهل القرآن .. فهى قد سيطرت على غير أهل القرآن .. وأهل القرآن - لاشك - محفوفون بعناية الله . وحين يصطفى الله تعالى من ملائكته رسلاً ومن (الناس) فالمقصود بالناس أهل القرآن فصاعداً .

** لاحظت أن هوايات القراء تكاد تنحصر فى حب الموسيقى والضرب على العود ؛ وهذا لاتصال القراءات بالموسيقى .. لكن الهوايات الأخرى كالرياضة والقراءة الأدبية والسياسية ومتابعة أنشطة الحياة المتعددة لاوجود لها لدى القراء .. هل هو الانغلاق على الذات أم نظرتهم إلى هذه الأمور على أنها من المحرمات ؟!!

* العامل الثقافى هو أساس الحديث فى هذا الموضوع . أهل القرآن هم أهل العلم . وأهل العلم لاتقتصر أهليتهم على شئ بذاته .. بل يجب أن يكونوا على معرفة - قدر المستطاع - بكل ما يدور حولهم فى الدنيا ، دون أن ينصرفوا عما يوصلهم للآخرة . فإذا اعتبرنا أهل القرآن أهل علم ، فهم المثقفون الذين يستطيعون التحدث فى كل أمور الحياة ، وبكياسة ، ولباقة ، وفقه .. أما غير هؤلاء فهم ينتسبون إلى جماعة أهل القرآن لهدف قصير المدى ، أو نظرة ضيقة ، وهى الاقتصار على قراءة بعض آيات القرآن لسبب ما .

** ليقبضوا منها !!

* لسبب ما !! .. أما أهل القرآن فهم أهل الله وخاصته .. أى ليسوا بالجهلاء ، ولا البلهاء ،

ولا ذوى المستوى الوضيع ، ولا المغفلين .. وإنما هم العلماء الأذكياء الكرماء البسطاء ولذلك ما غمض عليهم تعليم يفيض به الله عليهم من لدنه أما من هم خارج الدائرة ، فهم يتمسحون بأهل القرآن .. وأحسبهم أيضاً على خير !!

** إجابات دبلوماسية جداً !! فما هى هواية فضيلتك ؟!

* هوايتى المفضلة قراءة القرآن .. هى أساس للثقافة الدينية والدنيوية ..

وكل ما يتصل بعلوم القرآن أهواه ويستهوينى .. بعد ذلك أحب الثقافة اليومية الصحفية . وأقرأ الجرائد والمجلات ذات الموضوع الطموح . أقرأ لأى كاتب دون النظر إلى المستوي الفلسفى فى الكتابة . فقد يكون أسلوباً متواضعاً ، لكنه يحمل معنى عميقاً .

وللسفر لدىَّ مكان كبير ، وخاصة إلى بيت الله الحرام ومقدساته فى مكة والمدينة . وقد منَّ الله علىَّ بأن أقضى ليلة القدر من كل عام هناك ، على مدى اثنى عشر عاماً . ولا أتكسب من القراءة هناك ، إنما أتطوع بما تقدمه لى السلطات السعودية لدعم المسلمين فى سائر بقاع الأرض . ولذلك يقولون إن الشيخ فتحى المليجى هو القارئ الوحيد فى العالم الذى لايتقاضى أجراً عن قراءته هنا .

** هناك بلد اسمه (مليج) والنسبة إليه (مليجى) .. وفى الوقت نفسه تعرف الممثل الكبير محمود المليجى .. أثمة علاقة ما بين فضيلتك وهذا البلد أو هذا الممثل ؟!

* مليج .. فى محافظة المنوفية . أما أنا فمن محافظة الشرقية . ومولدى بقرية اسمها «الحبش» بمركز الإبراهيمية .. وربما تكون العائلة قد تبعثرت فى أكثر من مكان .. ونحن « شراقوة» أباً عن جد .. أما الفنان محمود المليجى فهو رجل فى مجاله متمكن من عمله ، وله وجوده الكبير ، وكنت أتمنى أن يكون هناك ما يصلنى به !! لكنى لا أعتقد بوجود قرابة بيننا !!

** الثناء على محمود المليجى يعنى أنك تشاهد الأعمال السينمائية والتليفزيونية..!!

* أنا أشاهدها .. لكنى لا أفقه فيها شيئاً !!

** أى يستوى لديك فريد شوقى ونجوى فؤاد ؟!!

* ليس هناك ما يلفت نظرى لهذا أو ذاك .. لأننى لا أملك (الثقافة التمثيلية) !!

وليس فى رأسى الاستعدادلهذا !! لكنى يمكن أن أقرأ شيئاً فى الصحف يكتب عن هؤلاء لأنى أحب أن أكون قارئ قرآن مثقفاً .. لكن بعد القراءة بثانية لاأتذكر ما قرأت منه ، ولاتجد لدىَّ شيئاً عنه !!

** الفنانات اللائى يتحجبن .. ماذا تقول لهن ؟!

* إذا كان الحجاب حداً فاصلاً بين الماضى من ناحية ، والحاضر والمستقبل من ناحية أخرى ، فأقول : « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله».

** أيعنى هذا الكلام احتمال أن يتحجبن شكلاً ومظهراً فقط دون المخبر ؟!

* لا أقول نعم .. لكن ما المانع أن يحدث هذا ؟! فربما يغلب الطبع التطبع !! لكن على أى حال قد تكون المرأة غير مسلمة ولكنها محتشمة ، فيظنها الناس مسلمة ، ونراها محترمة .. وقد تكون غير محجبة ومحترمة .. فليس الحجاب بلدليل على أفضلية معينة إذا لم تكن موافقة لطبع الإنسان نفسه.

الشـيخ

أحمــــد الرزيقــى

* القرآن الكريم .. نزل بالنوتة الموسيقية .. من السماء !!

* دُعيت إلى مهرجان موسيقى بفرنسا .. وغنيت فيه !!

* مرتب المقرئ فى وزارة الأوقاف .. ٢٥ جنيها شهرياً !!

* الوطن العربى مقَّسم .. حتى فى قراءة القرآن !!

* لحية الشيخ عبدالباسط .. رفعت الضغط لديه !!

* أكبر أجر لى خمسة آلاف .. وأحياناً خمسون جنيها !!

* كنت أقرأ لنجيب محفوظ .. وبعد نوبل قاطعته !!

* الموسيقار العظيم «جهلان» .. علمنى العود !!

يرى منه الناس الوجه القرآني ، ويسمعون تراتيل السماء تتري على شفتيه .. لكن للقارئ الشيخ أحمد الرزيقى جوانب أخرى فيها الثراء الروحى ، والعمق الإنسانى ، والبعد الوطنى .

فرغم نشأته فى حديقة الوحى الإلهى من خلال « الكُتأَب » الذى هجر المدرسة إليه ، فهو أيضا « سياسى » هاوٍ ، وشاعر يكتب الفصحى وأحيانا العامية ، وهو مع هذا «ملحن» لايقل احتضانه « للعود » عن احتضان فريد الأطرش له . !!

مع الملحن ، المطرب الشاعر .. فضيلة الشيخ الرزيقى نغوص فى « صعيديته» .. فلتنظر ماذا ترى ؟!!

قلت له :

** فضيلة الشيخ .. حديثنا لن يكون فى مخارج الحروف ، والوقف ، وغيرها من علوم القراءات .. بل سيتطرق إلى جوانب أخرى شخصية وعامة ..

قال بحماس :

* أنا مستعد للحديث فى كل شئ .. حتى السياسة !! فأنا سياسي .. لست قارئاً فقط !!

** هل مارست السياسة من قبل .. بمعنى انتمائك لأحد الأحزاب ، وخوض الانتخابات ، وتولى المناصب مثلا ؟!!

* لا .. لا . ليس بهذا المعنى . بل أنا أتابع كل ما يحدث ، لا فى مصر وحدها ، بل فى سائر وطننا العربى . لأن ما يصيب أحدنا يصيب الآخرين فى طول الوطن وعرضه.

أما عن الأحزاب فلست عضواً فى أى منها . ولكنى أمين عام نقابة محفظى وقراء القرآن الكريم .. وحزبنا هو حملة القرآن الكريم.

** ألم تخض أية تجربة سياسية أيام الشباب وحماسه ؟!

* لا .. أنا نشأت نشأة دينية بحتة .. حتى فى بلدنا أرمنت بمحافظة قنا كان لدينا أيام الملكية نشاط لأحزاب الوفد والدستوريين وغيرهما .. ولم ينضم أحد من بلدنا لأى منها .. ومن موروثاتنا القديمة وجود الأحزاب يفرق الجماعة .. والإسلام يحذرنا من التفرق : « واعتصموا بحبل الله جميعا لاتفرقوا » .. فوضعنا أننا مصريون عرب مسلمون..

** صعايدة .. !!

* نعم .. صعايدة .. والشعب العربى من المحيط للخليج ابن عمى وشقيقى .. وأنا من قبيلة اسمها (السلمانيون) من قبيلة (عنيزة) ، ومنا قبائل (الرزيقات) الموجودة بالسودان وهم أكثر من مليون.

** وما علاقة (الرزيقات) بعنيزة ؟!

* أى عربى نزح من الجزيرة العربية .. وقبائل الزريقات أصلاً من عنيزة ، فدخلوا أيام الفتح الإسلامى مع سيدنا عمرو بن العاص إلى مناطق (سواكن) بالسودان و (القصير) فى الصعيد .. ونحن على صلة بهم حتى الآن :

نعرفهم ويعرفوننا شخصا شخصاً.

** الكُتّاب هو جامعة القرآن التى خرَّجت معظم - إن لم يكن كل - المقرئين فى مصر . ماذا عن دوره فى حياتك ؟؟ وماذا تتوقع للإقراء بعد انقراض معظم الكتاتيب ؟!

* لا أعد الكُتّاب مكانا لتعلم القراءة وحفظ القرآن فقط ، بل جامعة شاملة تعلمت فيها كل ما يحتاج المسلم المثقف . وكل الثقافات تعلمناها من استيعابنا لبعض معانى القرآن الكريم. فتعلمنا منه اللغة العربية ، والكياسة والفطنة ، والحساب والرياضة .. وكل ما يحتاجه المسلم الواعى فى الكتاب .. ولذلك لا أرى أفضل ولا أعظم من إنشاء المكاتب لتحفيظ القرآن الكريم فى أية بقعة من بقاع الأرض . فالكُتّاب تربطنا به علاقة روحية ، وثقافية ، وسياسية .

** وماذا بعد انقراض الكتاتيب تقريبا؟!

* منذ عام ١٩٨٣ حين فكرنا فى إنشاء نقابة للقراء ، وأعددنا مشروع قانون يعرض على مجلس الشعب كان أول مادة فيه : إنشاء الكتاتيب فى أنحاء الجمهورية ، وتنمية المواهب الشابة فى حفظ القرآن الكريم . لأننا استشعرنا بعد افتقادنا الكتاتيب أن اللغة العربية التى كانت موروثة بالفطرة للشاب العربى قديماً ، أصبحت الآن بعيدة عن الشباب . فالواحد منهم يحمل الليسانس أو البكالوريوس ولايجيد الحديث بلغة أجداده .. وهذا سببه فقد الكتاتيب ، وما تبعه من فقد الحفاظ على القرآن الكريم الذى من خلاله يعتدل اللسان . فهو أساس اللغة.

وبعد إنشاء النقابة نسقنا مع وزارة الأوقاف والأزهر الشريف لإعادة تأسيس الكتاتيب فى المحافظات . ونمضى بخطى حثيثة فى هذا المجال ؛ وخصوصاً أن الازهر الشريف حاليا يشترط حفظ القرآن الكريم كاملاً لدخول المعاهد الأزهرية .. فبدأت الكتاتيب تنتعش مرة أخرى.

** ألاحظ أنك تتحدث باللهجة الصعيدية .. أهو عدم التكيف مع القاهرة أم هو موقف ضد لهجتها « المايعة» ؟!!

* الحقيقة أن القاهرة عزيزة علينا . لكن بعض الألفاظ تؤدى إلى معنى مخالف للمعانى اللغوية المعروفة . فمثلا حين يقال : « أنا عايز ألم ».. العياذ بالله !! أيحتاج أحد إلى « ألم» ويطلبه ؟!! أما إذا قلنا : « عايز جلم » فمعناها لايتداخل مع معنى الآلام والأوجاع .. إنه « قلم » .. وحين يقال : « أنا عايز أروح السوء » .. أعوذ بالله من السوء والسيئات !! أما نحن فى الصعيد فتقول :« السوج» أى : السوق .. فلهجتنا الصعيدية أقرب إلى الفصحى .. ونحن كصعايدة لانحب التقليد ..

« إحنا عانجلدو اللهجة القاهرية وقد نخطئ فى بعضها» ؟! كهذا الصعيدى الذى أراد ركوب

تاكسى ، فوقف على الرصيف وأشار فلم يرد عليه التاكسى الأول . وحين قدم آخر قال له الصعيدى : تأسى !! فهو يظن « التاكسى » تتحول لدى القاهريين إلى « تأسى» !! .. وحتى أولادنا يلتزمون بلهجتنا الصعيدية .

** أتعلمهم إياها ؟!

* أبدا .. هى مسألة بالفطرة .. إنهم يترددون كثيراً على الصعيد لحبهم إياه فيتعلمون هناك .

** أتعرف الحديث باللهجة القاهرية ؟!

* أعرف .. لكنى لا أجيدها .. أقول « أوى » بدل « جوى » مثلاً .. لكنى لاأقول «السوء» بدل « السوج» !!

** سيدنا فى الكتاب له حكايات كثيرة صورها بعض الأدباء كطه حسين فى (الأيام) .. ما حكاية « سيدنا » معك وعلاقتك به .. وكيف ترى تصوير وسائل الإعلام له ـ وخاصة التليفزيون ـ بهذه الصورة الكاريكاتيرية ؟!!

* أشكر لك أن سألتنى هذا السؤال .. فما جاء فى (الأيام) عن سيدنا إنما هو تزوير وتحقير لرجل عظيم وبتعمد .. ولا أعتقد أن الدكتور طه حسين كتب عن سيدنا ما ترجمه المخرج فى (تمثيلية الأيام) .. لأنه صور سيدنا كرجل متطفل ، نهم ، لا ذمة ولادين ، حتى إن الرجل التركى حين أرا د الزواج فأفتى له سيدنا بأنه إذا كان هناك فلوس يجوز الزواج ، وإن لم يكن لايجيز الزواج !! وهذا ادعاء باطل عن قيمة سيدنا الذى تعلمنا منه الفقه ، والصدق ، ونهانا عن الكذب ، وأكل الحرام .

لقد ربانا تربية إسلامية . ولو وصلنا إلى أرقى الدرجات العلمية فلن نجد ما أعطاه لنا سيدنا فى الكتاب .. يكفى أن أحدنا لو هم بفعل أى شئ سيئ يجد صورة سيدنا متجسدة أمامه ، فيقلع عن الخطأ .

** حتى الآن ؟!

* نعم .. حتى الآن .. لأنه ربانا تربية إسلامية راقية : صدق ، وعطف ، وإخوة .. وكل الشمائل العظيمة . فأنا عاتب على الأزهر الشريف أن سمح لتمثيلية تكرر فترة ، وتعطى الناس صورة سيئة عن أفضل من وطئت أقدامه الأرض : معلم القرآن .. الذى يقول عنه النبى (ص) : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فكيف يصلون به إلى هذا المستوى الذى لايليق بمسلم عادى ؟!!

* قديما أيام القراء السبعة ثم العشرة - كان القارئ عالما بالفقه والشريعة والنحو والصرف واللغة والشعر .. تقلص دور القارئ هذا الزمان فى أنه يقرأ القرآن فقط .. لماذا حدث هذا التغير غير الحسن .. وما تقييمك لهذه الحالة ؟؟

* لايصح أن يطلق تعبير « قارئ » إلا على من كان فقيها .. فهو مطالب بأن يكون ملماً إلماماً تاماً بفنون التلاوة القرآنية ، وهى وحدها فقه .. لأن القارئ لابد له من أن يعرف ما تعنيه الآية - ولو بعض الشئ - ويعرف الوقف الحسن والوقف السئ ، والبداية الحسنة ، وغير المرغوبة ، والوقف الذى يوهم معنى يخالف المعنى المقصود .. ومن لايعرف لايطلق عليه لفظ (قارئ) .. والقارئ مقرئ أيضا أى أنه معلم .

الجيل الجديد إذا لم يكن فيه هذه الصفات فسبب هذا اختفاء الأماكن المتخصصة ، وإهمال المعلمين الذين يمكن أن يعطوا هذا العلم للطالب .. ففى المدارس نرى مدرس المادة القرآنية واللغة العربية لايفهم القرآن ، ولاحتى يجيد قراءته . ووزارة التعليم لاتعين المدرس المتخصص لمادة القرآن والعلم اللغوى.

كذلك مازلت أطالب الأزهر ، وجميع وسائل التعليم بمصر - التى تضم ثلثمائه ألف مقرئ - بتعيين هؤلاء المقرئين بالمدارس لتعليم التلاميذ اللغة العربية والدين .. وليس شرطاً هنا الليسانس أو البكالوريوس .

وأغلب خريجى الأزهر والأئمة فى المساجد لايجيدون قراءة القرآن قراءة صحيحة ؛ لأنهم

لم يتلقوا القرآن وعلمه من متخصص .. فأطالب الأزهر بتعيين المقرئ ليعلم أبناءنا فى الأزهر الشريف تلاوة القرآن الكريم والفقه الإسلامى واللغة العربية . أما مسألة المؤهل فسيدنا رسول الله لم يكن حاملاً ليسانس حقوق ولاالبكالوريوس ولا الماجستير .. وكذلك أصحابه الذين كان مؤهلهم أنهم حافظون لكتاب الله . والقرآن الكريم جامع ، ولو حفظه أى مسلم ، واستوعب معانيه لأصبح من أعظم الناس فى كل المجالات : السياسة ، الثقافة ، الموسيقى ، الهندسة ، الجبر ، وحتى الكمبيوتر .. لأن القرآن الكريم مفتاح لكل العلوم وشتى المعانى.

** بمناسبة حديث فضيلتك عن الموسيقى .. أتسمع أغانى وموسيقى عربية ؟!

* طبعا أسمع موسيقى ، والأغانى ذات المعانى السامية . فحين تمدح السيدة أم كلثوم رسول الله (ص) فتقول :

وِلدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ   وفمُ الزمان تَبَسُّمٌ وثناءُ

فأدعو لشوقى بالرحمة ، أنه استطاع أن يقول هذا الكلام عن سيدنا رسول الله (ص) .. وحين أسمع الموسيقار محمد عبدالوهاب يقول :

أخى جاوز الظالمون المدى   فَحَقَّ الجهادُ وحَقَّ الفدا

فمن يقول إن هذا الكلام حرام ؟!!

وتصوير الموسيقى لبعض القصائد العربية (كالنهر الخالد) يهزنى ، وخصوصاً أن القرآن أنزله الله تعالى بالنوتة الموسيقية من السماء .. فالموسيقيون يقولون إن الوحدات الموسيقية (روندو ، بلاتشو ، كروش ، دبلوكروش ..) والقرآن الكريم يقول عن الزمن الموسيقى : حركة .. فأنا أسمع الموسيقى التى قد تقّرب الإنسان إلى الله ، إذا لم تكن على الطريقة التى سادت الآن.

** أجربت أن تغنى .. خاصة أن الأصوات القرآنية أسهل لها أن تغنى ؟!!

* معروف أن القارئ يمكنه أن يغنى لأنه ، أصلاً ملحن .. على عكس المطرب الذى لايستطيع

قـراءة القـرآن الـكريم . . وفى إحـدى السنوات أظنهـا ١٩٨٥ - زرت فـرنسـا أنا والشـيخ عـبدالبـاسط عـبدالصـمد بدعـوة من وزارة الثـقـافة هنـاك . .وكـانـوا يقـيـمـون مهـرجـانا للمـوسيقى الشـرقـيـة . فـدعت الوزارة المطربـين والملحنين من كل العـالـم الشـرقى . . فقـال وزير الثـقـافـة الفـرنسـى للمـشـرفين على المهـرجـان : إن المطربين والموسـيـقـيين ليـسـوا هم الموسـيـقى الشـرقـيـة ، بل القـرآن فى مـصـر . . ولذا كـانـت دعـوتـهم لى أنا والـشـيخ عبدالباسط . وقد قرأنا هناك .

وقد سألنى صحفى فرنسى : أتعتبر قراءة القرآن موسيقى شرقية ؟!

فقلت لـه : طبعـا . . لأن الرسـول (ص) يقـول : اقرأوه بلحون العـرب . . فهـو مـوسـيقى عربية أولا قبل أن تكون شرقية . . فقال : أيمكن أن تغنى ؟!

قلت له : نعم . . وغنيت موشحات .

** مثل ماذا ؟!

* غنيت كـثـيراً . . ولا اتذكـره . لكن كـان المرحـوم الشيخ الفـيـومى على صلة وثيـقـة بى ، وكنت أسمع منه قصائد ، لا أستطيع تذكرها الآن .

** إذن تغنى موشحات فقط ، وليس الغناء بصفة عامة ؟!

* أغنى كليهما . . بل وأعزف على العود أيضا !!

** وجه آخر من وجوه تدهور الإقراء فى العالم الإسلامى هذا الزمان ؛ أن بعض حافظى القرآن يبيعونه على القبـور برغيف خبز أو « فطيرة» أو برتقالة !! لماذا وصل بعض المقرئين إلى هذا المستوى المتدنى . . وكيف تعالجونه ؟!!

* أشك كثيرا أن يكون هناك مقرئ متخصص يحفظ القرآن الكريم ويعرف آدابه يلجأ إلى قراءته على القبـور . . ولكن هناك بعض من يدعون أنهم حفظة . . وهم « شلة » متسولة ،

تذهب إلى المقابر ، والسيدات يمكن الاستخفاف بهن ؛ فيَّدعون لهن الحفظ ، وهم ليسوا من القراء .

أما ما يمكن أن أتحدث عنه فهو بعض القراء الحفظة الذين يقرأون القرآن فى وسائل المواصلات كالترام ، وعلى الأرصفة .. وهم يلجأون إلى هذا الوضع لأنهم فى شدة الاحتياج ، وليست لهم وسيلة لجمع شئ يقتاتون به سوى هذه الوسيلة .. وفى نقابتنا سجلنا بعضهم ، ونمنحهم معاشاً من إمكانات النقابة الضعيفة ، وهذا المعاش ١٥ جنيها شهرياً فقط !!

وفى وزارة الأوقاف حوالى أربعة آلاف قارئ سورة ، كان يتقاضى أحدهم فى الشهر ستة جنيهات !! ثم ارتفعت إلى ثمانية .. وتلاحظ أن كيلو اللحم الآن بثمانية عشر جنيها !!

** مرتبه هذا « يشم » به لحماً لا يأكلها به !!

* فعلا .. وقد رفعها وزير الأوقاف محمد على محجوب أخيراً إلى ٢٥ جنيها !!

فمايدفعهم إلى هذه المهانة الحاجة الشديدة ، التى ندعو الدولة لمساعدتهم على اجتيازها .

أما القارئ المتخصص الذى لديه ولو خلفية بسيطة عن آداب القرآن الكريم فلا يقبل أن يقرأه فى الأماكن التى ذكرتها .

** بالنسبة للعود .. ممن تعلمت الضرب عليه ؟!

* تعلمته من ابن عمى الأستاذ « جهلان محمد عبدالله » وهو موسيقار عظيم فى الصعيد عندنا . وهو مفتش التربية الموسيقية فى وزارة التعليم ..فأعطانى فكرة عنه ، وحين حضرت للإقامة بالقاهرة التحقت بمعهد الموسيقى العربية عام ١٩٧٦ .

** هل ألفَّت مقطوعات موسيقية .. أم تعزف أعمال الآخرين ؟!

* ألفت بعض المقطوعات والألحان .. فمثلا كان الشاعر الراحل عبدالله شمس الدين قد ألف قصيدة فى اتفاق الوحدة الذى وقَّع بين مصر وسوريا وليبيا والسودان .. كان أولها :

(وشاءَ اللهُ واتحدوا وكلُّ مهجةٌ ويدُ)

فلحنت هذه القصيدة .

** أسجلت بالإذاعة وأذيعت ؟!

* لا .. إنها عمل خاص بى .

** التربية والنشأة فى الطفولة أكان لها دور فى توجهك القرآنى هذا ؟؟

* من فضل الله تعالى أنه يطلق علينا (بيت القرآن) أى أسرتنا .. فأجدادى علماء وحفظة الكتاب الله .. و ٩٠ ٪ من أسرتى يحفظون القرآن الكريم .. أما أنا فقد كان الوالد - رحمه الله - قد أرسلنى إلى المدرسة الابتدائية عام ١٩٥٠ تقريبا .. وكنت يوماً متجها إلى المدرسة ، فوجدت جمعاً محتشداً بجوار الترعة جالسين على الأرض .. فسألتهم عن سبب التجمع . فقالوا : إن « الراديو » سيذيع الآن القرآن الكريم بصوت ابن (أرمنت) الشيخ عبدالباسط عبدالصمد . فجلست معهم ، وفتح الراديو الساعة السادسة صباحاً ، وسمعنا الشيخ عبدالباسط مرتلاً للقرآن .. وبعد أن فرغ من التلاوة لم أذهب إلى المدرسة ، بل اتجهت إلى الكتاب ، ولم أعرِّف أبى لمدة شهر ، وأنا أتردد على الكتاب وهجرت المدرسة . حتى وصل إنذار إلى والدى فى المنزل بتغيبى .. فلما سألنى قلت له : إننى أريد حفظ القرآن لأكون قارئاً كالشيخ عبدالباسط ، فأقرنى الوالد على هذا .. وحفظت القرآن ، ثم تعلمت القراءات السبع . ونهجت نهج القراء فى بلادنا .

** قراءة حفص عن عاصم هى المشهورة والدائمة فى بلادنا دون بقية القراءات السبع .. لماذا؟!!

* الوطن العربى مقسَّم حتى فى القرآن الكريم !! وكان البدء أيام عثمان بن عفان ، حين أرسل المصاحف إلى الأمصار .. فالشرق العربى كله : مصر ، الكويت ، السعودية ، العراق ، الإمارات ، عمان يقرأ لحفص عن عاصم وفى المغرب العربى يقرأون رواية ورش عن نافع ..

وفى السودان ونيجيريا والسنغال والصومال يقرأون قالون عن نافع أيضا .

والقارئ مطالب بألاّ يقرأ رواية تخالف الرواية المشهورة فى مجتمعه .

** وماذا لوقرأت رواية ورش عندنا هنا مثلا ؟!!

* لقد قرأت قصة عن الإمام نافع الذى كان مقيماً فى المدينة المنورة .. وقد طلب المسلمون منه أن يصلى بهم .. فقال لهم : أستشير أولاً الإمام مالك .. فلما عرض الفكرة على الإمام مالك رفضه !! فسأله الناس : لماذا ترفض أن يصلى بنا نافع ؟! فقال لهم : من يقول لنافع أخطأت إذا أخطأ ؟!! .

لو قرأت الإمام نافع خطأ لصار فى نظرهم صحاً ، فهو عالم جليل .. وقبل الإمام نافع هذا التفسير برضا .

فحين يقرأ أحدنا الآن القرآن فى جمع كلهم يقرأون رواية حفص وقرأ هو بنافع ، فإما أن يكونوا غير مهذبين ويقولون له : أنت مخطئ !!

أو أن يظنوا فهمهم هم وحفظهم للقرآن خطأ !! فمن اللزوم للقارئ أن يقرأ بالرواية المشهورة فى الجموع الموجودة أمامه .. ففى المغرب العربى حين نزوره نقرأ برواية ورش، وفى افريقيا برواية قالون ، وفى المشرق هنا نقرأ بحفص.

** لك حكايات طريفة مع الشيخ عبدالباسط عبدالصمد فى سفركما للأقطار العربية والدول الأجنبية .. ماذا تتذكر من هذه الحكايا ؟!

* كنا فى نيجيريا .. والشيخ عبدالباسط -رحمه الله- كان إنساناً بسيطاً ومتواضعاً ، ويشعر من يرافقه فى أية رحلة أنه خادمه .. وكانت هذه أول رحلة لى معه ، فتولى تخليص الجوازات وكل الإجراءات ، فقلت له : يا مولانا أريد أن أخدمك أنا أيضا . وكان الرجل الذى استضافنا قد أنزلنا بفندق فخم بلاجوس.

فقال لى الشيخ عبدالباسط : لقد جعنا ، وقد تركنا مضيفنا بغير أن يعًرفنا كيف نتصرف .. فاطلب لنا « الجرسون » واطلب منه الطعام .. وفعلا حضر إلينا رجل طوله متران !! ولايتكلم سوى لغته (الهوسا) . فقال لى الشيخ عبد الباسط : قل له نريد أن نأكل !! فحاولت أن أحدثه بالعربى فلم يعرف ، وببعض الكلمات التى أحفظها من الانجليزية ، لم يعرف !! فأشرت بيدى إلى فمى ، فأحضر لنا قائمة بالمأكولات ، وكلها بلغتهم المحلية .. فقال لى الشيخ عبدالباسط : اصرفه .. إنه أرهقنا !! فقلت له : كيف أصرفه .. أأقرأ عليه القرآن ؟!!

وكنت أحفظ كلمة واحدة من لغة الهوسا .. هى لفظة (أشرب) ويسمونها (كاوروا) وقد نسيتها بنطقها هذا ، فقلت له : كاروا .. فرد علىَّ : كاروا ؟! قلت : نعم .. كاروا .. وكررها ، فأكدتها . فأخرج ورقة وقلماً ورسم (الكاروا) فإذا بها امرأة !!! فنظر الشيخ عبدالباسط إلى الصورة وقال : أتريدها سوداء أم بيضاء ؟!! وحاول الجرسون معى حتى فهم أنى أريد الماء .

** وماذا عن سفرك مع الشيخ عبدالباسط إلى جنوب إفريقيا ؟!

* سافرت معه إلى جوها نسبرج ، وبريتوريا .. فكانت رحلة شاقة وقاسية جداً . ومن المواقف التى أذكرها أنهم كانوا يتزاحمون علينا هناك فى المساجد ، لدرجة أن الأكسجين يبدو لنا أنه نفد من الهواء !!

فالمسجد يكتظ بأكثر من ١٥ ألف مصلٍ .. وكان البوليس يفسح لنا الطريق لنتمكن من السير ولايعوقنا من يحاولون التبرك بنا بلمسنا أو تقبيلنا ..وركبنا سيارة العودة . وكان سائقها هنديا .. وكان الشيخ عبدالباسط يحب الركوب دائما بجوار السائق . فجلس إلى الأمام ، وأنا فى الخلف .. ففوجئت بالشيخ عبدالباسط يقول بحدة : أنا لا أطيق رائحة هذا الرجل !! وظل يردد هذا التعبير ومشتقاته طوال الطريق.. ولم نعرف أن السائق يفهم العربية !!

فبعد نزولنا قال : يا شيخ عبدالباسط .. اعذرنى .. إن لى خمسة أيام لم أستحم !! فقلت له : يا أخى .. الشيخ لايقصدك أنت .. إنه يقصد الشرطى راكب الموتوسيكل الذى كان يسير بجوار سيارتنا من ناحيتك .. لأنه شارب الخمر .. فقبل السائق الهندى كلامى واستراح . ثم أراد أن يحضن الشيخ عبدالباسط ويقبله .. فصرخ الشيخ : معلهش .. خليك بعيد .. خمرة الراجل جات تانى !!!

وكانت إحدى رحلاتنا إلى قطر .. فاقترحت عليه إطلاق لحيتينا مجاملة لأشقائنا هناك . وبعد عدة أيام أصبحت لنا لحى فعلا .. وبعد السفر والإقامة عدة ليالٍ نادي عليًّ : يارزيقى .. يارزيقى .. أمعك ماكينة حلاقة ؟! قلت : معى .. قال : أحس بأن ضغطى ارتفع .. ولم يرفع الضغط هذا غير ذقنى !! وحلقها !! وفى اليوم التالى جاء الشيخ عبدالله الأنصارى رئيس جامعة التراث الاسلامى الذى دعانا ، وسأله : أين اللحية يا مولانا ؟!!

** إذا كنا نغار على القرآن من أن يعبث بقراءته متطفل ، ومن أن يُتَاجَر به على القبور أو الأرصفة .. فإنه يلاحظ فى هذا الزمن أن بعض المقرئين يضعون لأنفسهم « أسعاراً» للقراءة فى المآتم والمناسبات .. فالمسجل بالإذاعة ليلته بأكثر من ستمائه جنيه وقد تصل إلى خمسة آلاف ، ومن ليس مسجلاً يتقاضى أقل من ستمائه .. ألا يعد هذا نوعاً من الإساءة للقرآن .. ولا ننكر أن من حق القراء أن ينالوا شيئاً ما يتقوتون منه ، لكن ليس بهذا الغلو ؟!!

أنتم - كشعب مسلم - تحتاجون إلى تفسير يستند إلى المنطق والعقل ، حتى تستوعبوا هذا وتهضموه .. فالقرآن الكريم لايجرؤ إنسان على التجارة به . فلو قلت : سأقرأ لك آية من القرآن الكريم ، وادفع لى ثمن قراءتها .. فو الله لو ملأت هذه الحجرة ذهباً ما كافأتنى ..

** وهل القارئ هو الذى أَلَفها لأملأ له بثمنها الحجرة ذهب ؟!!

* القرآن الكريم قد يقرأه أحد دون تقاضى مليم واحد . وقد تكون قراءته أسلم وأصح من

أحمـد الرزيقى ـ وأضـرب المثل بنفسى ـ لكنك طلبت الشيخ عـبدالبـاسط ومـصطفى إسماعيل مثلا . . إذن أنت لاتريد القرآن ، وإنما تريد اسم فلان . . وفلان هذا يقول لك إنى إذا أتيت سآخذ منك خمسة آلاف جنيه . . لا لأنه يأخذ أجرة عن القرآن ، بل نظير احتباسه شخصاً واسما لمدة معينة . . وهذا ليس فيه حرمة . . أقول : أتريد القرآن ؟! فأى فرد يقرأه لك ، أو شريط مسجل ، أو إذاعة . .

** هو تخريج جيد !!

* الواقع هكذا . . وهناك تدرج فى الحصول على الأجر . . فأنا حين أتيت إلى القاهرة حديثا سنة ١٩٧٤ كان موجوداً هنا مولانا وأستاذنا الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ على فرج والشيخ البنا . . وفى أول ليلة ذهبت مع الشيخ عبدالباسط إلى الاسكندرية فى مولد النبى . . وبعد القراءة أراد بعض الناس أن نقرأ لهم فى إحدى المناسبات ، وعرضوا الأمر على الشيخ عبدالباسط والشيخ مصطفى إسماعيل ، وكان كل منهما يتقاضى خمسمائة جنيه . وحين سألونى عما آخذ . قلت لهم : أى شئ . . وأعطونى أربعين جنيها ففرحت بها . !! ولو قبل الشيخان الكبيران أربعين جنيها ، فهل كان سيدعونى أحد ؟! فالقارئ منا مطالب برفع أجر احتباسه هو من أجل أن يعيش زميله المبتدئ حديثا !! . . نريد أن يقرأ الناس هذا الكلام « علشان يبطلوا يجولوا القراء بياخدوا كذا وكذا » !! وأنا معك فى أن التغالى ليس من المستحب . !!

** كم وصل أجرك فى الليلة الآن ؟!!

* أقسم بالله العظيم . . أنا أحرج أن طلب ممن يدعونى وأحدد ما أريد . . والناس لاتحترم الأخلاق الفاضلة ، وكلما ارتفع القارئ بأجره ألفين أو ثلاثة أو أربعة ازداد قيمة فى نظرهم !!

وإذا تبسط القارئ قد يغمطونه حقه : بالأمس ذهبت لافتتاح محل . وألح أصحابه فى أن

أحدد ما أريد ، فرفضت أن أشترط .. وقرأت ، وعدت ، ولم يعطونى مليما !! وربما يكونون قد فهموا أننى لا آخذ فلوساً ، فكأننى اشتغلت « محامى عام » !!

** وأقصى ما وصلت إليه من أجر ؟!

* كثير .. وصلت خمسة آلاف ..

** العادات التى كانت مصاحبة للمآتم من إقامة سرادقات ، وعزاء ، واستضافة القراء بدأت تنقرض فى الآونة الأخيرة .. ماهو مصير مهنتكم فى ظل هذا التغير ؟!!

* هناك مؤامرة على القرآن الكريم .. ومصر مستهدفة فى زعزعة أمن شعبها ..

وفى القرآن الكريم ، لأنه ليس للإسلام فى الدنيا كلها أعظم من مصر .

« العيال » الجدد هذه الأيام يخطبون فى الميكروفونات بالشوارع ، ويقولون : قراءة القرآن فى المآتم حرام .. وأؤكد أنا أنها مؤامرة غربية .. وقد أفرجت وزارة المستعمرات البريطانية عن بعض أسرارها التى كانت منذ مائتى عام . منها اتفاقهم مع أحد العرب على القضاء على الإسلام والقرآن وهدم الكعبة .. فقال لهم لا أستطيع هدم الكعبة .

والقرآن الكريم لايُتْقن فى الدنيا كلها مثلما فى مصر . وقد بدأت الجماعات المتطرفة تدعى أن قراءته فى المآتم حرام ، وتحميل للموتى وأهليهم الكثير من الأعباء .. وقد سألنى أحد المصلين فى مسجد السيدة نفيسه ـ الذى أقرأ فيه ـ حول هذا المشروع . قلت له : قال الرسول (ص) : إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .. وأعظم الدعاء قراءة القرآن الكريم.

وهذه الأيام لم يعد أحد يقيم سرادقات للموتى ، ولايدعو قراءً وأبطلوا هذه العادة الحسنة . وغداً سوف يخرجون بدعوة جديدة يقولون فيها : إن قراءة القرآن فى المساجد حرام !! ومن ناحيتنا نحن نحاول إحياء القرآن وقراءته مرة أخرى ، من خلال الكتاتيب وانشائها .

** لكن هذا الرأى ـ فى معظمه ـ ربما يستند إلى دليل .. فالقرآن كان يقرأ فى المنازل

والمساجد منذ أيام النبى .. لكن لم يكن يقرأ فى سرادقات ضخمة فخمة ..

* هذه السرادقات وجدت لأنه قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، ونسينا وضعنا كعرب .. وألغينا المضايف فى البيوت ولدى الأسر ، وخاصة فى القاهرة .. فلجأت الناس إلى السرادقات .. لكن فى الأرياف نرى المضايف ونقرأ فيها .. وقد قال النبى (ص) عندما طلب من أحد أصحابه أن يقرأ عليه بعضاً من القرآن ، فقال له الصحابى : يارسول الله .. أعليك أنزل وعليك أقرأ ؟! فقال له : إنى أحب أن أسمعه من غيرى .

وكان النبى (ص) يجبذ فى كثير من أحاديثه أن يُقرأ القرآن فى المحافل .

فيقول : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يقرأون كلامه ويتدارسونه إلا نزلت عليهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

** هل يحفظ أبناؤك القرآن ؟!!

* .. بعض القرآن .. لأنهم متفرغون للدراسة .. وهى واسعة جداً .. والمناهج محشوة كثيراً. وفى أجازة نصف العام يحفظ أحدهم ربعين .. وإن شاء الله سوف يحفظ محمد ابنى ..

** كم جزءاً يحفظ الآن من القرآن ؟

* بعض الآيات والسور القصار .

** أمحمد هو الأكبر ؟!

* معى غيره ست بنات .

** والبنات .. ألا تحفظن شيئاً ؟!

* هن يختمن القرآن أكثر من مرة فى رمضان .

** هل ألحقت أبناءك بمدارس عربية أو أجنبية أم بالأزهر ؟!!

* أزهر .. لا !! .. لدى « ناهد» خريجة التربية الموسيقية سمر وسحر خريجتا التجارة

منال : كلية التربية النوعية (قسم الزخرفة) ، يمنى : اقتصاد منزلى ، محمد : ثانوية عامة ، هبه : فى السنة الثالثة الإعدادية .

** أظن أقربهم إليك « ناهد » خريجة التربية الموسيقية ؟!!

* نعم .. هذا صحيح !!

** ألايمكن أن تكون المرأة مقرئه وقارئه للقرآن ؟!

* يمكن .. لكن عليها أن تقرأ القرآن الكريم بين النساء ، لا أن يستمع إليها الرجال . فالمشايخ يقولون : صوت المرأة ليس عورة .. لكننى نشأت على أن صوت المرأة عورة !!

** أتضم نقابة القراء قارئات نساء ؟!!

* لا .. رفضنا ضمهن .. لأن قانون النقابة لاينص على ضم أية حافظة للقرآن .. قال : أى حافظ !!

** هناك قاعدة اسمها (قاعدة التغليب) فى اللغة العربية ، تذكّر النساء - ولو كنَّ أغلبية غالبة - إذا وجد بينهن رجل ، ولو كان طفلا رضيعاً !!

* لاأعترف بها .!!

** فى إحدى المناسبات سمعت أصواتاً ، ورأيت أيدى ترفع ، وزعيقاً وشتائم تخرج من نفس الفم الذى كان يقرأ القرآن وتوقف عنه فجأة ليوجه الشتائم من هذا المقرئ المشهور إلى مقرئ آخر .. إنه هذا الحسد والحقد المعروف بين المقرئين لبعضهم .. ماذا تقول عن هذه الحالة المشتهر بها حفظة القرآن الكريم ؟!!

* منتهى الظلم أن ينسب هؤلاء إلى صفوف القراء .. لأن القارئ لابد من أن يتزين بحسن الخلق . أما الذى ينزل إلى مستوى ماذكرت فلا يستحق أن يكون من صفوف القراء ، إنما من صفوف « العربجية » والشوارعية والسوقية !!

إن التفسير الحقيقى أنه يتمنى زوال النعمة من أخيه . وهذا كفر . ولا أعتقد أن أحداً من حملة القرآن الكريم ومتصفاً بصفاته يكون على هذا المستوى من التدنى .

** القرآن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأدب .. هل لك اهتمامات أدبية ، أوتمارس نوعاً من الإبداع فى أى جنس من أجناس الأدب كالشعر مثلا .. وما هى هواياتك بصفة عامة ؟!

* هوايتى قراءة الشعر . طبعاًبعد قراءة القرآن الكريم . وأقرأ القصص التى فيها كمال . وليس لكل الكُتَّاب .

** لمن تقرأ منهم ؟!

* محمد عبدالحليم عبدالله ، السحار ، إحسان عبدالقدوس .. إن قصصه حقاً مياله للأحلام، لكن فيها جرساً ورجولة .. وكنت أقرأ أيضا لنجيب محفوظ ، ثم قاطعته بعد حصوله على (نوبل) عن قصصه التى هاجم فيها ديننا !!

والعقاد لايعلو عليه كاتب لدينا . فأنا أفيد من ألفاظه العربية الأصلية ..

ومن الشعر تشدنى الشوقيات ، والشعر القديم.

** أكتبت شيئاً من الإبداع الأدبى ؟!

* كنت أقرض الشعر ..

** أسمعنا إذن !!

* كنت أقول بالفصحى والعامية معاً .. وقد وصفت بالفصحى أحد الصالحين بعد انتقاله إلى رحمة الله .. فقلت :

أوَأبُ ماترك المساجدَ عمرَهُ   لله يسجدُ شاكراً لايغفـــلُ
أوَأهُ ما عشق المباهجَ قلبُـــهُ   يبغى ندى الله الذى لايبخلُ

الشيخ

محمد محمود الطبلاوى

* كنـا نـذهـب لـنـادى الـزمـــــالـك بـالـعـــــربـات الـكـارو !!

* الـقـــــراء أغـلـبـــــهـم .. فـــــاســـــدون بـالـطـبـع !!

* .. لـيـس لـديـهـم .. غـــيـــر الـغـــيـــبـــة والـنـمـــيـــمـــة !!

* .. الـطـبـــيـــب الـذى يـقـــــرأ .. لاأعـــــتـــــرف بـه !!

* أفـــــضـل الموجـــــودين .. راغـب مـــــصـطـفى غـلـوش

* نـقـــابـة المقـــرئين لاتعـــجـــبـنى .. وهـنـاك دخـلـهـــا بـالـواسـطـة !!

* كـنـت نـتـــشـــاجـــر .. من أجـل خـــمـــســـة قـــروش !!

* فى الأجـور .. لانضـرب أحـداً على يـده . بل يجـئـيـون إلـينا بواسطة !!

* تـعـــمـــمـــوا .. فـــإن الـشـــيـــاطين .. لاتـنـعـم !!

* وأرفـض أن يـعـــــمـل أبـنـائـى .. بـهـــــذه المـهـنـة !!

* « فـــــقـى » هـذا الـزمـــــان .. يـركـب والـشـــــيـخ !!

على الرغم من أن الشيخ محمد محمود الطبلاوى لم يحصلً من العلوم الدنيوية شيئا . ولم ينل أية شهادة جامعية أو حتى مدرسية ، بل انحصرت شهاداته فى علوم القراءات .. رغم ذلك فهو يشبه المفكرين فى جانب مهم من طبائعهم ، وهو أنه « قلق مقلق »!!

فمنذ أن بدأ اسمه فى اللمعان منذ أكثر من ربع قرن وهو يثير زوبعة هنا ، ومعركة هناك ، ولغطاً كل حين وسط المقرئين !!

بعضهم يرى أنه لم يتعلم المقامات ليعرف من أية نغمة يقرأ ، وبعضهم يرونه مبالغاً فى أجره ويحصل عليه قبل أن يقرأ .. وآخرون وآخرون .. لكن المحصلة النهائية للشيخ الطبلاوى أنه يقف في مصاف النجوم : نجوم الأدب ، والفن ، السياسة .. ويحصل فعلاً على أعلى أجر فى القراءة لكنه يقول : لم أضرب أحداً على يده ليعطينى ما أريد .. إنما هم الذين يسوقون إليَّ الوساطات لأقرأ لهم !!

سألت الشيخ الطبلاوى :

** أعطيت لكتاب الله جل حياتك فأعطى لك .. متى بدأت خطوتك الأولى فى مجال القراءة .. وكيف ؟؟

قال :

* فى هذا المجال يبدأ الإنسان عادة منذ الصغر .. وليس يكفى للقراءة أن إنساناً اكتشف أن صوته مقبول فحفظ « ربعين» ولبس عمامه وكاكولا وجلس على الدكة يقرأ . إنما الأساس يجب أن يكون منذ البداية .. وقد حفظت القرآن كاملاً ولدى تسع سنوات .. وكان الحريص على ذلك والسبب فيه والدى رحمة الله عليه ، رغم أنه كان أميا .

وحفظ القرآن ليس سهلاً ، ولايجدى أن نأخذ الطفل باللين ليحفظ .. فالقرآن « ثقيل» كما قال تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك قولاً ثقيلاً» .. فهو بالنسبة للطفل ، وحتى للكبير ثقيل على النفس . والشيطان دائما يتدخل فيما فيه العبادات خصوصاً إذا كان الإنسان طائشاً طفلا ، فيدفعه للعب الكرة « والاستغماية » !! لكن الشدة تدفع للالتزام والحفظ ..

وحين حفظت القرآن في السن الصغيرة - بدأت أتلوه في قريتنا ..

** وما هي قريتكم ؟

* ميت عقبة !!

** أهناك أرياف في ميت عقبة ؟!

* هي كلها كانت ريفاً .. كانت قرية صغيرة وكل ما حولها زراعة .. وكان من ميت عقبة إلى نادى الزمالك « مدق » صغير عرضه ثلاثة أمتار تسير فيها العربات الكارو حتى تصل إلى النادى .. وكانت كل الأرض حينها مزروعة بالقصب والخضروات.

** لأجل هذا تقول « قريتنا » !!

* نعم .. وكان اسمها « جزيرة ميت عقبة » وتنقسم إلى جزءين بشارع فى منتصفها ..

وكان سيدنا اسمه غنيمى عبيد الزهوى .. يستطيع أن يتنبأ بفطرته بالأصوات العظيمة فى مستقبلها ، حتى لو قرأ الإنسان تلاوة بغير تجويد .. فيقول هذا الطفل صوته له شأن عظيم ، وذاك الطفل صوته « أقرع » وثالث صوته « نحاس » .. وهو لم يدرس الموسيقى ولا التحق بمعهد .. إنما كانت أحكامه بالفطرة والفطنة كان هذا الشيخ يقول لأبى إن ابنك هذا سيكون له شأن عظيم .. وكان أبى يقول له : يكفى أن يحفظ القرآن حتى لو قرأ به فى أى مكان !!

وفى السنة العاشرة بدأت أتجول فى « الختم » و « الأخمسة » . وكانت كل من هذه المناسبات تضم حوالى عشرة « فقها » ، وكنت دائما أصغرهم ، وأزاحمهم وأتشاجر معهم ويتشاجرون من أجل « خمسة قروش » !!

وكان الشلن حينها - فى الأربعينات « له وضعه » .. وأنا بالمناسبة لست صغيرا بل أنا من مواليد ١٩٣٤ ..

وجلوسى مع هؤلاء الكبار أعطانى الدافع والجرأة أن أقتحم المجال بغير وجل .. ولم يكن

حينها بإمكان أحد أن يقرأ إلا إذا كان حافظاً ومجوداً وملماً بالقرآن .. أما اليوم.. فالحكاية ماعت »!! وكل واحد يحفظ ثلاثة أرباع ويضع عباءة على كتفه ، ويعمل قارئاً !! وقد يسير برأسه عاريا .. وهى مسألة مذمومة بالنظر إلى تقاليد القراء وما يجب أن يحملوه من وقار فى المظهر وقد تحدثت كثيراً عن هذه الظاهرة .. إنها أمور دخيله علينا .. وقد ساعد هذا الشخص عارى الرأس قوم آخرون .. فأقول لهم جميعا : لعن الله من عاونه وساعده .. إنها حالة شاذة غير مألوفة .. فإذا دخلت سرادقاً وكان المقرئ عارى الرأس فكيف ستميزه من المعزين ، وهم أفنديات ؟! إن العمة هى المميزة.

** يمكن أن يكون بعض المعزين من الأزهريين لابسى العمامة ، وليس شرطاً أن يكونوا جميعا متجردين منها !!

* لاضير فى هذا .. لكن الشرط والقاعدة أن يكون القارئ معمماً . لقد كنا نحرص قديماً ومنذ سن صغيرة على لبس العمامة .. وليس ضرورياً أن يكون هناك طربوش ولم يكن يترك إنسان يصلى بالناس وهو برأس عريان ، بل كان الناس يشدونه إلى الصفوف ، ويدفعون للإمامة أحد المعممين . وهناك حديث - ليست أدرى مدى صحته - يقول ! تعمموا فإن الشياطين لاتعمم !!

وفى أيام بداياتى هذه كان « العتاولة » هم المسيطرين كعمى الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى والشيخ مصطفى إسماعيل ، والشيخ عبدالباسط عبد الصمد والشيخ عبدالعظيم زاهر . وكل هؤلاء « القمم» إنهم مقرئون بمعنى الكلمة .. ولذلك فمن يموت اليوم فلا بديل له .. وكل مقلدلهم فهو إلى زوال . إنه صورة مشوهة ممسوخة ممن ماتوا . وأنا ضد التقليد فكل واحد من هؤلاء الكبار اجتهد وأقام مدرسة فى القراءة فكيف يسطو البعض على مجهوده ويقلده ؟!

** مادام هؤلاء الراحلون أصحاب مدارس .. أتعتقد أن لك مدرستك الخاصة بك ؟؟

* طبعا .. لى مدرستى الخاصة بى ؛ لأننى لم أقلد أحداً يوماً ما ، ومنذ طفولتى . وهذه طبيعتى ونشأتى ولم أغير أو أبدّل فيها .

** أهناك مقلدون لك ؟!

* كثيرون .. آلاف الآلاف !!

** أقصد من الأسماء التي عرفت كقراء ..

* نعم .. هناك كثيرون . ولا أعرف منهم أسماء بعينها ، لكن يأتيني يوم الجمعة في الأزهر - الذي أقرأ فيه - بعض الشباب في حوالي العشرين ، ويطلبون قراءة بعض الآيات ، فأجد كلا منهم يقلدوني . فأشجعه ، وأقول له : الله يفتح عليك . لكني لو كنت أباه ويسمع كلامي لقلت له : لاتقلدني . اتخذ لنفسك طريقة خاصة بك .

** ربما تكون هذه مرحلة أولى في القراءة .. ثم يحدد القارئ لنفسه هوية .

* هناك اثنان يتم تقليدهما ، ويتكسب المقلدون منهما : الطبلاوي . وعبدالباسط عبدالصمد .. فترفع أسماء هؤلاء المقلدين لارتباطها بأسمائنا .. ويركدون مستقلا .

** بداية ظهور فضيلتك على المستوى الجماهيري الواسع والرسمي .. متى جاءت ؟؟

* اشتهرت قبل دخول الإذاعة .. كنت قد ملأت الأرض كلها قراءة من أسوان جنوباً إلى الإسكندرية شمالا :مدناً وقرى .. لكن الإذاعة أعطت انتشاراً أكبر ، لأن الراديو موجود بالنجوع والكفور ..

وجاءت أول إذاعة لي على الهواء يوم الجمعة بالمحلة الكبرى ١٩٧٠ .. والمشايخ . الله يكرمهم !!- في نفس اليوم تربصوا بي ، وعملوا لي فخاً .. وتعرف أن أصحاب المهنة الواحدة يتصارعون .

** إنه التنافس الطبيعي .

* هو تنافس غير شريف .. لقد كانت القراءة على الهواء مباشرة ، ومدتها المعروفة نصف ساعة ، فأدخلوا على الإذاعة قبل الموعد لأتورط أنا في قراءة خمس وخمسين دقيقة كاملة في أول تجربة لي من هذا القبيل ، وبغير أن تكون مسجلة فاستطيع ضبطها واصلاح مالا يعجبني . لكني نجحت في اجتياز التحدي ، ولم ينقطع صوتي أو يضعف ، وتشجيع

جمهور المحلة أعطانى دفعة عظيمة . وبعد أن انتهيت القراءة ونزلت من على « الدكة» قال لى د. كامل البوهى مدير إذاعة القرآن الكريم حينها : ان ينصركم الله فلا غالب لكم .. فسألته : ماذا وراء هذا الكلام؟! ولم يرد علمت أنها كانت مؤامره لأسقط بعد أن أقرأ ربع ساعة أو ثلث ساعة وأعجز عن الاستمرار! !كانت هذه القراءة هى القنبلة التى تفجرت فى الوسط كله وعلى مستوى الجمهورية .

** الشيوخ وما علاقتهم بالإذاعة لكى يحطموك من خلالها ؟!

* كل شئ اتضح .. وهناك كلام لايقال .. وكل شئ هذا الزمان يمكن فعله ولو كان مخالفاً لكل الأعراف ..

** ومن هم هؤلاء الشيوخ ؟!!

* الله يرحمهم .. لقد ماتوا جميعاً !!

** تعددت لقاءاتك فى مختلف المناسبات بكثير من الشخصيات الدولية والأقطار .. ماذا تتذكر من هذه اللقاءات وهذه الرحلات الكثيرة ؟؟

* الرحلات كثيرة جداً .. وقد كنت مع الشيخ عبدالباسط مرة سنة ١٩٧٩ بالرياض.. وقابلنا الراحل الملك خالد .. وقال لى كلمة مازالت فى رأسى لم أنسها .. فبعد أن قرأنا أنا والشيخ عبدالباسط .. قال الملك .. يا شيخ طبلاوى .. إن القرآن نزل هنا فى الجزيرة العربية ، وطبع فى اسطنبول ، وقرئ فى مصر .. فقلت له : ما معنى هذا يا جلالة الملك؟! قال : إن القرآن نزل هنا .. وأحسن مكان طبعه اسطنبول ، وأحسن قراء قراء مصر . أى أنهم يبرزون المعانى ، ويصورون الآيات كأننا نرى ونحس ونسمع .. وكل هذا توفيق من الله .

** وماذا عن الحكايا الأخرى ؟!

* كنا يوماً فى مؤتمر بالقيروان بتونس . وكان موجوداً الحبيب بورقيبة ، والقذافى ، والشاذلى بن جديد .. وكانت هناك مسابقة قرآنية ، وكنت ممثلا لمصر فى تحكيمها وكل

واحد من الحكام قرأ آية . فجاء قبلى قارئ سودانى فقال الآية :« وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » فى بداية قراءته .. فلم يحسن الاختيار .. إنه قرآن حقاً . لكن يجب أن يكون لدى الإنسان روعى فى اختيار الآيه للمكان المناسب لها .. وقد بدأت بعده فقلت : « وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيئ بالنبيين والشهداء » أى أنها كانت تحمل البشرى .. فنظر الزعماء لبعضهم مسرورين لهذه اللفتة وهذا الاختيار الموفق .. كان ذلك يوم وفاة الملك فيصل .. وقد جاءنا الخبر ونحن فى المؤتمر .

** قرأت القرآن لأحد رجال الأعمال اليونانيين الكبار .. ما حكايته ؟!

* هو مستر جون لاكسيس .. وهو أغنى من أوناسيس لكن أوناسيس ظهر أكثر منه فى الدعاية والإعلام..

وكانت المناسبة أن المستشار عبدالله نور - سكندرى الأصل - قد صحبه إلى الأزهر يوم الجمعة وأنا أقرأ فيه ، فلاحظ هذا اليونانى أننى حين أقرأ لا .. أحذق .. لا أضع يدى على عينى أو أذنى أو رأسى كما يفعل آخرون !! فذكر له الملياردير أنه يرى غيره من القراء يفعلون هذه الحركات أما هو فلا .. وفى تلك الأثناء كان هذا اليونانى يساهم فى تطهير قناة السويس، وفى حفل الافتتاح دعانى للقراءة أمام العرب ، ودعا القساوسة للوعظ أمام المسيحيين .. ومما يذكر أنه كان يظن قارئ القرآن يقرأ واقفاً كما يفعل القسيس !! فقلت له : لا .. لابد من مقعد أجلس عليه .. وفعلاً كنت الوحيد الجالس وهم جميعا يقفون !! وقد امتثل لرغبتنا .

** ألم يكن يبدو عليه التأثر وهو يسمع القرآن ؟!!

* لا .. ليس لديه فكرة عنه .. ولا يعرف العربية .

** فى هذه الأيام شاعت ادعاءات الكثيرين من الناس - وخاصة العاملين بالوسط الفنى - بأنهم بدأوا حياتهم فى الكتاتيب وحفظوا القرآن .. ويتاجرون بهذا فى وسائل الإعلام .. ألا تعد مثل هذه الادعاءات إساءة للقراء .. وما موقفكم منها ؟!!

* هذا لايعد إساءة ولاتشويها للقراء .. فربما تكون مثل هذه الفنانة أو الفنان التى تدعى حفظ القرآن قد نشأت فى قرية وجميع القرى كانت ترسل أبناءها للكتاتيب، ولكن لكى تحفظ القرآن فلن يقل سنها عن خمسة عشر عاماً .. فالتساؤل هنا : متى تمكنت من حفظ القران ومتى ذهبت إلى الكتاب .. ونحن كل حياتنا كانت مخصصة ومتفرغة للكتاب .. فأنا لم أحصل على أية شهادة من مدرسة أو جامعة .. فكل شهاداتى فى علوم القرآن .. فبعد أن حفظت القرآن فى التاسعة التحقت فى العاشرة بمعهد القراءات وحصلت على إجازة حفص ، وبعدها بسنتين حصلت على الإجازة العالية ، وبعد ثلاث سنوات حصلت على إجازة التخصص . وهى أعلى شهادة فى القراءات وتعادل أعلى شهادة جامعية.

ولو كانت إحدى هؤلاء الفنانات قد بدأت حياتها فى الكتاب وحفظت القرآن لأثر فيها ووجه سلوكها.

** بين المقرئين قديماً وحديثا ما يشبه اللغة السرية التى تشع بين أهل كل مهنة على حدة، وهناك أيضا « المقالب» والحسد والأحقاد .. ماذا عن هذه الحالات والأمور السرية؟!!

* إننى بعيد كل البعد عن هذه الطبقة مع أننى منهم .. وأنا فى حالى : أذهب للقراءة فى مناسبة ما مع أحد القراء ولا علاقة لى بأمرهم غير هذا .. ولم أصادق أحدهم ، بل أننى طوال عمرى « ملتزم».

** فما هو الوسط الذى ترى نفسك أقرب إليه ؟!

* لاشئ .. إنه وسط القرآن !!

** تقول إنك بعيد عن القراء تماما !!

* هو وسط القرآن لا المقرئين .. فأنا حين فراغى أقرأ القرآن .. وعلىَّ ورد يوم خمسة اجزاء أبدأ الخميس وأختم الجمعة أسبوعياً .. وليس لدى وقت للغيبة والنميمة .. وليس لدى هؤلاء القراء غير هذه الغيبة والنميمة..

** أليست لك هوايات أخرى سوى هذا .. كقراءة الشعر مثلا أو القصص ؟!

* لا أكذب عليك .. ليست لى هذه الهوايات .. ولكنى كل يوم أحضر الجرائد اليومية الثلاث الجمهورية والأهرام والأخبار .. ولا أقرأ السياسة فيها . لأنه كلام كله مكرر .. إنما أقرأ الحوادث ..

** يا معشر القراء يا ملح البلد

ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟!

هل ينطبق هذا المعنى على قراء هذه الأيام وأحوالهم ؟!!

* هو مخطئ فى هذا القول .. وكان الصحيح أن يقول : يا معشر العلماء أنتم ملح البلد .. فما يفسد هو العلماء . أما القارئ فما هو إلا حافظ للقرآن ، وإذا سألته عن تفسير آية لايعرف !! فالقصد من هذا الكلام يجب أن يكون للعلماء .. فلو كان هناك عالم وقارئ فمن الذى يصدق الناس ؟! العالم طبعا ..

أما القراء فأغلبيتهم - الله يسامحهم - فاسدون بالطبع !!

** نرى فى الآونة الأخيرة قراء ليسوا من خريجى الكتاتيب أو الأزهر .. فمنهم الضابط والطبيب والمحاسب .. أترى ضرورة فى أن يسير القراء الجدد فى نفس الطريق المعروفة .. وما تقييمك لمثل هذه الأصوات ؟!!

* أنا لا أعترف بهم أبداً .. ومن شاء أن يصعد فعليه أن يلتحق بالسلم من أوله : يقرأ كتاب الله ويحفظه ، ذلك لو كانت مهنته أصلاً القرآن .. إننى أقرأ منذ عشرات السنين وأجد هذه الأيام ناساً يقرأون لم أرهم من قبل .. وأسأل أحدهم :« بتشتغل إيه يا ابنى ؟! » فيقول : أنا مقرئ زميلك !! وكل الذين كنا نقرأ معهم من القدامى ماتوا .. فحين أرى اليوم طبيبا يقرأ فلا أعترف به ، وكأنه لا أحد يقرأ إلى جانبى !! إنه لم يضف شيئاً بل هو صورة مشوهة من «واحد» ميت !! فالشيخ مصطفى إسماعيل الذى يقلده هذا الطبيب أو يقلده « النجار» وأمين الشرطة يقرأ منذ ستين سنة والناس سمعته كل هذا الزمن .. فأين أنت - أيها الطبيب - بجواره ؟!

أنه قمة .. وإذا شاء إنسان أن يقلد فلا يقلد قمة كبيرة .. إنها إساءة إليه .

** وعلى المستوى الرسمي .. هل للنقابة دور في مثل هذه المسائل ؟!

* هذه النقابة - وبصفتي نائب نقيب - لاتعجبني أحوالها .. هناك أشياء لا أستطيع الإفصاح عنها .. فلا تنفيذ لأى قرار نتخذه .. ومنها أن لايسمح لأحد بالحصول على « كارنيه » النقابة إلا إذا كان حاصلاً على معهد القراءات كالمهندس والمحامى .. ويجب أن يمتحن أولاً .. لكن الواقع أن الحفظة المجيدين يقولون : ولماذا أدخل النقابة ؟! وكل أعضاء النقابة تقريبا من « المحفظين» في الكتاتيب .

** والمشهورون .. أليسوا أعضاء ؟!

* من هم المشهورون ؟! عدهم لى !! كم واحداً ؟!

** مثل الشيوخ : على حجاج السويسى ، أحمد الرزيقى ، محمد الطوخى ، فتحى المليجى ، أبو العينين شعيشع .. وغيرهم ممن يزيدون على خمسة عشر قارئاً .

* الشيخ شعيشع توقف عن القراءة منذ حوالى ٣٥ سنة وليس على ساحة القراءة الآن . إلا أن قدمه ووجوده السابق تاريخ له .. والشيخ على حجاج السويسى رجل مسن هو فى حوالى الثامنة والسبعين .. والشيخ أحمد الرزيقى يعد من الجدد .. وإذا بحثت فى النقابة ستجد كل المسجلين فيها إما أصحاب كتاتيب أو الذين يزاولون المهنة من وراء حجاب : حصلوا على الكارنية بواسطة أو دخلوا خلسة ..

** هذا الكلام يقودنا إلى محاولة لتقسيم المقرئين على مدى هذا القرن إلى طبقات حسب إجادتهم ..

فكيف تقسمهم .. ومن هو عميد الإقراء فى الوقت الراهن ؟!!

* لا أرى عميداً .

** أنت ضمن المرشحين لهذا الحكم !!

* لا أرى منهم أحداً .. من مات لن يجيئ مثله .. فمن الذى يرث العميد بعد العميد..

** فى الموجودين حاليا .. من ؟!

* « مفيش » ..

** وأفضلهم مثلا ؟!

* راغب مصطفى غلوش ..

** أهو من جيلك ؟!

* تقريبا .. لكنه يقل قليلا عنى فى السنه .

** وأين تضع نفسك منهم ؟!

* أنا لا أضع نفسى إلا فى الآخر !! فى الذيل !

** لو قسمتهم لطبقات .. من الأول ابتداء من مطلع هذا القرن ؟!

* إذا أحصيت المقرئين فلن تجد مميزاً منهم وأحب أن اسمعه غير الشيخ راغب غلوش .. والناس فيما يعشقون مذاهب .. وهناك مقرئون لابأس بهم ، لكن ليسوا فى القمة.. هم مثلا درجة ثالثة أو ثانية ..

** ومن كانوا فى بدايات هذا والقرن . أليس فيه أحد مجيد ؟!

* الذين ماتوا ؟؟ كلهم قمم بدون استثناء .. وعمدتهم الشيخ محمد رفعت ..

** أى أنه عمدة المقرئين فى هذا القرن ؟!

* وفى كل القرون .

** على الرغم من أن أجور القراءة لا تُحصل عليها .. ضريبة المبيعات فإن القراء أسبق الناس إلى رفع الأسعار حتى إن ليلة بعضهم قد تتجاوز خمسة آلاف جنيه .

كيف ينسجم وضعهم الديني مع هذه المغالاة ؟!!

* هذا الكلام لا أصل له . شائعات كاذبة .. وافتراء ..

والمقرئون أنفسهم هم الذين يخترعونه ويطلقون هذه الشائعات .. فلكي يرفع بعضهم أجره أمام .. الزبون .. يقول له : الشيخ فلان يأخذ كذا .. لكي ترتفع أجرته هو .. إنه ضعف منه .. لكن إذا طلبني أنا أحد أقول له : أنا آخذ كذا .. ولا أذكر اسم أحد من القراء . والقراء مغرضون في هذه الشائعة ..

** ألم يصل بعضهم فعلا إلى خمسة آلاف ؟!

* وصلوا أو لم يصلوا .. أقول لك إنها شائعة !! ولا صحة لها .. وحين ترى بعينك مقدار ما يأخذ القارئ فيمكن أن تحكم . وليس بالسماع ..

** هذه الشائعة لها جانب طيب وآخر سئ ..

* هي ليس بها جانب طيب .. إنما هي فيها السئ فقط .. إنه الحقد .. وتفشي هذا الحقد لدى الناس ضد القارئ وهذه الفئة جميعا .. والقارئ لايطرق باب أحد ليطلب أن يقرأ له .. الزبون هو الذي يفعل هذا وقد يجلب للقارئ واسطة أيضا ليقبل القارئ !!

** فضيلتك تذكر الأجر الذي تريده حين يأتي إليك أحد !!

* أحيانا لا آخذ شيئاً . فمثلاً إذا آتاني فقير ولديه وصية من أبيه بأن يستدعيني لأقرأ في وفاته .. وهو لايستطيع دفع أجري .. فماذا آخذ منه ؟!! فإذا كان هنا في القاهرة أو قريبا منها أذهب معه ، لكن لا أفعل أن طلب أن يصحبني معه إلى أسوان أو الأقصر مثلا!!

وإذا أخذت من مثل هذا فقد .. صغَّرت .. نفسي .. فهو لا يعطيني ما أريده !!

** بعض الناس يرون أنك لو خضت مجال الغناء لأعدت إليه أمجاده أيام عبدالحليم حافظ .. ماذا تقول في هذا التصور ؟!

* هذا كذب وافتراء .. لقد خلقني الله مقرئاً .. ولو لم يخلقني مقرئاً لفشلت في كل شئ!!

** لكن معروف أن أصوات القراء قادرة على أداء الغناء ربما أكثر من المغنين أنفسهم .

* لم أقترب من هذا المجال .. ولا حتى فكرت يوماً في أن أغني التواشيح .. فما بالك بالغناء؟!

** إذا جلست بينك وبين نفسك . ألا تدندن بأغنية ؟!. أدندن بالقرآن أيضا !!

** وبالنسبة للموسيقى أتمارس التعامل مع أية ألة كالعود مثلا ؟!

* لا علاقة لى بهذه الآلات ، حتى القراء يقولون لى : هذه من الحجاز أو السيكا .. فأقول لهم : لا أعرف .. ولذلك كانت للجنة الموسيقى بالإذاعة موقف ضدى لأننى لا أعرف المقامات .. فقلت لهم : أنا هكذا .. ولا أريد أن أعرف « مقامات » .. ولاغيرها .. إنما أقرأ « بالبركة » !

** هى بالنسبة لك ملكة وحفظ أكثره مما هو تعلم

* إذا شاء الله فعل شئ فعله .

** البعد الآخر للإنسان لايعرفه الكثيرون من الناس ونحن نعرف فضيلتك كقارئ للقرآن .. ماذا عن البعد الآخر فى حياتك أو الجانب الذى لانعرفه ؟!

* لا أسرار فى حياتى .. إننى أقضى يومى كله فى أحد المنزلين : ولدى من زوجتى الأولى ثلاثة أبناء حفظتهم القرآن لكنهم لايمارسون المهنة .. هم إبراهيم : بكالوريوس تجارة وفتحت له شركة كاسيت .. وخالد : ليسانس آداب . وعمرو بالثانوية هذا العام .. ولدى خمس بنات تزوج ثلاث منهن من أطباء وواحدة متزوجة مهندساً والأخيرة متزوجة من كيميائى .. فلدى عشرة أبناء . ومن زوجتى الثانية طفلان أحفظهما القرآن أيضا على قدر استيعابهما .

** لو أحببت أن توجه نصيحة لمن يرغبون فى حفظ القرآن فماذا تقول لهم ؟

* أقول له عليك بالكتاب وابدأ بأول درجة.

** لماذا لم تتخير أحداً من أبنائك ليسير فى طريقك ؟!

* إنهـا رغـبـة .. ولديهم الموهبـة لكن ليس لديهـم الدافع والدافع هو الحـاجـة المادية .. لأن مواجهة الناس والجلوس على الدكة ليست سهلة .. وليس هناك قارئ ـ حتى أكابرهم ـ إلاوقد ولد فى بيئة فقيرة !! ولو كان ابن عز أو ابن ناس لما أرسلوه إلى الكتاب !!

** كان بإحدى قرى المنوفية عمدة ترك العمدية وعمل مقرئاً فى مسجد كما ذكر لى الشيخ محمد الطوخى !!

* هو يحفظ الناس لله .. لكنه لايمارس مهنة القراءة إنها مهنة قاسية جداً.

** ألست راضياً عنها ؟!

* كيف لا أرضى عنها ؟! إننى فقط لا أرغب فى أن يقاسى أبنائى ما قاسيت . . إنها مهنته كلها حرب ضروس .. فتجد واحداً ليس له فى العير ولا الغفير ويقول : أنا مثل الشيخ الطبلاوى !! وكأنه لم يسمع نفسه .. فلا أحب لأبنائى أن يلتحقوا بهذا السلك.

** مصطلح « فقى » أترضى عنه .. أم تريد أن يكون السائد هو مصطلح « قارئ » ؟!

* كلمة « فقى » تقال عن الفقيه .. وليست عيباً .. والفقيه أحسن من مائة قارئ.

** كان هذا قديماً .. أما فى زماننا فتطلق بغير هذا المعنى !!

* ليس هناك حاجة اسمها الآن « فقى » بهذا المعنى .. إنه يركب « الزلمكة » و« الشبح » ولم يعودوا كما كانوا قديماً : يقرأون فى القبور .. وكان قديماً إذا طلبت الزواج رد علىَّ الأب : أزوج ابنتى من واحد فقى ؟! : أما اليوم فأدخل إليه وأضع رجلى فى وجهه .. لقد تغير الوضع الآن!! وأصبحت له قيمة .. وخير أن يكون لأهل القرآن قيمتهم وهل الأفضل أن يركب «الشبح » الممثلون والمغنون أم أهل القرآن ؟!!

لكن الناس الذين يحقدون يريدون أن يروا المقرئين فى ثياب ممزقة ومتسولين لأنهم «ناس بتوع ربنا » !! أى يجب أن يجوعوا ويعروا !!

الشيخ محمد الطوخى
المدافع عن الملك

* الشعشاعى .. بـ ١٢٠ قرشاً .. وأنا بعشرين !!

* رفضت القراءة .. مكان الشيخ محمد رفعت ؟!

* الملك فاروق والنحاس باشا .. يتنافسان فى صلاة الجمعة !!

* أقول « لأتخن واحد » ٩٩ ٪ مما قيل عن فاروق .. كذب !!

* زكريا أحمد كان « تبيَّعاً » .. فى بطانة الشيخ على محمود !!

* .. وفى الإذاعة جاملوا أم كلثوم .. على حسابه !!

* رفضت أغنية .. التسول أمام السيدة زينب !!

* الحبيب بورقيبة .. كان جارنا .. فى بولاق أبو العلا !!

لم أكن ألتقى به إلا عبر الأثير من خلال صوته الدفاق العذب الشبيه بماء النيل حين يفيض بلا إغراق .. كان صوت « الفنان » الشيخ محمد الطوخى فى ابتهالات تواشيحه يدفعنى للتساؤل : لماذا لايغنى قصائد الشعر الراقية فى سائر القضايا لافى الدين فقط .. لقد سبقه إلى هذا الخروج عن دائرة التواشيح وقراءة القرآن أعلام عظماء فى مجال الموسيقى والطرب مثل الشيخ زكريا أحمد ؟! وكانت الإجابة عن هذا التساؤل حاضرة لديه حضور كل الإجابات عن جميع الأسئلة التى طرحتها والتى لم يعطنى فرصة لطرحها ، فقد أجاب هو عنها قبل أن أنطق بها !

إنه تاريخ فنى واجتماعى يسير على قدمين .. ورغم امتداد العمر به ـ أطال الله بقاءه ـ فثراء صوته لم يزل يعطى ، وحنجرته مازالت تشد وبذكر الله : قرآنا وتواشيح وابتهالات وحين التقيت به وللمرة الأولى أحببت هذا العملاق الفنى رغم اختلافى معه سياسياً ووقوفى على الطرف النقيض من آرائه فى هذا المجال ، وخاصة حديثه « بهيام » عن فاروق ملك مصر المخلوع لكن العادة دائماً أن الثقافة تجمع ما تفرقه السياسة .

سألت الشيخ محمد الطوخى :

** لفضيلتك باع طويل فى مجالى القراءة والابتهال .. بأى المجالين بدأت حياتك الوجدانية والإيمانية ؟!

* أصل جميع المنشدين والمبتهلين أهل قرآن .. كلهم يحفظ القرآن ، فإذا وجد أحدهم فى نفسه القدرة على أن يدخل باب التواشيح دخل .. وإن لم يجد يبقى مع القرآن فقط .. لأن من يرغب فى خوض مجال التواشيح يجب أن يكون صاحب صوت قوى وممتاز ليستطيع أن « يسيطر » على الناس إذا دعى إلى سهرة إلى الصباح ، أما إذا كان صوته ضعيفاً فسيؤدى وصلة ثم ينفض الناس من حوله .

** أتحتاج التواشيح إلى صوت أقوى من صوت القرآن تفسر ؟!

* هو نفس الصوت لكنه أقدر على الاستمرار فترة طويلة .. ولابدَّ له أن يكون قد حفظ

القرآن وأداه ..

وبالنسبة لى بدأت فى قرية بالمنوفية اسمها سنتريس .. وكان قديما من عادة الناس فى الأرياف ترددهم على المساجد للصلاة ، وكنت أذهب إليه فى « ذيل » أبى ككل طفل يتعلق بأبيه . وكان أول ما يفكر فيه الأب لابنه أن يرسله إلى الكتاب . فانتظمت بالكتاب حوالى أربع سنوات وأخذت أحفظ ، وأقلد ما اسمعه ، وأغنى ، وأقرأ القرآن فعرف عنى أننى صاحب صوت حسن ، حتى إن سيدنا فى المسجد وكانا اخوين الشيخ حماد والشيخ فرحات .يتحمسان أن يحفظانى القرآن.. واسمى بالكامل ـ للمعرفة ـ محمد سيد أحمد أحمد الطوخى .. فكان يقول لى أحدهما : ولد ياعمر يا ابوز دحمد اقرا لنا عشر .. فاقرأ .

** وما معنى عشر ؟!

* هى (عشر) بفتح العين وتسكين الشين والراء ومحددة فى المصحف بحرف العين يوضع بعد نهاية عبارة قرآنية .. وأبدأ فى القراءة من اللوح الصفيح الذى كنا نكتب عليه .. ومرة مع أخرى اشتهرت بالقراءة .. وحينما يصلون العصر ينادون على بعد أن أصبحت « الشيخ محمد » وأنا فى حوالى الخامسة . لأقرأ .. وأؤذن.

وفى العاشرة حفظت القرآن كله ، وبدأت التجويد على يد الشيخ أحمد الدكرورى فى قريتنا أيضا ، وكان مصححاً للقرآن فى مكتبة الحلبى .. وجودت نصف القرآن معه، وتوفى ، فواصلت مع عمى الشيخ عبدالعليم محجوب وقد ظل عمدة لقريتنا لمدة أثنين وعشرين عاماً ، وهو من علماء القرآن الذين كانوا يقرأون بالعشرة الكبرى أى وايات القراء العشرة المشهورين ..

** أكان عمدة ويعمل مقرئاً ؟!

* كان فى بدايته قارئاً ، والعمدية تكون فى كبير العائلة ، فإذا مات تسلمها الأكبر بعده.. فتولى العمدية هو ، وبعد اثنين وعشرين سنة ترك العمدية ، وتفرغ للقرآن .. وبدأت التجويد معه.

والتحقت بمدرسة القرية مع الكتاب أيام المدرسة الإلزامية قبل الابتدائية . وبعدها التحقت بالأزهر .. وفي سن ١٤ سنة أخذت أحيي ليالي رمضان .. حتى شاءت الظروف أن عرفني الشيخ حسن حسين شحاته الأستاذ حينها بكلية دار العلوم ، عرفني ببيت كامل « بيه » عثمان في أبو قرقاص بالمنيا .. وعثمان بك هذا ابن عم عبدالحميد باشا عبدالحق وعبد المجيد باشا عبدالحق وعبدالعظيم عبدالحق الملحن .. وكانت هذه المعرفة بالنسبة لي « باب الفتوح» سنة ١٩٤٠ .. وبعد أن كنت أسهر رمضان في قرى بسيطة مع الفلاحين والبسطاء أصبحت أسهر في قصور وبيوت وزراء وأعيان « وشكل تاني» وفي أبو قرقاص هذه ظللت أقضي رمضان على مدى تسع سنوات بعد إقامتي بالقاهرة ابتداء من عام ١٩٤٢ . واثناء سكناي بالقاهرة في منطقة القلعة كنت أتردد على مسجد « حسن الأنور » أي السيدة نفيسة ناحية « الجيارة» وكان شيخ اسمه علي حواس يقدم دروساً في هذا المسجد ما بين المغرب والعشاء وعرفت من خلال هذا المسجد بين أهل الحي ، وأخذت أؤذن للعشاء .. وهذا الرجل (علي حواس) إمام المسجد كان عقب صلاة المغرب يجلس على الكرسي وبجواره واحد جالس على الأرض ومعه كتاب للعبادات ..

ويبدأ التفسير القرآني من الطهارة والوضوء حتى أعقد المسائل الفقهية لدرجة أن بعض الصعايدة عمال التراحيل الأميين أصبحوا عارفين بأحكام الدين كأي متعلم بفضل هذا الرجل.

وفي هذه المنطقة (القلعة) بدأت أسهر في الليالي . وكان أغلى قارئ يحصل على عشرين إلى خمسين قرشاً في الليلة وكان أكبر النجوم المشايخ حينذاك الشعشاعي وعلي محمود يحصل كل منهما على مقدم أجر عشرين قرشاً قبل القراءة وجنيه بعدها !!

** وكم أخذت في أول مره ؟!

* بدأت من الصفر .. من « أبو ريال » ثم ثلاثين قرشاً..ويعني هذا أني ظهرت كأحسن مقرئ !! وكان صغر سني يلفت النظر .. ولم أكن حينها أتجاوز عشرين عاماً.

وبعـد عـدة سنوات عـينت قـارئ سـورة من خـلال وزارة الأوقـاف فى (مـسـجـد الجلادين) . . بعد اجتيازى امتحاناً تكونت لجنة من الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية . . وكان شديداً يخشاه المقرئون . . وكنت حينها قادماً من القرية حديثاً أى كنت فلاحاً و . . « فلاح قرآن » أيضا ! فكلما يسألنى سؤالاً أغمض عينى وأجيب ! ! وفى اللجنة نفسها امتحن الشيخ طه الفشنى والشيخ عبد العظيم زاهر سنة ١٩٤١ . . وقد أعجبت الممتحن فقال لى إنك رغم صغر سنك هذه تصلح للمساجد الكبرى.

وحين التعيين اختاروا لى مسجداً صغيراً هو « الجلادين » فى وكالة البلح ، وفى سنة ١٩٤٣ وجدت مسجد (أبو العلا) بغير مقرئ فطلبت نقلى من مدير المساجد لكنه ماطل حتى تولى عبدالحميد عبدالحق العضو الوفدى الذى يعرفنى جيداً من أبو قرقاص وتولى وزارة الأوقاف فأمر بنقلى إلى أبو العلا ، ولم ينفذ أمر الوزير لأن تيمور باشا كبير الأمناء فى الديوان الملكى توسط لدى مدير المساجد لنقل أحد القراء ، فلم أنقل أنا . . وبعدها بفترة أقام عبد الحميد عبدالحق احتفالاً فى ذكرى محمد على وحضره «مولانا» الملك . . فطلب منى عبدالحق أن أجمع كل آيات التوكل فى القرآن . . وسألنى عما إذا كنت مستريحا فى « أبو العلا» فقلت له : لقد تفوق نفوذ مدير المساجد على نفوذك ، ولم أنقل أنا بل تولاه غيرى ! ! فاغتاظ ، وفى اليوم التالى طلبنى فى مكتبه وتحدث بحده أمامى مع واحدة « كبيرة قوى » . .

** زوجة الملك ؟ !

* لا . . لا الملك الذى يستخفون منه اليوم لم يكن أحد يستطيع الوصول إليه ولا الحديث معه وحتى ما قيل فى مسلسل دموع صاحب الجلاله ليس صحيحاً . .

** النساء الجميلات فقط هن اللائى كن يصلن إليه ! !

* لا . . أبداً . . كل ما ورد فى هذه التمثيليات كذب

** إنها أسرار كشفت بعد الثورة وليست مجرد تمثيليات ! ! . . فمن إذن كان يكلم عبدالحميد عبدالحق . . أراقصه مثلا ؟ ! !

* لايارجل !! هى امرأة كان لها دلال ثأر فى الوزارة والدولة ..

** إذن زوجة النحاس !!

* يا أخى انت لازم تتجسس !! ما فيش فايدة .. الصحفى صحفى !! المهم .. نادى الوزير لمدير المساجد وقال له : اكتب فى هذه الورقة : « تحرر - أى تقرر ، فهو صعيدى - نقل كل من الشيخ محمد الطوخى مقرئ السورة بمسجد الغورى - الذى كنت قد نقلت إليه من قبل استرضاء - والشيخ كامل رمضان مقرئى السورة بمسجد السلطان أبو العلا .. كل منهما مكان الآخر » !! وظللت فيه من ذلك الوقت إلى اليوم.

** وماذا عن ذكريات هذا المسجد الأثرى المهم وحكاياه ؟!

* اقترن اسمى بالسلطان أبو العلا منذ أن عملت فيه .. وكانت الإذاعة فى صلاة الجمعة حينذاك تصحب الملك فاروق فى أى مسجد يصلى فيه ، وإذا لم يصل الجمعة تسجل دائما من مسجد أبو العلا ، ولم تكن تذهب أبداً إلى الحسين ولا السيدة زينب .. فقد كان هنا فى مسجدنا إمام اسمه الشيخ عبدالحميد طاهر يوثق فيه من ناحية الخطبة ، وكان عالماً كبيراً ومعتدلاً ، وكان حينما يصلى الملك فى أى مسجد يصحبه هو إماماً وخطيباً أما مقرئ الملك فاسمه الشيخ محمد النوير وبسبب الإذاعة ونقلها الصلاة من مسجدنا أشتهرت منذ عام ١٩٤٤ .

** كان هذا قبل اعتمادك فيها..

* نعم قبل أن اعتمد بكثير .. وقد أرسل لى مدير المساجد يوماً وقال لى الشيخ محمد رفعت يريد أن يراك فى منزله بحى البغالة ..

وذهبت إليه فعرض على الشيخ رفعت أن أتولى القراءة مكانه فى مسجد فاضل باشا بدرب الجماميز بعد أن سمعنى فى الإذاعة وعبر عن رضاه عن صوتى وسروره به .. وذكر لى أنه كبر فى السن وتعب ولم يعد قادراً على قراءة السورة فى المسجد الذى يقرأ فيه وقال : لقد رشحتك مكانى وسأتردد معك عدة جمع فى البداية حتى تألف المكان ويعتاد عليك

الناس .. لكننى اعتذرت للشيخ رفعت عن عدم قبولى الانتقال للمسجد الجديد فقال لى إن دخله جيد من هبات أهل فاضل باشا وكبار القوم .. وسألنى : أتعرف كم مرتبى ؟! قلت : أعرف أن كل قراء السور فى أنحاء مصر يتقاضى الواحد منهم ٤٥ قرشاً فى الشهر .. فقال لى : إننى هنا فى دائرة فاضل باشا أتقاضى فى الشهر ستة جنيهات غير خيرات الدائرة ونفحات الباشوات .. وظللت أرفضه ، وهو يستمر فى الالحاح على .. حتى قلت له : ياسيدنا الشيخ .. كان السلطان أبو العلا هو السبب فى أن تطلبنى اليوم وتعرض على هذا الأمر .. إننى حقاً أتقاضى ٤٥ قرشاً وسيادتك تتقاضى هنا ٦ جنيهات ، لكنى لا أقبل أبداً أن أترك مسجداً من مساجد آل البيت وولى من أولياء الله وأقرأ فى مسجد أحد الباشوات من أجل الفلوس .. وحينها وقف الرجل وظل يتحسس ـ وكان مكفوفاً ـ حتى وصل إلىَّ يقبل رأس ووجهى ويقول : فتح الله عليك يا بنى .. فتح الله عليك . وهذه أول مرة فى حياتى أتكلم فيها عن هذه الواقعة بينى وبين الشيخ رفعت.

ومن ذكرياتى عن مسجد السلطان ابو العلا هذا أن النحاس باشا حينا قدم إلى الحكم بعد حادث ٤ فبراير جاء معارضاً للملك فكان يذهب لصلاة الجمعة فى مسجد ، وفى الجمعة التالية يذهب الملك إلى نفس المسجد ليزيل آثار النحاس من نفوس الناس !!

وفى أحد أيام الجمع وجدت رجلاً غريبة فى المسجد من الشباب لابسى القمصان الزرق .. وقبل الأذان بحوالى عشر دقائق سمعت ضجيجاً فى الباب الخلفى وإذ رفعت الباشا أى النحاس .. داخل بتابعيه من الوفديين .. ودخل وصلى الجمعة ، وبعدها رفعه الوفديون على إكتافهم فى المسجد وهتفوا له .. وبعد جمعة جاء الملك إلى السلطان أبو العلا يصلى ويزيل أثر النحاس !! وكان لحسن حظى قارئ الملك الشيخ محمد النويرى مريضا ، فتدارسوا الأمر حتى استقروا علىَّ لأقرأ أنا الجمعة كالعادة .. ولابد من التدقيق حينذاك لمن يقرأ للملك .

** أكان الملك يفهم القرآن ؟!

* إهى !! انتم أخذتم كل ما قيل عن الملك من الدعايات !! يجب أن نعطى كل واحد حقه ..

ما قيل عن الملك ٩٩ ٪ منه كذب .. وقل هذا على لسانى لأتخن واحد !! .. المهم .. دخل « مولانا » رحمه الله عليه !! قبل الوقت بخمس دقائق .. وجلس وكنا حينها نقرأ فى صلاة الجمعة سورة الكهف فقط ، وهذا تقليد كان متبعاً حتى ألغاه الشيخ الباقورى بعد الثورة .. وقال فى فتوى إنه يمكن أن يقرأ القارئ أى سورة لصلاة الجمعة فأصبح كل منا يقرأ « على كيفه » وكانت هذه غلطة !!

** ولماذا الكهف بالذات ؟! أليس كله قرآنا ؟!!

* إنها سنة .. وفيها حديث شريف .. وبعد صلاة الملك بمجرد تسليم الإمام وقف هو وفى نيته الرد على ما أثير من هياج وهتاف للنحاس فى الجمعة الماضية ، ورفع ذراعه اليمنى وفردها ..

** هو يقلد هتلر !!

* « يا عمى دا هتلر اللى كان بيقلده » !!

** هتلر لم يكن يسمع عن « حاجة » اسمها فاروق !!

* لا أحب الدعاية الكاذبة التى تعشش فى مخكم !! المهم بعد أن وقف الملك قال بالحرف الواحد لايذكر فى بيت الله إلا اسم ربنا . وخرج بدون أن يحمله أحد كالنحاس ، وبعد خروجه هبت الهتافات ! يحيا الملك الصالح (!!) .. وفى اليوم التالى كتبت الأهرام « بتاعتكم دى » والمقطم والأساس والبلاغ عن « الملك الصالح » وما قاله وما فعله !! .. كان ذلك فى حوالى ١٩٤٤ وبعدها بخمس جمع ذهب الملك يصلى بمسجد آخر فلم يجدوا أحداً مناسباً يقرأ فانتدبونى أنا للقراءة فيه .. وهاتان هما المرتان اللتان قرأت فيهما أمام الملك !!

** وماذا عن اعتمادك بالإذاعة المصرية ؟

* فى حوالى ١٩٤٦ كنت أقرأ بالحسين ، وأؤدى بعض « الليالى » والتواشيح .. فارسل لى الأستاذ محمود جاد المدير العام بالإذاعة وطلب منى بناء على سماعه لى بالحسين - أن

أسجل أربعة تواشيح بالبطانة ، مدة كل منها ربع ساعة لتذاع فى ختام سهرة كل يوم الساعة الواحدة مساءً . .

** أكانت أول مرة تقدم فيها التواشيح على نطاق واسع ؟؟

* كنا فى حفلاتنا أقدمها أمام عدد كبير من الناس . . وكان ذلك سنة ١٩٤٦ . .

** يلاحظ أن الابتهال والتواشيح داخلة فى فن الغناء بمعناه العام أكثر من المعنى الدينى المحدد . . هل تعد نفسك مطرباً ؟ !

* لا أعد نفسى مطرباً . . لأنهم هم التابعون لنا ولسنا نحن التابعين لهم فأول من قال التواشيح الشيخ اسماعيل سكر وبعده الشيخ على محمود . وكل من عبدالوهاب وأم كلثوم وصالح عبدالحى يؤكد أنه تتلمذ على الشيخ على محمود وكان من عشاقه . . فالأصل فى الغناء التواشيح الدينية . . وكانت الأفراح « أى حفلات الزفاف » تحيا جميعا بالتواشيح أما الغناء فكان قليلا فيها . . وكان الموجود دائماً بالأفراح والليالى الملاح هو « الصييت » بدرجة أنك ليلة الجمعة وليلة الاثنين لم يكن بإمكانك أن تجد قارئاً متفرغاً فى منزله : إما صييت أو فى بطانة . . وكنت أول ما ظهرت حينما كنت أدعى لليلة أهرول إلى منطقة الحسين لأفوز بواحد من هؤلاء القراء الذين يؤدون دور البطانة لى كصييت . . ونتيجة للتهافت على القراء هؤلاء فى إلقاء التواشيح وصعوبة العثور عليهم كبطانة كونت لنفسى فى حوالى عام ١٩٤٤ فرقة مستقلة وظلوا معى حتى توفوا جميعا .

فأول قادة التواشيح وأساتذة المغنين هو الشيخ سكر وبعده الشيخ على محمود الذى تتلمذنا عليه جميعا قراء ومطربين وكان الشيخ زكريا أحمد تبيعاً فى بطانة على محمود ، وكان قارئاً . من زمن عمالقة مثل على محمود الشيخ محمود البربرى ، والشيخ مهدى سليمان . . وكل قارئ حينذاك كان لابد أن يتقن التواشيح ويؤديها . . ومن ليس متمكنا فى الصوت يعمل فى البطانة .

** أظن أشهر اثنين فى جيلك أداء للتواشيح هوفضيلتك والشيخ نصر الدين طوبار . أهناك

غيركما ؟!

* نعم .. الشيخ طه الفشنى كان أستاذاً فى التواشيح لاينكره أحد .

** لم يكن من جيلكما ..

* هو أكبر منا بحوالى عشر سنوات ..ولكن للأسف تسجيلاته لاتذاع هذا الزمان.

** حينما تعتزم تقديم ابتهالات أوتواشيح جديدة .. أتتخيرها أو لا كلمات ثم تلحنها على العود ؟!

* التوشيح هو الذى دفعنى لتعلم العود .. فاشتريت عوداً وتعلمته على يد الأستاذ مرسى الحريرى وكان ساكنا بجوارى وعودى الذى أملكه هذا استأجره ذات مرة محمد عبدالوهاب ليؤدى ليلة وقت أن كان لايملك عوداً !! بشارع محمد على .. أما التواشيح فهى كلمات يلحنها أحد الملحنين كالشيخ على محمود والشيخ زكريا أحمد ويعطى التوزيع لواحد كمرسى الحريرى ، ثم تحفظها البطانة على الموسيقى وعند الأداء يؤدونها بدون موسيقى .

** العود ليس محرماً .. فما الذى يمنع أن تؤدى به التواشيح ؟!

* ليس الدافع هو مسألة الحرمة .. إنه تقليد عرفناه هكذا .. وكان الصييت يقف فى الحفل وحوله بطانته حتى الصباح .. فإذا كان قوياً امسك الناس معه وإن كان ضعيفا ينصرفون وينفضون من حوله بعد ساعة أو اثنتين . والحمد لله أننا أخذنا الشهرة فى هذا المجال بشكل كبير .. وبعد وفاة أفراد فرقتى (بطانتى) كتبت فى الصحف أطلب من لديه القدرة على هذا العمل أن يقدم إلىَّ . فاتصل بى المرحوم عبدالحليم نويرة والأستاذ محمود كامل .. فقال لى نويرة : لقد علمت برغبتك فى إعادة تكوين فرقة للتواشيح الدينية .. وأريد أن أنفذ هذه الفكرة لكنى أريد أن أقدم الفرقة بالموسيقى .. فقلت له : ليس هذا من تقاليد التواشيح .. فلم يأخذ بكلامى. وطلب منى أن أتابع فرقته مشرفاً ومحفظاً لها فاعتذرب لضيق وقتى . فقد كنت أنام نهاراً وأسهر ليلاً فى المناسبات والحفلات .

واخترت له الشيخ محمد الفيومى والشيخ عبدالسميع بيومى ليؤديا هذه المهمة.

وبعد مرور سنة طلبنى نويرة مرة أخرى ، بعد أن أخذوا تواشيحنا نحن ، من تلحين الشيخ على محمود وزكريا أحمد والشيخ سكر والشيخ سعيد موسى ، ولم يقدموا جديداً إلا أنهم أدخلوا عليها الموسيقى . فقلت له : إن فرقتك التى تتكون من عشرين واحداً ليس فيهم غير خمسة يجيدون الأداء أما الباقون فلايستطيعون هذا العمل . لكن كلامى لم يعجبه لأنه يريد أن يروج لفرقته .. وطلبت منه أن يختار اثنين منهم لأختبرهما أمامه بدون موسيقى .. فأكد الحاضرون هذه المحاوره صحة كلامى..

وقبل أيام من هذا اللقاء مع نويرة طلبنى محمد حسن الشجاعى مدير الموسيقى بالإذاعة لأغنى بعض التواشيح .. فاعتذرت لأنه.. ولا يوجد من هم أكفاء لهذا الدورة ذلك الوقت .. وبعد أسبوعين « ضبطنى » فى الإذاعة بالصدفة فقادنى إلى مكتبه وكان معه الشيخ زكريا أحمد سنة ١٩٥٣ وهو أستاذى فقال له الشجاعى : أتتصور أن محمد حسن الشجاعى يطلب من شيخ أن يؤدى التواشيح على الموسيقى ويرفض ؟! فرد زكريا أحمد ضاحكا بطريقته الهزلية : يبقى حمار !!

فقلت للشجاعى أتريدنى أن أكفر كما فعل الشيخ زكريا ؟!!

** فضيلتك تسابق نفسك فى الاحتفاء بنا .. أتسمح لى أن أقول إنك أكرم منوفى عرفته رغم أن معظم أصدقائى منوفيون ؟!!

* المنوفيون كلهم كرماء يا أخى !! .. المهم اتفقنا على أن أغنى بهذه الطريقة ، واشترطت أن يلحن لى أول أغنية الشيخ زكريا أحمد .. فبحث سكرتيره عن أغنية ليقدمها إلى زكريا فقال السكرتير ليس لدى الآن .. إن آخر أغنية أخذها الأستاذ محمد فوزى .. وهى التى يقول فيها : هو أول ، هو آخرٌ .. فقال له : أول أغنية تصل إليك أعطها للشيخ زكريا لتلحينها ولكنى عرفت بعد ذلك أن هناك موقفاً ما لزكريا مع بعض موظفى الإذاعة بسبب الخلاف بينه وبين أم كلثوم فيحاولون تعويقه، رغم أن أم كلثوم لم تطلب من أحد

أن يسلك هذا المسلك .

ورأيي كرجل فنان وأفهم فى هذا المجال أن الخلاف الذى ا فتعلته أم كلثوم من غير داع مع الشيخ زكريا كان خسارة لأم كلثوم وليس للشيخ زكريا .. فقد افتقدت لألحانه العظيمة عدة سنوات .. وهو رجل فنان .. لكن لقاءه بدون التعاون معها عشر سنوات جعله بطيئاً ولم يجدد كثيراً .

لقد كان شيخاً بمعنى الكلمة ، وفناناً عظيما أيضا .. فحين بدأ شيخا مع المشايخ فقد عرف جو الناس كطبيعة الأراء جميعا فى الأرياف ، ويستكشف أذواقهم .. وحين تسمع للشيخ زكريا (الأمل) و(الليلة عيد) تجد كل تلحين شعبياً ، فيه مايشرح الصدر . ونحن لاننكر الآخرين .ما أريد أن أقوله أن الأصل فى كل الغناء هو التواشيح الدينية

** هل أخذت فعلاً نصاً لتغنيه على الموسيقى ؟

* لم أفعل شيئاً ، بل صمت على هذا الوضع ، حتى توفى الشجاعى وعين مكانه عبدالحميد كمال ، وطلب منى مرة أخرى أن أغنى وسوف يلحن لى مرسى الحريرى .. فلحن لى أول أغنية فعلا ولحن لى محمود كامل .. ورضا حمدى لحن لى (ماشى فى نور الله) ومدد يارب) .. وغيرها .. حتى قدمت حوالى ١٢ أغنية .. وهذا العام قدمت الإذاعة إلىَّ أغنيتين ورفضتهما . وليس هناك من يفعل هذا غيرى .. وبعد أن لحنا لى وجدت الكلام ركيكاً منه مثلاً : يارب اعطنى من فضلك ! !

وكلام معاد ومكرر كأننى واقف أتسول أمام السيدة زينب ! ! وقد غضب منى الملحن لهذا الرفض !

** ولماذا لاتلحن فضيلتك لنفسك ؟! !

* كل له فى مجاله .

** أتعرف التلحين ؟!

* نعم .. أعرف .. لكن للإذاعة ملحنين معتمدين .. وقد قال لى الملحن الذى رفضت أغنيته هذه إن اللجنة فى الإذاعة وافقت عليها فكيف ترفضها أنت ؟! قلت له : أنا لجنة !! إننى أعرف ما يجوز وما لايجوز .. أما هذه اللجان ففيها ناس - مع احترامى لهم - دخلوها مجاملة .. فلجنة القرآن فى الإذاعة مثلا نصفها لايحفظ القرآن .. وليس قارئاً ولا موسيقياً ولافنانا .. فلماذا دخلها !! إن أيام امتحاناتنا نحن كان رئيس لجنة الامتحان فى التليفزيون هو الدكتور أحمد عبد المنعم البهى عميد دار العلوم . والأعضاء عبدالحميد الموسيقى ، وعاطف الجعار ..

** أخو عليه الجعار ؟

* نعم أخوها الأكبر . . والشيخ أحمد مرعى أستاذ القراءات ، والشيخ مصطفى اسماعيل ، والشيخ الحصرى .. لكن الشيخين الحصرى ومصطفى إسماعيل - الله يرحمهما - حين عرفا أننى سوف أمتحن لم يحضرا !! وقد سررت لغيابهما حتى لاتكون فيها مجاملة .. ونجحت بامتياز .. أى أنها كانت لجنة مقنعة عالية المستوى..

أما الجماعة .. بتوع الشعر .. فلست أدرى من أين يأتون بهذا الشعر ؟!

** يدخلون اللجنة هذه مجاملة .. وحتى لو رفضوا كلمات أغنية فرفضهم لايمنع غناءها .. وقد حدث هذا مع أغنية « أتحداك » التى كتبها عمر بطيشه ورفضتها اللجنة ، فقدمها كاتبها إلى سميرة سعيد وغنتها ، ثم فرضت على الإذاعة بعد ذلك !!

* إن الإذاعة بعد أن ظهرت ، وانفلتت الأشياء ، ظهرت الابتهالات هذه ، ودخل ناس لاعلاقة لهم بها .. ويسرقون القصائد منا ويغنونها . وهم لايريدون أن يتعلموا .. فحين بدأت أنا مثلا كنت أتعلق بالشيخ على محمود حيث حل ، وأسمع هذا وذاك، وتعلمت الضرب على العود . فدخلت المجال على علم أما اليوم فليسوا قابلين للتعلم.

إن ربنا قد طمى على العقول والقلوب فى مصر وبقية الأقطار العربية الأخرى فلم يعد هناك من يفكر بالتبرع بإحياء تراث التواشيح . ولا مانع لدى أن أذهب لأيه دولة عربية

وأحفَّظ الناس هناك بغير مقابل حتى لايموت هذا التراث الذى هو آخذ فى «الانقراض».

** ولماذا لاتسجل هذه التواشيح القديمة جميعا.

* هى موجودة فى الإذاعة لكنهم لايزيعونها .. وأنا الوحيد الذى يحفظها ويستطيع أداءها وتوصيلها، ولهذا أخشى من الضياع فلم يعد غيرى حافظاً لها.

ولذلك بعد وفاة الشيخ نصر الدين طوبار وتوقفى أنا لم يستطيعوا إحياء الشهور العربية كما كان متبعاً بأداء تواشيح فى هذه المناسبات .

** الموجودون حاليا لايحفظون لحناً فقط أم أنهم لايحفظونها لحنا ونصا ؟!

* لانص ولالحن .

** بالنسبة للنصوص يمكن تسجيلها فى كتاب ونشره من خلال محفوظات فضيلتك.. وتقام حولها الدراسات الأدبية واللغوية.

* إذا شئت أن تنشرها فلابد أن تحفظها أجيال جديدة .. أما النصوص فلا تنفع وحدها.. هى كأى شعر .. ويجب أن تحفظ بلحنها حرفيا ..

إننى أسمع مغنين حالياً فأراها أعمالاً ساقطة .

** تقصد الأغانى الشبابية ؟!

* ليس هناك شبابى وعواجيزى .. هناك أغنية جيدة يقولها الشاب فتنجح ويقولها العجوز فتنجح ..

** ألم تغن أغانى عاطفية..

* غناء دينى فقط ..

** ألم تدندن حتى مع نفسك باغنية عاطفية ؟!

* حتى مع نفسى أغنى غناء دينياً !! ولو أحببت أن أردد أغانى لأم كلثوم فقصيدة مثل: ولد

الهدى - أما غير هذا فربنا طمس على فيها والحمد لله !!!

وأطالب أيه جهة بأن تعد برنامجاً لتدريب جيل جديد على التواشيح حفظاً وأداء .. وأنا مستعد للقيام بهذا التدريب لأية جهة تتحمس لحفظ تراثنا هذا.

** منشد دينى ، ومبتهل .. أهناك فرق بين المصطلحين ؟!

* المنشد الدينى هو الصييت ، أى الذى يستطيع الأداء القوى الأسر ، وصاحب التاريخ فى هذا المجال سواء التواشيح أو غيرها .. أما المبتهل فهو الذى يقدم ابتهالات دينية فقط وليس فى قوة الأداء التى يملكها المنشد .. فأنا صييت أو منشد دينى .. ولذا طلبت منهم فى الإذاعة ألا تقدمونى كمبتهل .. إن المبتهل كمن يركب حماراً أو جملاً فأعجبه صوته وهو يغنى فتقدم للإذاعة ونجحوه!!

وقد طلبت من الإذاعة ألا يجتاز امتحانات الأصوات فيها إلا من يحفظ تواشيح .. وأصدروا قراراً بهذا المعنى ، لكنهم لم ينفذوه..

** ومن أبرز الذين كتبوا التواشيح .. إنهم شعراء .. لكن مثل من ؟!!

* الشعر الذى حفظناه ورثناه ولانعرف أصحابه .. هو مأخوذ من « الكتب القديمة» ويختاره الملحنون كالشيخ على محمود وزكريا أحمد ومحمود البربرى وسيد موسى الذى لحن أكثر من مائتى توشيح ومرسى الحريرى ومحمد إسماعيل .. وكثيرون جداً ممن كانوا يلحنون لنا التواشيح قبل انتشار الغناء وسيطرته .. وقبل أن يدخل المغنون والمغنيات فى مجال الغناء الدينى الذى كان مقصوراً علينا ، حتى أدخلهم الشجاعى فى هذا المجال . فكانت الواحدة تأتى للاستوديو فى غاية التحفظ وقد لبست طرحة بيضاء، وتكون بالأمس فى حالة رقص أو غيره !! وهذا التمثيل لاينطلى على الشعب .. فترانا نحن فى رمضان لانسجل شيئاً ، والمغنى والمغنية تحتل هذا المجال ، وهم يغنون طوال العام .. فلماذا لايتركون التواشيح والغناء الدينى لأصحابه المشايخ ؟!!

** السلطان أبو العلا .. ماذا عن أصله وتاريخه الذى لايعرفه الناس ؟!

* اسمه الحسين أبو على الملقب بالسلطان أبى العلاء..

ويصل نسله إلى سيدنا الحسين بن على .. أما السلطان هذه فهى لقب صوفى ليس رسمياً ، وليس حاكما .. وعاش ١٢٠ سنة منها أربعون عاماً متعبداً هنا فى هذه المنطقة المسماة باسمه (بولاق أبو العلا) . وهو مولود فى مكه ونزح فى كبره إلي مصر .. وكان وجوده هنا أيام الحملات الصليبية على مصر.

** فى هذا المسجد ذكريات قديمة .. ماذا عنها ؟!

* أذكر أنه كان لدينا شيخ اسمه أمين حسنين يؤدى تواشيح الفجر فى مسجد أبو العلا.. وكان له وجود وزيارات لمعظم إذاعات الوطن العربى وفى زيارة لتونس تزوج من هناك ، وعاد بزوجته إلى هنا ، وأقام فى (درب نصر) .. وعندما لجأ الحبيب بورقيبة إلى مصر جاء إلى الشيخ أمين وأقام عنده لأن زوجته قريبه بورقيبة .. وكان يجلس على « قهوة الفقهاء » هنا .. وكان يعرف حى أبو العلا أكثر منى !! لكنه لم يكن يختلط بأحد .. كان فى حاله.. وبعد أن تولى رئاسة الجمهورية التونسية كان الشيخ أمين « على الحديدة » فاستدعاه بورقيبة وعينه فى منصب دينى كبير .. وأعطاه فيلا .. وبقى ابنه وابنته مقيمين فى تونس الآن .

** فضيلتك تعمل مأذوناً شرعيا إضافة لكونك قارئاً ومنشداً دينيا .. أيمكن الجمع قانوناً بين مهنتى المأذون والقارئ ؟!!

* قراءة السورة تجمع معها أية وظيفة .. لأنها ليست وظيفة .. فهى أسبوعية - كل جمعة - وأجرها بسيط فهى كان قديما ٤٥ قرشاً وارتفع حتى وصل إلى ٢٥ جنيها شهرياً !!

طـــــارق

عبد الباسط عبد الصمد

* أنا الشيخ طارق .. ولست طارق بيه !!

* أحكِّم كتاب الله في المجرمين .. بقسم الشرطة !!

* ذهب أبي للقراءة في مأتم .. فوجده منزلاً لليهود !!

* البنا ومصطفى إسماعيل . أفضل القراء لدى أبي

* إذا دُعيتُ للقراءة في مأتم متطرف قتلته الشرطة .. سأقبل !!

أيمكن أن تتسق المتناقضات وتنسجم فى شخص واحد : الرقة والقسوة ، المرونة والحسم ، التواضع والتكبر .. أيمكن أن تتعايش أخلاق القرآن متداخلة مع الأخلاق العسكرية والشرطية على وجه التحديد ؟!

هذا التجسيد النادر رأيناه فعلا ، وجلسنا معه ، واستمعنا إليه محدداً فى شخص رائد الشرطة « الشيخ » طارق عبدالباسط عبدالصمد ، ابن بلبل السماء الذى لم ينقطع تغريده الربانى من آذاننا ، ولن ينقطع .

وقد يبدو هذا التناقض غريبا فى كل حالة أخرى غير حالة « فضيلة الشيخ البيه »لأن تربيته على يد المرحوم الشيخ عبدالباسط عبدالصمد أقامت بناءه الشخصى على طيبة النفس وصفاء القلب من ناحية ، والنظام والدقة والحسم من ناحية أخرى .. والرجل الذى أسلم على يديه أفواج من البشر ليس صعباً أن يصوغ - إسلاميا - أبناءه .. فينجحون فى حياتهم العامة بعد أن استقامت وسمت حياتهم الخاصة.

عنه وعن أبيه تحاورنا مع طارق عبدالباسط..

فسألته :

** ظاهرة التبنى فى الوسط القرآنى أصبحت منتشرة .. فمثلا المرحوم الشيخ عبدالباسط قدم إلى هذا الوسط الشيخ أحمد الرزيقى .. الشيخ شعيشع تبنى الشيخ عبدالوارث عبدالعزيز .. الشيخ مصطفى إسماعيل أفاد الشيخ فتحى المليجى ، وشجعه كثيراً .. أتعتقد أن هذه الظاهرة ترجع لرغبة هؤلاء الشيوخ الكبار فى تخليد أسمائهم ، أم هى لتشابه الأصوات . أيمكن أن يكون التلاميذ مخلصين للأساتذة .. ما تفسيرك لهذه الظاهرة ؟؟

قال :

* هى ظاهرة منتشرة فى مجالات الحياة : فى الأدب ، والفن والسياسة ، والقراءة .. كل واحد من هؤلاء الأعلام له مدرسة أو طابع خاص به فيظهر له مقلدون فى مجال القراءة

ومحبون ومريدون .. وبعض هؤلاء المريدين لكثرة المعايشة مع الشيخ يسير فى نفس الطريق والمنهج .. ومن هؤلاء من يتأثر بأستاذة بشكل شبه متطابق .. فالشيخ عبدالفتاح الشعشاعى له ابنه الشيخ إبراهيم الذى كان يقلده ..

** لا أقصد « البنوة » أى قرابة الدم .. إنما أقصد « التبنى ».

* ظهر مثلا لوالدى مقلدون كثيرون .. يشبهونه من ناحية الصوت والأداء . وفى مسابقة بماليزيا نظمتها رابطة العالم الإسلامى ظهر متسابقون كثيرون يقلدونه تماما.. وفى مصر مقرئون أيضا على نفس الخط ، منهم الشيخ محمود أبو السعود الذى يقلده بدقة ، حتى إنه طبع « كروتاً » كتب عليها : « الشيخ محمود أبو السعود.. خليفة الشيخ عبدالباسط »!!

** ألا يضايقك هذا وتحتج عليه ؟!

* أبداً .. إنه أمر حسن .. ومن يرغب فى تقليد والدى فليقلده . إنه يعد امتداداً له وتأسياً به . وللشيخ مصطفى إسماعيل مقلدون كثيرون ، والشيخ عبدالعظيم زاهر ، والشيخ أبو العينين شعيشع كذلك . فكل من يستطيع أن يؤدى نفس أداء القارئ الكبير ينضوى تحت مدرسته أو اتجاهه.

** أتعتقد أن الأصوات المقَلدة على نفس الدرجة من الكفاءة والقدرة للأصوات المقَلدة؟!

* لاطبعا .. لايمكن أن يكون التقْليد كالأصل . والصوت كالبصمة تماما ، لاتقليد له.

** قراءة القرآن لم تعد مقتصرة على هؤلاء المنقطعين فى كهوف الدين : كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود مثلا من القراء القدامى .. إنما تجاوزتها إلى بعض المهن الأخرى : فنرى « الطبيب» أحمد نعينع ، و« المحاسب » أحمد محمود على البنا ، و« الضابط» طارق عبدالباسط عبد الصمد .. وغيرهم من الأسماء التى قد تكون غير مشهورة حتى الآن . ما تقييمك سلباً وإيجابياً لخرق القاعدة القديمة فى مجال القراءة وظهور أصحاب حرف يمارسون هذا العمل ؟!

* قراءة القرآن تعد ثروة . وأغلب الذين اتجهوا إلى هذه المهن الدنيوية إنما هم ساروا فى الخط العادى للحياة .. فقد ندرت الكتاتيب هذا الزمان . وهى التى خرجت القراء العظماء الكبار كمصطفى إسماعيل ومحمد صديق المنشاوى وعبدالفتاح الشعشاعى .. كلهم تخرجوا فى الكتاتيب ، ولم يحصلوا على مؤهلات أخرى مدرسية أو جامعية .. وبعد أن عرفوا وانتشروا على مستوى العالم الإسلامى عرفت الناس مكانتهم .. ثم إن الإنسان بعد أن يأخذ اتجاهه فى الحياة : ضابطاً أو محاسباً أو مدرساً أو غيرها يحس بالاحتياج إلى الاتجاه الدينى الذى سلكه سابقوه من كبار القراء فيسلك مسلكهم ، إضافة إلى وظيفته .. لأن قراءة القرآن غالبا فى المساء ، فلا تؤثر على العمل الذى يؤدى فى الصباح . وبعض هؤلاء الموظفين يتفرغ للقراءة ويترك عمله الأصلى .. بعد أن يجد فى القرآن غناءً وخيراتٍ كثيرة.

** يلاحظ أن إمكانية أن يجمع تاجر أو مدرس مثلا بين عمله الأصلى وقراءته للقرآن أمر وارد وعادى .. أما أن يكون ضابط شرطة ، وهيئة ضابط الشرطة فى روع الناس تمثل القوة والعنفوان ، أما القارئ فهو رسول الوداعة والمسالمة .. فهى صورة شبه متناقضة .. ألا تحس بهذا التناقض .. وكيف تراه مستساغا ؟!!

* مفهوم ضابط الشرطة ناقص لدى الناس . فليس لازماً أن يكون حازماً وقاسياً وعنيفاً ليكون ضابط شرطة .. هذا نظر إليه من جانب واحد : هو ضابط الشرطة الموجود فى قسم الشرطة ، وهو يتعامل مع بعض المجرمين والخارجين على القانون . وطبيعة عمله تقتضى الحزم والقوة فى الحق . لكن هناك مجالات أخرى كثيرة من عمل الشرطة : مثل الجوازات والسياحة وأمن الموانئ والعلاقات العامة ، وجوانب إنسانية أخرى كثيرة لاتشترط أن يكون عنيفاً بهذه الصورة التى انطبعت فى الأذهان عن ضابط الشرطة ، وهو الموجود بالقسم فقط .

** أفى الأسرة من يقرأ القرآن غيرك مثل أبيه ؟؟

* نعم .. (خالد) أخى يقرأ.

وسألت (خالداً) :

** أسجلت شيئاً للإذاعة ؟

* لا .. لم أسجل لها .. إنما أقرأ هواية فقط . فقد كنت مع أبى فى بعض سفرياته وأتابعه . لكن طارق أنشط منى فى هذا المجال .

** أهو الأكبر سناً ؟!

* نعم .

** أدراستك دينية ؟

* لا .. هى كلية التجارة .

* إذن تقرأ فى المنزل للأسرة فقط !!

* فى البيت ، وأحيانا فى بعض المناسبات . وقرأت مع أبى فى سفرياته للخارج عدة مرات .

** من الأجمل صوتاً : أنت أم طارق ؟!

* طارق !!

** أهو الأجمل فعلاً أم تجامله بحكم السن ؟!

* لا أجامله .. هو الأجمل والأجود !!

** أتحفظ القرآن كاملاً أم تقرأ بما حفظت ؟!

* ليس كاملا .. وأقرأ بما أحفظ .. ويأتينا مقرئ يحفظنا حتى اليوم .

** هل جاء حفظ القرآن بتوجيه من فضيلة المرحوم أم تطوع شخصى منك ؟!

* هو الذى دفعنا لهذا وتابعنا .. وأحضر لنا المحفظ هذا لتحفيظنا فى الصيف .. ثم امتدت محاولات الحفظ طوال العام إلى وقتنا الحاضر .

** أكنت تقرأ أمام فضيلة الوالد ؟ وماذا قال عن صوتك ؟!

* عدة مرات قرأت أمامه . وكان يشجعنى ، ويلفت نظرى لبعض الهنات .

وأعود إلى الشيخ طارق قائلا :

** بدايتك مع القراءة .. كيف كانت ؟؟

* حفظت القرآن كاملاً بعد نهاية دراستى ودرست بمعهد القراءات بجامعة الأزهر وحصلت على إجازة التجويد بعد سنتين .. وبعد ذلك يمكن أن أحصل على الأجازة العالية بعد ثلاث سنوات .. وثلاث أخرى للحصول على إجازة التخصص فى القراءات العشر .

وقد كانت بدايتى مع القرآن بحرص أبى على تحفظينا فى أثناء الأجازة المدرسية ، فيحضر للأسرة كلها محفظاً ، لأنه لم يكن موجوداً معنا باستمرار ثم التحقت بكلية الشرطة ، وكنت أقضى فى البيت يوم الخميس والجمعة فقط من كل أسبوع ، فانقطعت فترة عن الحفظ . وبعد نهاية دراستى واصلت استكمال حفظ القرآن . وكنت أثناء وجودى بكلية الشرطة أفتتح احتفالاتها .

وفى محاضرات كلية الحقوق كانوا يقيمون احتفالاً يدعوننى فيه للقراءة

** هل كنت تقرأ أمام فضيلة المرحوم الشيخ عبدالباسط ؟؟

* نعم كنت أقرأ .. وكان يحضر معنا أحيانا حصص التحفيظ هنا ، ويبدى ملاحظاته على قراءتنا .

** وماذا قال عن صوتك ؟!

* كان يقول إن صوتى قريب من صوته . فعامل الوراثة له دور ، حتى فى الكلام العادى . وحينما كان يتصل بنا من الخارج تليفونيا ، كان يحس - كما ذكر - أن صوته يتردد مرة أخرى عبر الأثير !!

** أول مرة قرأت فيها أمام حشد رسمى من الناس .. متى كانت ؟؟

* سنة ١٩٨٢ دعى الوالد فى حفلة بقنا بالصعيد .. وهى موطنه الأصلى الذى نتواصل معه دائماً . وكان يحضر هذا الاحتفال حوالى خمسة آلاف مستمع . واحتفالات الصعيد

يأتون فيها من كل فج عميق : من القرى والمدن والنجوع لسماع القرآن وعرفوا أننى أقرأ . وبعد أن أنهى أبى قراءته فى الربع الثانى قالوا : سنسمع الآن إلى ابن الشيخ عبدالباسط . وكنت أنا وأخى (جمال) موجودين ، فدفعته هو للقراءة فأبى ؛ فتوكلت علي الله وقرأت . ولاقيت استحسانا من المستمعين

** ضباط الشرطة لايحق لهم الانتماء للنقابات المهنية . .

* هم منتسبون لهيئة الشرطة ، وهى تعد هيئة مستقلة .

** وهذا يعنى أنك لاتستطيع الالتحاق بنقابة المقرئين.

* يمكن أن أدخلها كعضو شرف ، لا كعضو مؤسس .

** هل اعتمدتك الإذاعة قارئاً بها ؟؟

* هى الخطوة القادمة . . هم الآن يعيدون تقييم القراء المعتمدين بالإذاعة ، ويجرون عملية تصفية.

** لماذا ؟!

* لأن بعض المستمعين أبدوا استياءً من بعض القراء . . . وبعض القراء ليسوا على المستوى فبدأت الإذاعة فى تقييمهم من جديد واستبعاد من ينبغى استبعادهم.

** ومن هم القراء الذين يمكن أن تسحب الإذاعة اعترافها بهم ، والمشكوك فى أصواتهم ؟!!

* هناك لجنة سوف تقيِّمهم !!

** القراء محل الشكوى . . من هم ؟!

* كان هناك بعض المشايخ الذين يقرأون قراءات شاذة ، وغير سليمة . وهم من ناحية الوجه البحرى . .شيخ اسمه (عنتر) . . وهو مشهور بالوجه البحرى.

** أهو من المتهمين بهذا الفساد ؟!

* لقد أعلن توبته . وقال إنه سوف يعود إلى الله ويقرأ بـ . .

** بحفص عن عاصم !!

* .. بما أنزل الله !! لقد كان يقرأ بعدة روايات متداخلة مع بعضها . وهذا غير جائز .. وحتى شرائطه جمعوها من السوق . وذهب إلى النقابة وأعلن توبته وعودته للقراءة المعروفة !!

** ومن غير الشيخ عنتر هذا ؟!

* هذا هو ما أتذكره من المشايخ .. واللجنة التى ستعيد امتحانهم مشكلة من الموسيقيين والمحفظين ، ومن اتجاهات عديدة لتكون مكتملة فى أحكامها.

** فضيلة الشيخ عبدالباسط كان صوته يسحر المستمعين إليه ، ويحلقون معه فى السماوات العلا .. أتعتقد أن صوتك يمكن أن يكون على هذا المستوى ويضيف جديداً .. خاصة أن والدك ترك أثراً عظيماً من التسجيلات الإذاعية والكاسيت ؟!

* هذا كل ما أرجوه من الله سبحانه وتعالى ..

** هذا رجاء .. لكن ما هو الواقع ؟!

* الواقع يترك للمستمع ، وهو الذى يقيّم .. لا أستطيع أن أزكىً نفسى.

** تشارك فى مناسبات عامة واحتفالات ..

* نعم .. فى مناسبات عامة وخاصة ..

** أحددت لنفسك أجراً معينا .. خاصة أن المرحوم الشيخ عبدالباسط عبدالصمد كان هو والشيخ مصطفى إسماعيل يتقاضى أحدهما خمسة آلاف جنيه فى الليلة ؟!

* كتسعيرة ؟!

** نعم !!

* السوق « اليومين دول مريحً شويه » !! وأنا لم أعتمد فى الإذاعة بعد ..

إننى أقرأ فى المناسبات الدينية بلا أجر .. وأقرأ فى مسجد مصطفى محمود ، واحتفالات أكاديمية الشرطة.

** بلا مقابل ؟!

* نعم .. الأجر عند الله !!

** بل الأجر عند الشرطة ، ما دمت تقرأ فى أكاديمية الشرطة !!

* ليس مهماً الأجر ، فهناك الرحلات المفيدة . وقد سافرت إلى بروكسل ببلجيكا العام الماضى بدعوة من المركز الإسلامى هناك فى رمضان .. وزرت بولندا وامستردام وألمانيا .. والمسلمون فى أوربا يتمسكون بالدين ، ومشغوفون بمشاهدة رجال الدين من مصر ، ويوقرونهم ويكرمونهم.

** ألك ذكريات طريفة خرجت بها من هذه الرحلات ؟!

* فى سفرى إلى بلجيكا ، لم يكن أحد فى استقبالنا ، وهم يتحدثون الفرنسية ، ونحن لا نعرفها .. وأردنا الذهاب للمركز الإسلامى فى بروكسل فوجدنا مشكلة فى التفاهم مع سلطات المطار .. وكنا أربعة مشايخ معاً . لكننا فوجئنا بوجود شقيق عربى من المغرب ، فقادنا إلى ما نريد .

** أتحب أن يناديك الناس :« طارق بيه » أم « الشيخ طارق » ؟!!

* أحب أن ينادونى « بالشيخ طارق » لأن هذا أحب إلى قلبى من « البهوية »!!

فأسمى شئ يحمله الإنسان كلام الله.

** والزملاء فى عملك .. بماذا ينادونك ؟!

* بعضهم يقول على سبيل الدعابة « يا شيخ طارق » . ومن لايعرفنى ينادينى برتبتى : « الرائد طارق عبدالباسط » أو الكابتن طارق.

** معروف أن الشرطة كنوع من النظام العسكرى تقتضى ألا تجلس والأكبر منك رتبة واقف .. فإذا دعيت للقراءة فى حفل ، ووزير الداخلية موجود فيه .. فما هو موقفك : أتجلس مستريحا أم تحس بالحرج ؟!

* القرآن كلام الله . « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » فهذا القول يقوينا - كحاملين له - فى أى مكان نوجد فيه ، أى أننا لانخشى شيئاً ان قارئ القرآن يقعد فى مكان أعلى من جميع الحاضرين ، بحيث يعلو القرآن ولايعلى عليه. سواء أكان رئيس الجمهورية موجوداً أم وزير الداخلية ، فأنا أتلو كلام الله وكأنى أتحدث مع الله سبحانه وتعالى ، ولايشغلنا غير ذكره.

** فى أكاديمية الشرطة أول حفل حضرته وقرأت فيه .. أكنت بالزى العسكرى أم الكاكولا ؟! وما هى مشاعرك بصفة عامة فى أول مرة تقرأ بها وخاصة فى هذه المناسبة ؟!

* فى قراءتى بأكاديمية الشرطة كان الرئيس موجوداً ، وكنت أرتدى الزى الرسمى - بذلة الشرطة - لأن مقدم الحفل ضابط شرطة ، والقارئ ضابط شرطة ، حتى المغنى كان ضابطا.

فهى حفلة داخلية للأكاديمية .. وقد كانت قراءتى موفقة ، واستحسنها الحاضرون .

** قلت لى فضيلتك - ما دمت تحب لفظ الشيخ - إنه ليس كل ضباط الشرطة يتسمون بالقسوة وإيذاء الناس والتعامل معهم بعنف .. كشرطة السياحة والجمارك وغيرهما .. فماذا لو طلب منك أن تعمل فى قسم شرطة وتتعامل مع الخارجين على القانون .. ما هو موقفك ؟!!

* كل إنسان لديه استعداد نفسى ما ، حسب طبيعته .. ولو كنت أعمل بقسم شرطة ، وأقبل إلىَّ متخاصمان فأصلح بينهما :« وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم » .. واحَكم كتاب الله وسنه ورسوله . ولاخوف من هذا . وقد تعلمت فى قسم الشرطة أثناء التدريب بعد التخرج لمدة عامين . والشرطة عمل عادى ، لكن كل واحد حسب استعداده النفسى.

** فلنفرض أنك حكَّمت كتاب الله ، وأمامك مجموعة من المجرمين لايمتثلون لكتاب الله ولا لسنة رسوله .. فماذا أنت فاعل ؟!

* أدخلهم السجن !! أطبق عليهم الشرع نفسه !! يجلدون ويحبسون !

** تطبق الشرع فى قسم الشرطة ؟!

* طبعا .. النبى قال : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها.

** إذن يمكن أن تقطع يد السارق إذا عُرض عليك بالقسم !! وهذا الكلام إذا فعلته لايخالف الدستور المصرى الذى يقول : إن الإسلام هو المصدر الرئيسى للتشريع !!

* إنه دستور الدولة . ولست أنا الذى يقطع !! إن المحكمة هى التى تحكم بينهم وما السجن إلا عملية إجراءات ، أما القرار النهائى ففى النيابة.

** الجديد دائما يواجه بمعارضة .. وخاصة فى وسط القراء الحافل بالصراعات .. كيف تعامل من زملائك الكبار والسابقين لك ؟!

* إن لدينا خلفية النشأة التى جنبتنا مثل هذه الصراعات ، وهى ليست كصراعات الفنانين.. إننى أؤدى الواجب علىَّ فيما أدعى إليه من حفلات ، وأنصرف.

** فضيلة المرحوم الوالد ، هل وجَّهك إلى تبنى الخط القرآنى والاستمرار فيه أم أنه لم يتدخل فى رغباتك واكتفى بتحفيظك القرآن ؟!

* هو حفَّظنا القرآن . وكان يدعونا إلى تقوى الله فى أى مجال نخوض فيه ، وأى عمل نقوم به . ومن كان رزقه على الله فلا يحزن.

** أقصد أن أقول : ألم ينصحك أنت أو أحد إخوتك باحتراف مهنة القراءة .؟

* كان حريصاً على أن نحفظ القرآن جميعا .. ثم ترك لنا اختيار العمل ، ولم يكن يفرض علينا شيئاً . ويجب أن يتبنى الإنسان أية مهنة عن حب واقتناع .. لكن كان لديه أمل أن يكون من بين أبنائه من يكمل مسيرته ، حتى لايغيب اسم الشيخ عبد الباسط عن

الساحة.

** أأخذت على نفسك تعهداً بهذا ؟!

* نعم .. عاهدت نفسى على السير فى طريقه ، بعد أن أكملت حفظ القرآن ، والتحقت بالأزهر.

** ألديك نية التفرغ لقراءة القرآن ؟

* نعم .. إذا أكرمنا الله سوف أتفرغ وأكمل الرسالة .

** أتترك الشرطة نهائياً ؟!

* إلي حين . وإذا لم أستطع الجمع بين الاثنين سأتفرغ لقراءة القرآن.

** أهناك أجازة بدون مرتب يمكن أن تحصل عليها من الشرطة ؟

* كأى وظيفة .. يمكن أن أحصل على أجازة بدون مرتب لمدة عام أقرأ فيه.

** صاحب الصوت الجميل موهوب شأن الشاعر وأى مبدع آخر .. هل تتعامل معاملة خاصة من رؤسائك فى العمل تختلف عن معاملتهم لزملائك الآخرين من الضباط؟!

* معاملاتى مع رؤسائى فى حدود الاحترام المتبادل بيننا .. ولايحدث منى أى شئ يضايق رؤسائى ، أو يجعل زملائى يحسون أنى مفضل عليهم فى العمل . لكن هم الذين يفضلوننى بصفتى حافظاً للقرآن بينهم . ويقدموننى فى الصلاة والمناسبات الدينية .

** فضيلة الشيخ عبدالباسط كان صاحب رحلات كثيرة فى بعض دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى .. ماذا سمعت منه عن طرائف وحكايا هذه الرحلات ؟!

* من ضمن الطرائف أنه سافر إلى أوغندا .. وأثناء رحلته كانت ترافقه سيده أو غندية مترجمة له ، وكانت مسيحية . وبعد أن انتهى من برنامجه هناك ، وأزمع العودة إلى مصر أعربت عن رغبتها فى أن تسلم ، وتعلن إسلامها على يديه . ونطقت فعلا بالشهادتين . وطلبت منه دعوة لأداء فريضة الحج وقد وفر لها فعلا الحج ، وتقابل معها بالأراضى

الحجازية .. كان ذلك أوائل الثمانينيات .

ومن الطرائف الأخرى أنه سافر مرة إلى فرنسا . وفي المطار لم يجد أحداً في انتظاره ، فركب « تاكسيا » وطلب منه توصيله إلى المركز الإسلامي بباريس ، فأنزله السائق أمام إحدى محطات المترو ليستقله حتى المركز . لكنه بحث في جيبه عن فرنكات فرنسية ليركب بها المترو فوجدها قد نفدت جميعا .. فوقف في المحطة حائراً مضطرباً وهو لايجيد الفرنسية ، وليس معه نقود . ويرى القطارات تسير كالنمل يمينا ويساراً وفي كل اتجاه ، وأنفاق فوق وأنفاق تحت !! ولايدرى ماذا هو فاعل !! وفي هذه الحيرة سمع صوتاً ينادى : يا شيخ عبدالباسط !! فإذا به مواطن مصرى من باب اللوق يركب المترو فصعد معه ، ووصّله إلى المركز .

ومن المقالب التي « شربها » المرحوم أن واحداً اتصل به تليفونيا من طنطا ، وقال له إن والدى ترك وصية بأن تقرأ أنت بالذات في وفاته .. وترك له المتحدث عنوان المنزل معتذراً عن عدم الحضور لانشغاله في مراسيم الدفن والعزاء ، وبكى له الرجل في التليفون .. وسافر إلى طنطا ، وظل يلف ويدور بحثاً عن العنوان حتى وجده منزلاً لبعض اليهود ، ولايوجد الاسم الذى أتى للقراءة فيه !!

** المؤكد أن تربيتكم قرآنية ودينية .. ولكننا جميعا في مرحلة الشباب خاصة في أثناء الدراسة الجامعية ـ نمارس بعض المشاغبات الشبابية والطلابية .. أكانت لك مثل هذه الهوايات والمشاغبات أيضاً ؟!!

* كنا في الكلية « محبوسين » لانخرج منها إلا يومى الخميس والجمعة .. فكنت حريصا على أن «أمشى جنب الحيط » لأنى لو حدث منى أى شغب أو تصرف غير مقبول لحبست داخل الكلية يومى الخروج !! فالحرص على هذا الخروج لابد أن يكون قوياً ..

** إذن هذا سلوك فرضته الكلية !!

* نعم .. إضافة إلى أنه سلوك شخصى .. فأنا بطبعى لا أميل إلى المشاغبات والمغامرات أثناء الدراسة .. حتى إننى كنت أنتقى أصدقائى من الزملاء الهادئين . فلم يكن لدينا وقت

للمشاغبة .. كنا نستيقظ فى السادسة صباحاً على طوابير عسكرية ومذاكرة ومحاضرات ، ومراقبة شديدة طوال اليوم . فلم يكن لدينا مجال ولافراغ لأى شئ غير الدراسة .

** فضيلة الشيخ عبدالباسط أكانت له مراسيم معينة فى معيشته : فى الطعام والشراب والقراءة والنوم والتعامل معكم ومع أصدقائه ؟!

* كان عادياً فى طبيعته . لكن كان يفرغ نفسه ساعتين فى اليوم لتلاوة القرآن . ويتحادث معنا فى أمورنا العائلية ومطالبنا .. ويقرأ جرائد الصباح كل يوم.

وكتب التفسير وغيرها فى مكتبته.

** أتسمعون أحداً من القراء غير فضيلة المرحوم ؟!

* نسمع جميع القراء : فضيلة المرحوم محمد صديق المنشاوى ، والمرحوم مصطفى إسماعيل ، الشيخ الحصرى ، الشيخ عبدالعظيم زاهر ، الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى ، الشيخ محمد رفعت ، الشيخ البنا .. وأغلبهم معاصرون وزملاء له وكان على اتصال بهم ، وعلى علاقة بأغلبهم .. أما الشيخ رفعت والشيخ الشعشاعى فنحن لم نعاصرهما . والشيخ رفعت لم يتصل به الوالد . إنما كان يسمعه فى الإذاعة فقط ..

** مَنْ من هؤلاء كان يقدمه ؟!

* كان يرتبط بعلاقة شخصية مع الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمود على البنا .

** أهما أفضل القراء لديه ؟

* فعلا هما أفضلهم لديه من ناحية الأداء ومن ناحية الصداقة أيضاً..

** ولديكم أنتم من الأفضل ؟!

* نحن نقدم من كان يقدمهم أبى .. بالإضافة للشيخ محمد صديق المنشاوى فى أدائه هو مقرب إلى قلوبنا .. وترتيل الشيخ الحصرى نستحسنه .

** أهناك علاقة حاليا بين أسرتكم وأسر هؤلاء الشيوخ الراحلين ؟

* نعم . علاقتنا وطيدة بأسرة الشيخ محمود على البنا والشيخ مصطفى إسماعيل .

** إذا حدث أن سقط قتيل من المتطرفين دينياً فى مواجهة مع الشرطة .. ودعوك للقراءة في مأتمه .. فماذا تفعل ، وهم يعرفون أنك ضابط شرطة ؟!!

* المتطرفون لايعترفون بقراءة القرآن فى المناسبات !! يقولون إنها بدعة .. فلن يدعونى للقراءة !!

** القتيل فقط هو المتطرف ، أما بقية الأسر -مثلا- ليست متطرفة !!

* أغلبهم يرفضون قراءة القرآن فى المناسبات . ويرون ضرورة اقتصار العزاء علي تشييع الجنازة فقط . وبدأت عادة القراءة فى المناسبات تنقرض . ويكتفى الناس الآن بتلقى العزاء فى دور المناسبات أو المنازل أو حتى تلقى العزاء على القبور .. ويقول بعضهم : لاعزاء بعد ثلاث . فلن يحدث أن يضعونى فى هذا الموقف !!

** نفرض أنه حدث .. كان هو متطرفاً ، أما أبوه وإخوته فغير متطرفين .. فما موقفك حينها ؟!

* الموقف ؟!! .. إذا دعيت لقراءة القرآن فلن أسأل أمتطرف هو أم لا ؟!!

ولن أجرى تحريات عن «المرحوم» !!

** أيعرف أبناؤك جدهم ؟!

* ليس لدى أبناء حتى الآن !!

** وأنت رقم كم فى الإخوة ؟!

* أنا الأوسط .. هناك ثلاثة أكبر منى وثلاثة أصغر .

** أيحفظون القرآن جميعاً ؟!

* أغلبهم .. منهم من يحفظه كله ، ومنهم من يحفظ بعضه .

البنــا الصغيــر
يروى كرامات البنا الكبير

* كتب نعيه للصحف .. قبل وفاته بيوم !!

* وصف مشاهد جنازته .. وذكر أسماء الحاضرين !!

* بعد وفاته .. أصبح عمره .. اثنين وثلاثين عاما !!

* الشيخ الشعراوى دعا له دعاءً .. يحتاج لكمبيوتر !!

* أعدنى للرسالة .. فحملتُها .. وتركت المقاولات ومصنع الملابس !!

* أردت تسجيل شريط غناء .. فمنعنى والدى !!

* نعم .. كنت أمارس « شقاوة » الطلاب .. فى الجامعة !!

البنا الصغير هو أحمد : هذا الصوت المتدفق سحراً وأسْرا ورقةً ، والممتد من نهر السمو الكبير فضيلة المرحوم الشيخ محمود على البنا .. فالابن ترك زخرف الدنيا وراءه ـ وكانت ما أبهاها بين يديه ـ ليكمل رسالة الأب التى طالما حلم له بها ، بأن يكون قارئاً مثله للفرقان الحكيم.

والشيخ أحمد محمود على البنا رجل مثقف ، تلقى تعليما مدنياً ، وخبر الحياة ، وسار فى مناكبها .. فحين يتحدث عن « كرامات » أبيه فهو حديث الثقة لا الشك ، واليقين لاالتخيل .. وإن كان يتحفظ كثيراً فى الحديث عن هذه الخوارق التى جرت على يد الشيخ الكبير ، ويحتفظ لديه بجلها حين يبوح بأقلها .. مؤكداً أن هذا الكلام لخاصة الخاصة .. وليس له أن يقول لأحد : صدقنى .. بل يقول : ذق لتعرف !!

قلت للشيخ أحمد البنا :

** أداؤك للقرآن الكريم فيه عمق كبير وتأثر واضح وتأثير فى المستمعين .. أهى ظلال فضيلة والدك الراحل الشيخ محمود على البنا فى القدرة الصوتية والأداء ؟!

* أكيد .. فخامة الصوت موروثة من الوالد ، وطريقة الأداء أيضا .. والتأثير تعلمته منه : كيف أبدأ ، كيف أقف .. وهذا مهم جداً لإيصال المعنى.

** هل قرأت القرآن على فضيلته ؟؟

* أنا خريج كلية التجارة ـ جامعة عين شمس سنة ١٩٨٧ ـ وفى صغرى أحضر لنا والدى محفظا نظراً لانشغاله . وكان يحضر إلينا مرتين فى الاسبوع . ويتابعنا الوالد من حين لآخر ، ويمتحننا ويشجعنا.

أتممت حفظ القرآن ، وانشغلت بالتعليم . وكان تمام القرآن فى الثالثة عشرة ، أى بالمرحلة الإعدادية . ولم أكن أفكر أن أعمل قارئاً .. لكن فى آخر سنة للشيخ المرحوم كان مسافراً لأبو ظبى فى رمضان ، فقال لى : تعال معى . ولم يكن الأمر فى خاطرى.. فقد تخرجت وفتحت شركة مقاولات ومصنع ملابس . وكنت متعجباً لعرض كهذا .. مع ملاحظة أنه كانت لى سوابق قراءة من قبل . فقال لى : إنت صوتك حلو « ياواد » وفنان !!

فتعال أقرأ معى . فأكدت له أن لدى عملاً وارتباطات . فابتسم ابتسامة لم أعرف لها معنى حينذاك ، رغم أنه كان قد ربّانا على فهمه من أول نظرة بغير حديث .. ولم أسافر معه .

وقبيل وفاته بساعات قليلة جلست أقرأ له بعضاً من آيات الله . وبدأت أقرأ قراءة عادية فقال لى : لا .. ليس هكذا ، وهو يريد أن أجّود .. فبدأت أجود فعلا . فقال لى : تمام .. هكذا مضبوط .. وحتى تلك اللحظة لم أكن قد تلقيت الرسالة بشكل تام .. فاستأنف قائلاً : هذا هو الطريق !! وكان تقديرى أنه يقصد أن هذا هو طريق الآخرة ونعيمها . وحين التف كل إخوتى حوله : قال لهم ثابروا واستمروا حتى لو يقرأ كل واحد منكم ربعاً كل يوم ..

وفى فترات دراستى الثانوية والجامعية كنت أحب تقليده ، فأسمعه من الإذاعة ، وبعد أن ينتهى أجلس وأقرأ مثلما كان يقرأ .. وقد لاحظ هو هذا الأمر ، فدعانى يوماً لأقرأ أمامه وأسمعه .. ففرحت .. وبدأت القراءة « ساخناً جداً » وفى صوت عالٍ . فاستوقفنى قائلاً : مهلا مهلاً .. أتدخل هكذا زعيقاً . فماذا تعمل بعد دقيقة واحدة مادمت بدأت هكذا ؟! تمهل فى البداية ، واترك للصوت أن يأخذوينفرد .. فقد كان يبدأ من تحت ثم يعلو شيئاً فشيئاً .

وكان من حسن حظى أن السائق قد تغيب ، فطلب منى أن أقود له سيارته - وبصفة عامة كان يرتاح لى جداً - ومن هذه اللحظة أصبحت مرافقاً له ليل نهار لمدة ست سنوات متصلة إلا شهر الامتحانات . وقد أفادنى هذا كثيراً بأن أحتك مباشرة بالعمل والقراءة ، وأرى بعينى الناس تتأثر وتبكى : إن هناك شيئاً غير عادى . وقد سألته مرة عن هذا القبول الكبير فقال : ارض الخالق يرضى عنك الخالق .

وكنت أرى حينذاك بعض زملائه يخرجون عن قواعد التلاوة ، فأسأله عن عدم انضباطهم

** أكانوا « يغنون القرآن ؟!

* على حساب النغمة يجور بعضهم على الحروف . فيأكل حرفاً ، ويخطف آخر فى سبيل اطراب الناس . فقال لى : ليس مطلوباً أن نرضى الخلق ، بل أن نرضى الخالق أولاً .

وحظيت بدعاء عظيم له ، أثق فى أن المولى سينصرنى به . يقول : قلبى وربى راضيان

عنك يا أحمد.

** ألم يتوافر هذا القرب والرضا منه لإخوتك الآخرين ؟!

* الدعاء توافر للجميع .. لكن بالنسبة لى توافرت فرصة الاقتراب منه فى عمله . وربما كان هذا ضمن الرسالة التى لم أكن قد تلقيتها كاملة بعد . إنها مرت بخطوات أشعر أنها من ترتيب المولى سبحانه.

** أأنت أكبر الإخوة؟

* أنا الرابع بينهم .. وهم : المهندس شفيق ؛ مدير عام بمكتب رئيس الجمهورية ، الأستاذ على : خبير كمبيوتر وصاحب مكتب تصدير واستيراد ، آمال : محاسبة ومتزوجة من محاسب أستاذ بجامعة الأزهر الشريف : أصغرنا محاسب ولديه معرض سيارات .

** أحفظوا جميعا القرآن ؟

* كلنا بلا استثناء حفظنا القرآن .. فكان المحفظ الشيخ (معوض) يحضر ، ونجلس إليه جميعا..

** وما مصير شركة المقاولات ومصنع الملابس ؟!!

* لا أخفى عليك . لم أجد أكرم من أن أعمل أميناً على كتاب الله عز وجل ..

لقد كان المكتب لى أنا وإخوتى ، وكنت أنا الذى أديره بمجرد تخرجى فى الجامعة..

ثم تفرغت تماما للقراءة.

واستمراراً لحديثنا عن هذه الرسالة التى يريد والدى نقلها إلىَّ ، كان يوقفنى على كل طريقة فى الأداء : الطبقة الصوتية ، المقامات ، القفلات ، العلو والانخفاض . ولم أكن وحدى الذى يسمع هذه التوجيهات ، بل كان يقولها أيضا لبعض زملائه : « يا واد ماتزعأش قوى كده .. ياو واد اعمل كذا » !! وأنا احتفظ بكل هذه الوقفات ولا أعلم أن المولى قدر لى السير فى هذا الطريق.

وقد جاءت وفاته سريعة وأشبه بالخيال . . حدثت فى أيام متلاحقة قليلة :عاد من أبوظبى إلى المنزل مريضا ونقلناه بعد رجوعه بثلاثة أيام إلى مستشفى السلام الدولى . . فوضعوا له حلقة بلاستيك على يده وعليها رقم للمريض . فنظر إليها وقال : جميل . . حتى إذا دخلنا الثلاجة يعرفوننا بعضنا ! ! فانقبضنا جميعا . وبعد إجراء عدة تحاليل بدأت صحته في التدهور ، وكان هو يقيس قدرته بنفسه ، فيتمشى فى المستشفى كل يوم ، فيرى خطواته تقل يوماً بعد آخر ، حتى عجزت قدماه عن حمله . وشعرنا أن الأجل قد أزف ، لاريب فيه . . فجلسنا إليه ـ وكان يبنى مسجداً وقبراً له فى قريته شبرا باص مركز شبين الكوم بالمنوفية ـ وكان العمل يسير فى المسجد ، أما القبر فكنا نؤجله ونتمهل البدء فيه . . فقال لنا : أوقفوا البناء في المسجد وابنوا القبر سريعا . فقلنا له : هذا وذاك فى وقت واحد . قال : لا . . دعكم من المسجد الآن . وامتثلنا لرغبته وأخذنا فى بناء القبر . وفى أحد الأيام ذهبت إليه لأستطلع البناء فيه ، وبعد عودتى سألنى : هل انتهى المدفن ؟ قلت له : نعم . . قال : لا . . إن بابه لم يركبً بعد ! ! وكان فعلاً ينقصه الباب .

** وكيف عرف ؟!

* لاتسألنى . . لقد ذهلنا ، ولم يكن هناك من نقل له مشهد المدفن حتى يقول ما قال . ثم استد نانى منه ـ فى المستشفى ـ وقال : أحضر ورقة وقلما . . واكتب : انتقل إلى رحمة الله فلان الفلانى . . لم أستطع أن أرفض الكتابة أو أراجعه ، رغم أن كلامه كان كطلقات الرصاص تخترق صدرى . وقال : أكمل : عن عمر يناهز .الستين عاماً ـ كانت وفاته فى الثامنة والستين وعدة أشهر ـ وقلت له : فلنترك (الستين عاما) ونكتب (ثمانين عاماً) فأمامك عشرون عاماً ! ! فردَّ علىَّ فى حسم : لا . . ليس هناك متسع من الوقت . . اكتب . . وأملى علىَّ كل اسماء الأقارب والأهل ! ! وطلب أن أترك مساحة فراغ لتنشر فيها الصورة . . حتى يكون النعى جاهزاً لحظة الوفاة ! ! ثم قال لنا : يا أبنائى . . للذكر مثل حظ الأنثيين . وكان هذا قبل وفاته بأربع وعشرين ساعة . وهو يتحدث بطمأنينة عجيبة على سرير المرض . ثم دعا لنا بقوله: ربنا يستر كم ويستر أولادكم . فقلت له : أهذه

دعوة يا أبى .. نريد أكثر !! فاسكتنى مردداً الدعوة نفسها . وقال : ليس فى الدنيا أجمل من الستر . واستطرد : فى أثناء تشييع الجنازة أديروا شريط قرآن لى ، حتى لاتصرخ النساء ويبكى الناس.. فقلت له : هذا صعب . وبكينا جميعا .

وفى اليوم الثانى من هذا الحديث قال لنا : أين الشيخ متولى الشعراوى ؟!

قلنا : سألنا عنه فذكروا أنه فى محافظة البحر الأحمر لتسجيل حلقات تفسير هناك .. فرد فى حسم : لقد عاد إلى القاهرة..

** أقال له أحد ؟!

* أبداً .. ولاتسألنى عما يدور . وفعلا ذهب إليه أحدنا وقال له : الشيخ محمود ، يريدك ، وقال إنك قد وصلت : فقال له الشيخ متولى : إننى وصلت منذ برهة قصيرة فعلاً . وبمجرد دخول الشيخ متولى بكى ، وظل يبكى ويتمتم بألفاظ هامسة لانستبينها . وكان الوالد حينها فى النزع الأخير .. فقال للشيخ الشعراوي : تشريفة .. فظننته يحيى الشعراوى بهذه الكلمة ، أى يقول له : مرحباً بك مثلا .. وبعد لحظة مد أبى يده إلى الشيخ متولى وقال له : مع السلامة !! الوقت انتهى !! فخرج الشعراوى .. ليتوفى أبى فى صباح اليوم التالى لهذا اللقاء .. أى يوم السبت.

وكانت الجنازة يوم الأحد بالحسين .. وذهبنا إلى هناك لنجد الشيخ متولى قد سبقنا ليصلى بنا الجنازة . وبعد الصلاة تأهبنا للذهاب إلى القرية ، حيث الدفن هناك . فاستوقف الشيخ الشعراوى اخى الأكبر ، وقال له : لم أذهب لبلدكم منذ وفاة جدتك عام ١٩٧٦ - وكانت وفاة أبى عام ١٩٨٥ -ولو وصلتم قبلى فانتظرونى ، لأن والدك أوصانى بالأمس أن أحضر « تشريفته » فقد كان يسمى الجنازة (تشريفة) .

ويوم الجمعة قبل الوفاة بيوم وصف لنا الجنازة وصفاً دقيقاً : مَنْ سيشارك فيها ، ومن يبكى ، ومن يحزن ، وفلان يسلِّم على فلان ، والطريق الذى سنمر بجنازته فيه .. ونحن لانرى شيئاً مما يصف ، ولانفهم ما يعنى ، لكننا فوجئنا بهذه المشاهد فى الجنازة ، كما وصفه بنفسه

حرفيا !! ناهيك عن أشياء أخرى ليست للنشر :

كالرؤيا التى رأيته فيها واتصل بى صديق من لبنان يروى لى نفس الرؤيا التى رأيتها !!

** ماذا حدث فى هذه الرؤيا المشتركة ؟!

* لا أتحدث عنها للنشر .. هى ليست لعامة الناس ؛ لأنهم ليسوا جميعا سيصدقونها . ويصعب تصديقها فعلاً إلا لمن رآها مثلى !!

وقد كان يأتى - بعد الوفاة - ويوقظ أخى من نومه ليحل مشكلة الضرائب عليه ، والتى سوف يصله خطاب بها .. وبعد قليل يصل الخطاب فعلاً !!

وفى إحدى المرات جاءنى فى المنام أيضا يقول لى : لقد تزوجت !! فقلت له : تزوجت ؟! هذه مصيبة !! فضحك ضحكا شديداً لم يكن يضحكه فى حياته .. ويقول : المفروض أن تفرحوا لى . قلت : كيف ؟! أقول لإخوتى ووالدتى خبراً سيئاً كهذا ؟! فقال لى : إن والدتك لاتناسبنى الآن .. أنا الآن عمرى اثنان وثلاثون عاماً !! فرددت : إذا كنت أنا في هذا العمر ، فكيف تكون مثلى ؟! فيضحك ويقول : لقد تزوجت سيدة لاتوصف : جمالاً وكمالا .

وفى رؤيا أخرى : كنا قادمين من القرية ، فأخذنا فى مكان أرضه ناصعة البياض . وفوجئت بأن الفواكه موجودة لديه من كل نوع ومن جميع فصول السنة ..

ومنها العنب البناتى الذى كنت قد بحثت عنه فقالوا إنه انتهى .. فردَّ عليَّ : لدينا كل شئ هنا .. إذا شئت فخذ !! فقلت له : لقد رأينا هنا حور العين ، وفاكهة مما يتخيرون .. وليس ينقص غير لحم طير مما يشتهون .. وإذا بواحد أمامه آنية كبيرة جداً ، وفيها عجين ، ويضع العجين قطعاً صغيرة على طرف الآنية .. وطير يملأ السماء .. ينزل كل منها يأكل ، ويطير .. هذه الرؤيا رآها شقيق أخى - فقال له : يا رجل ادفع الطيور التى تأكل أكله الذى تعده .. فقال : أنا جالس ها هنا لأطعمها .. ! إنها طيور محمود على البنا !!

وغير هذا من أحلام ورؤى كثيرة رأيناها ، تنبئ كلها بمنزلته فى الآخرة ونستكمل مسيرة

القراءة بالنسبة لي .. فبعد وفاة الوالد ـ وكان له صديق اسمه الشيخ سعيد محمد الفراش وهو طبيب وقارئ ومبتهل ـ وعلمت أن لديه صوراً للوالد ، وكنا نجمع صوره فى تلك الفترة . فزرته بداره فى طنطا ، وجلسنا ندردش . وأثناء الكلام استعرضت ليلة اجتمع فيها أبى مع الشيخ مصطفى إسماعيل ، وأبدع كل منهما في أدائه القرآنى .. وقرأت فقرات مما جَّودا . فرد عليَّ الشيخ سعيد : تاهت ووجدناها .. إن صوتك جميل . ألست تعرف المقامات ؟!

قلت له : نعم .

** أتلقيت منه علم القراءات ؟؟

* نعم .. أخذته عنه . ولست متخصصاً . وتعلمت منه التجويد والمقامات الموسيقية أيضا .. فقال الشيخ سعيد : أولست حافظاً للقرآن ؟! نعم .. فأقنعنى فوراً .. فكان له الفضل فى وضع النقاط فوق الحروف بالنسبة للرسالة الكاملة التى كان الوالد يريد نقلها إلىَّ .. وكانت هذه البداية سنة ١٩٨٦ .. قد كنت أقرأ وأنا فى المدرسة والجامعة .. أما الاحتراف فقد كان يستدعى التفكر والتردد .. حتى جاءنى أبى فى رؤية ، وأنا نائم فى حفرة ضيقة ، وأنظر يميناً ويساراً فى حيرة ، فوجدته ينظر إلىَّ من أعلى ويقول : هيا يا بنى .. جهز نفسك لكى تخرج .. فاستيقظت من النوم فاهماً واعياً لما يجب . ولست أقول لك بعض الحقائق حوله ـ رحمة الله عليه ـ وما رأينا أنا وإخوتى.

** لم تعد الرؤى وغيرها من الخوالج النفسية خافية وسرية . فقد استطاع العلم أن يفسر (التلبثى) والاستشعار عن بعد .. وفسر نماذج غريبة منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة عام حين قال الفاروق عمر لأحد قادته : يار سارية .. الجبل .. الجبل .. وسمعه (سارية) وهو فى الحرب فلجأ إلى الجبل !! وقال لمسلم آخر واقف بين يديه ، بعد أن سمع اسمه : أدرك قومك فقد احترقوا . وذهب الرجل ليجد قومه قد احترقوا فعلا !!

* إذا قلت لك كل شئ سيقول الناس إنه حب للأب ، يدفع لهذا الكلام .. وقد يصنفوننا ضمن الصوفية أو المتطرفين أو غيرهما من التوجهات !!

* ابتعد عن المتطرفين ، وكن حيث شئت ، لا يلومك أحد !!

* بعد هذه الرؤيا رحت أجرب فى مسجدنا بالقرية - بعد أن لبست جلبابا - لأعرف وقع صوتى على الناس ، فحظيت بالقبول. وتواصلت قراءاتى كل جمعة . حتى فوجئت برؤيا أخرى يقول لى فيها والدى : لاتزرنى بالجلباب . وقدم لى كاكولا رمادية ، وقال : ألبس هذه لتكون كسائر أهل القرآن . . فعقدت العزم وتوكلت على الله .

ومن بعده سافرت لدول عربية كثيرة ، وانجلترا وفرنسا وكوريا الجنوبية وإيران . .

* ومتى كان ظهورك على مستوى عام واسع بعيد عن مسجد القرية ؟!

* حمداً لله . . فأنا أحمل اسماً معروفاً . وبمجرد علم الناس أن للشيخ البنا ابنا يقرأ بدأوا يتواترون علىَّ من جميع المدن والقرى حول المنوفية . ومن هناك بدأ الانتشار . وتواترت دعوات الناس لى فى المناسبات .

** والاعتماد فى الإذاعة .

* قريبا سوف أعتمد فى الإذاعة والتليفزيون . لكنى الآن عضو مجلس إدارة فى نقابة محفظى وقراء القرآن الكريم . . وأمين صندوق مساعد .

** ألا يشترطون فى هذه الأعمال النقابية الانضمام للإذاعة ؟؟

* لا . . أن هناك لجنة متخصصة تختبر القراء لتضمهم أولاً للنقابة . . وقد كان والدى من مؤسسى النقابة . وله جهد كبير هو والشيخ عبدالباسط والشيخ أحمد الرزيقى أمين عام النقابة حاليا والشيخ أبو العينين شعشع النقيب الحالى . .

** فضيلتك تدرجت فى التعليم المدنى كك الناس . . وفى الجامعة «شقاوة» طلاب ومداعبات ماذا عن هذه « الشقاوة» والأنشطة الجامعية بداخل كلية التجارة التى تخرجت فيها ؟!!

* هناك بالتأكد « شقاوة» الطلاب الطاهرة الظريفة : فكنا نخرج فى رحلات جامعية ، ونؤدى

أغاني الرحلات . ويطلب منى زملائى دائماً الغناء . فكنت أغنى ضمن مجموعة منهم . وقد كان معنا (أحمد) ابن الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وهو يسبقنى بعام تقريبا . وكنا ننتمى لأسرة واحدة فى الجامعة اسمها (الشمس) .. وفعلاً كانت هناك « الشقاوة » لكنها لاتخرجنى عن المنهج . فالتربية والبيئة لابد أن تؤثر فى الإنسان.

ويبدو - والله أعلم - أن القرآن هو العاصم . وقد اطلعت قريباً على بحث أجروه فى نيويورك .. فى محاولة منهم لمعرفة انتماء القرآن إلى الله من عدمه .. فأحضروا شخصين متماثلين تماما : فى السلوك والأكل والشرب والنوم .. وأدخلوهما فى غرفتين متماثلتين : فرشاً وديكواً ، ومحتويات ومساحة .. أحدهما يعيش حياة أمريكية عادية ، والثانى يستمع إلى القرآن الكريم . ولايعرف كلاهما اللغة العربية .. وأجروا عليهما فحوصاً أكلينيكية شاملة قبل التجربة وبعدها .. وحين نهاية التوقيت الذى أرادوه وجدوا الشخص الذى يستمع إلى القرآن أعيد ترتيب ذرات جسمه ، بحيث تؤدى وظائفها على أكمل وجه . أما الشخص الآخر فقد ظلت ذرات جسمه كما هى لم تتغير . فالقرآن ليس مجرد كتاب .. لأن أى كتاب يمكن إحصاؤه من الجلدة للجلدة فى سنة أو أكثر أو أقل حسب قدرة كل إنسان . وينتهى مفعوله عند إحصائه هذا .. أما القرآن فما زال متجدداً وعطاؤه لاينفد . ونكتشف فيه دائماً جديداً .. وكلما رددنا الآيات نجد فيها مجالاً أكثر عظمة وعطاءً.

وفى أثناء الدراسة الجامعية كنا نقيم حفلات داخلية ، فقال لى أحد الزملاء إن واحداً من شركة صوت الفن سمعك وأعجبه صوتك ، ويريد أن يسجل لك شريطاً . فملت لفكرة الغناء هذه ، وعرضتها على أبى فصرفنى عنها وقال لى : فعلاً صوتك جميل .. فلماذا لاتقرأ القرآن بدل الغناء ؟!!

** أبناؤكم . أتعلمونهم بمدارس أجنبية أم إسلامية أم أزهرية ؟!

* أبناؤنا يتعلمون فى مدارس عربية خاصة .. فهم جميعا فى مدرسة اسمها (الجامعة الإسلامية) ..

** العادة التى كانت شائعة لدى القرء قديماً أنهم كانوا علماء فى اللغة والنحو والصرف

والبلاغة وأيام العرب ولغاتهم . فكان كلهم موسوعة كبرى .. ألا تحس فضيلتك بأن هناك شيئاً ما مفقوداً بالنسبة لك بصفتك غير متخصص فى الدراسات الإسلامية ؟!!

* تخصصى فى قراءة القرآن الكريم وتجويده .. وهذه رسالة تبدأ من عبدالله بن مسعود أول من أطلق عليه قارئ القرآن الكريم) .. حتى الأجيال التى سبقتنى . وستأتى أجيال كثيرة من بعدنا . لأن القرآن سيظل يتلى إلى أن تقوم الساعة.

بالنسبة لأوجه القصور أو الخلل التى تسألنى عنها ليست أوجه خلل ، لأن هذا هو تخصصى فقط . فقد تجد أستاذاً فى كلية الطب متخصصاً فى (علم الأجنة) .. أيعنى هذا أنه مقصر فى شئ آخر ؟! لكن لديه خلفيات أخرى عن بعض الفروع العلمية . وبالنسبة للفقة والتفسير فمستمد من القرآن الكريم .. لا أدعى الإلمام بهذه العلوم ، ولكننى لا أمنع نفسى من قراءات أية كتب فقهية ، أو غيرها للتثقيف ، والإلمام بعلوم الدين بعامة.

** يلاحظ أن القراء الكبار ربما كان يصل أجر الليلة لأحدهم خمسة آلاف جنيه .. وقد أفدت فضيلتك من الميراث العائلى - إضافة لجمال الصوت - بأن وجدت موطئاً واسعاً وسط القراء .. هل نالتك فائدة أيضا بأجر عالٍ كما أفدت من الناحية المعنوية ؟!!

* أكيد .. فانا أحمل الاسم بكل ما يملك من محاسن ، ومن ارتفاع فى الأجر وغيرهما .. وقد كانوا يحصلون على أجور مرتفعة جداً . ولكن هذا لايساوى شيئاً .. فالناس ترى من وجهة واحدة بأن فلاناً يتقاضى كذا ، ولايرون الوجهات الأخرى .. فربما كان لدى بعضهم قائمة بأسماء بيوت مفتوحة ينفق عليها لوجه الله.

** ليسوا جميعا !!

* أنا أتحدث بصفة عامة .. وقد كان المولى - عز وجل - يسخرهم لإعالة بعض الأسر لم يكن يعطى لهم فقط . ففى إحدى المرات كنت ذاهباً مع الوالد إلى سهرة ، فنظر إلى السرادق المقام فوجده صغيراً جداً . ومن عادتهم أنهم لايذهبون إلا إلى السرادقات الضخمة .. فنادى الفراش وقال له : ألا تعرف أننى قادم ؟! فرد الفراش : أنت يا مولانا قارئ هذه

العائلة ، وهى لاتدعو غيرك .. وهذه الأسرة هى الفرع الفقير بهذه العائلة ، فمات أبوهم ، وإذا لم يدعوا البنا فسوف يبدون أقل من أبناء عمهم . وهم فى نفس الوقت قدراتهم المادية لاتسمح .. ولذا فقد جمعوا أجرتك من بعضهم بعد لأى !! وأحضروا هذا السرادق المتواضع . فدفع له أبى من جيبه وطلب إليه أن يحضر سرادقاً كبيراً على نفقته ، ولم يتقاض أبى أجراً من هذه الأسرة

وحضرته فى إحدى المرات ـ وقد كان قارئ السيد البدوى لمدة عشرين سنة تقريبا ، ثم انتقل إلى المسجد الحسينى حوالى ست سنوات قبل وفاته ـ حضرت في المسجد الأحمدى بطنطا ، وقد راح يشكو له واحد من الناس فيقول : تشاجرت مع إخوتى لأننى طلبت إحضارك فى وفاة والدنا ، فقالوا إننا لانملك أجره .. فذهب معه أبى بغير أجر . وغير هذا حدث كثيرا .. وليس الشيخ البنا فقط ، بل كثيرون غيره من كبار القراء كالشيخ مصطفى إسماعيل.

** أقل أجر تحصل عليه ..

* « وبعدين معاك بقى» !!

** أسأل عن الأقل لا الأكثر !!

* لاتنشط علينا الضرائب وتحرضها !!

** إذا خفت ذكر الحقيقة سيظنونك تتقاضى ١٥ ألف جنيه فى الليلة .. أما إذا ذكرت الواقع فلن يجدوا منفذاً إليك !!

* إنهم بطبيعتهم لايصدقون .. لست أدرى لماذا ؟! حتى حينما كنت أعمل فى شركة المقاولات كنت أقدم المستندات بأمانة تامة ، ولكنهم لايأخذون بها !!

والأجور غير ثابتة . فهناك ليال أتقاضى فيها ألفى جنيه وأخرى ألفا .. ومن لايستطيعون لا أخذ منهم ، حتى لو دفعت من جيبى.

** أسجلت شرائط كاسيت ؟

* تدور مفاوضات لعمل شرائط.

** أظنها ستكون على المستوى المعنوى والمادى جيدة ؟!

* الشرائط ليس مهماً أن تدر دخلاً لى . إنى أنظر لها بعين أخرى : إننى أحسد والدى على أنه فى قبره يتلقى الثواب على تلاوته . وأتمنى أن أقدم أكبر مطبوعات ممكنة بالنسبة للقرآن ، ويسمعها أكبر عدد من الناس . لقد دعا الشيخ محمد متولى الشعراوى لأبى دعوة عظيمة ونحن ندفنه . قال : اللهم أثبه عن كل حرف تلاه ، وعن كل من سمع منه حرفاً عدد مرات تلاوته .. هو دعاء يحتاج لكمبيوتر لكي يحصيه !!

** وجدناك حين جئنا مرتدياً الكاكولا والعمامة .ونحن نرغب فى تسجيل التبسط فى الملبس والحوار ، ولذا نجرى حواراتنا فى المنزل..

* علمت أنك مقبل بضيوف معك ، فتأهبت لقدومكم !!

** الوسط الأدبى يضم عدة أجيال : من الشباب والكبار .. وهم يتنافسون ويتعاركون عراكاً شديداً فى مجال الفكر .. أيوجد فى وسط الإقراء مثل هذا التنافس والصراع بين الأجيال أم أنه مجرد صراع فردى ؟!!

* الصراع موجود ما وجد البشر . ومن وجهة نظرى أنه ليس صراعاً . إننى أحاول أن أعطى كل ما أستطيع لأصل بهذه الأمانة إلي المستمع . وليس بمعنى المفاضلة بين هذا وذاك.

فإذا كان هناك صراع فكرى بين الأدباء .. وكل منهم يصل إلى نتيجة ويحاول أن يخطّئ الآخر فى نتائجه مثلا .. فتنافسنا نحن تنافس لنصل بالأمانة إلى المستمعين لقد فوجئت بشخص تركى بالمركز الإسلامى بلندن وأنا أقرأ يبكى بكاءً مراً ومستمراً لدرجة أننى كدت أبكى من بكائه .. فأخرجت كل ما بداخلى من تجويد وإتقان لأنى أحسست بتأثر المستمع .. وبعدها فوجئت به يتحدث التركية فقط إلىّ .. لا العربية ولا الانجليزية . فترجم لنا أحد الأتراك فطلب من خلاله شريطاً لى مسجلاً ليستمع إليه . وقد ظل يحرص على أن يحضر فى كل قراءة لى لكى يبكى !!

فهل هذا لم يصل إليه المعنى ؟! إن التنافس هنا يجيئ لأجل الوصول بالمعنى إلى القارئ ، وأضعه فى هذه الصورة من الخشوع .

** المسلمون فى كوريا الجنوبية عددهم قليل ويكادون يذوبون فى المجتمع .. أهم ملاحظاتك على المجتمع الإسلامى هناك بعد زيارتك لها .. ما هى ؟!

* للأسف بينهم خلافات كبيرة .. وقد كنت فى زيارتى إلى هناك قبل دورة سول الأولمبية أحاول التوفيق بينهم فوجدت صعوبة كبيرة .. لكنهم يسمعون القرآن ويتأثرون به رغم جهلهم اللغة العربية تماماً .. ويحملون أسماء عربية كمحمد وعثمان وعمر وغيرها .

وقد رأيت الفتاتين المنفردتين المحجبتين فى كوريا الجنوبية كلها .. وفى الطريق أثناء سيرنا معهما إلى أحد بيوت المسلمين هناك كانتا تسيران وراءنا وتشيران علينا بالطريق الصحيح ، ولا تتقدمان أبداً !! وقد كنت مشفقاً عليهما بأنهما لن تجدا زوجاً مسلماً فى كوريا .. فعددهم هناك قليل ، ونادراً أن تجدا شابا فى سنهما يصلح للزواج بهما .. وليس شائعاً هناك هذا الالتزام الشديد ..

وحدثت إحداهما بهواجسى هذه ، وعن مستقبلها فقالت : أنا وكَّلت ربى فى أمورى. وهو سوف يرسل لى من يناسبنى !! فكان رداً مقنعاً.

** بعض العائلات المصرية تنسب إلى مهنة الجد الأكبر ، فيقال مثلا : الخزنجى ، القاضى ، العقاد ، السايس ، الخولى ، العسكرى .. فهل الأمر كذلك بالنسبة (للبنا) ؟!!

* لا أظن .. وربما كان ذلك عائداً إلى الجدود القدامى ..أما ما نعرفه فهو أن جدى كان فلاحاً . وهذه الظاهرة موجودة فى مصر بالذات . وتنسب العائلات إلى المهن فعلا.

سيرة ذاتيـــة

-حزين عمر محمد محمود حزين.

مواليد الفيوم-مصر-عام ١٩٦٣ .

-ليسانس الألسن-قسم اللغة العربية-جامعة عين شمس ١٩٨٥ .

- صحفى بدار الجمهورية .

-عضو نقابة الصحفيين .

-عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر ، وأمين الصندوق .

-عضو نادى القصة بالقاهرة .

-المؤسس والمشرف على (جماعة الجيل الجديد الفكرية)

- رئيس تحرير سلسلة (كتاب الجيل الجديد) .

-رئيس التحرير التفيذى لسلسلة (اشراقات جديدة) .

المؤلفات الأدبية :

● فى الشعر :

١-فصل من التاريخ الخاص (ديوان صدر عام ١٩٨٩ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

٢-اليوم العاشر (ملحمة صدرت عام ١٩٩٣ عن هيئة الكتاب) .

٣-الميلاد غدا (ديوان صدر عام ١٩٦٦ عن الهيئة العامة لقصور الثقافية) .

٤-مذكرات فلاح (ديوان .. عن مكتبة الأسرة ٢٠٠٠) .

٥-وهج (ديوان .. عن مكتبة الأسرة ٢٠٠٠) .

٦-اليوم العاشر (طبعة ثانية .. مكتبة الأسرة ٢٠٠١) .

● في الدراسات :

١ـ مع الضاحكين (في الأدب الساخر .. مكتب أوزوريس ١٩٩٥) .

٢ـ ديوان القاهرة (دراسات أدبية وتاريخية .. صندوق التنمية الثقافية وهيئة الكتاب ١٩٩٨) .

٣ـ المغترب .. غالي شكري (حوار جيلين .. هيئة الكتاب ٢٠٠٠) .

٤ـ الابداع الجديد وقضايا المجتمع (نقد تطبيقي .. هيئة الكتاب ٢٠٠٢) .

٥ـ مع الضاحكين (طبعة ثانية .. مكتبة الأسرة ٢٠٠٢) .

٦ـ حديث النساء (كتاب الجمهورية ٢٠٠٥) .

● في المسرح :

١ـ بنات للبيع .. (هيئة الكتاب ٢٠٠٥) .

٢ـ أبطال قهوة جداليا (هيئة الكتاب ٢٠٠٥) .

٣ـ سارة وأخوتها (هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٥) .

وله تحت الطبع :

ـ السيادة اللغوية .

ـ بيننا شيئ ما .

ـ لصوص السيرك .

الفهــرس